المؤلف الذي صار ظاهرة وحقق أفضل مبيعات

روبن شارما

الخطابات السرية للراهب الذي باع سيارته الفيراري



"كتب روبين شارما تساعد الناس في جميع أنحاء العالم على أن يحيوا حياة أفضل"

باولو كوهيلو

مؤلف كتاب *The Alchemist*

أكثر من 5 ملايين نسخة تم بيعها

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore
ليست مجرد مكتبة

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل، وسيطرة العادة، والتبجيل المفرط
لمفكري الماضي
أن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

روجر باكون

التعليم ليس استعدادا للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

الخطابات السرية للراهب
الذي باع سيارته
الفيراري

الخطابات السرية للراهب الذي باع سيارته الفيراري

روبن شارما

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore ...ليست مجرد مكتبة

للتعرف على فروعنا في
المملكة العربية السعودية - قطر - الكويت - الإمارات العربية المتحدة
نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarirbookstore.com**
للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **jbpublications@jarirbookstore.com**

تحديد مسئولية / إخلاء مسئولية من أي ضمان
هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والناتجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسئولية ونخلي مسئوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمّل أي مسئولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى ٢٠١٤

المملكة العربية السعودية ص.ب. ٣١٩٦ الرياض ١١٤٧١ - تليفون: ٩٦٦١١٤٦٢٦٠٠٠+ - فاكس: ٩٦٦١١٤٦٥٦٣٦٣+

The Secret Letters of The Monk Who Sold His Ferrari

ROBIN SHARMA

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore
...ليست مجرد مكتبة

كتب أخرى لروبن شارما

الراهب الذي باع سيارته الفيراري

حكمة القيادة من الراهب الذي باع سيارته الفيراري

من سيبكي حين تموت؟

حكمة العائلة من الراهب الذي باع سيارته الفيراري

اكتشف مصيرك مع الراهب الذي باع سيارته الفيراري

دليل العظمة

دليل العظمة ٢

إلهامات يومية من الراهب الذي باع سيارته الفيراري

القائد الذي لم يكن له منصب

اذهب إلى أبعد نقطة يمكنك رؤيتها. وعندما تصل إليها،
ستكون قادرًا على رؤية ما هو أبعد.
- توماس كارليل

مقدمة

كان مرشدي الصامت يتحرك في سرعة أمامي؛ كما لو كان هو أيضًا يبغض وجوده بالأسفل هنا. كان النفق رطبًا وإضاءته خافتة. وعظام ستة ملايين باريسي مدفونة في هذا المكان...

فجأة، توقف الشاب في مدخل طريق لنفق جديد. لقد كان مفصولًا عن الطريق الذي اتبعناه من خلال قطعة من السياج الحديدي الذي يعتليه الصدأ. كان النفق مظلمًا. قام مرشدي بتحريك السياج إلى جانب واحد ثم التفت في اتجاه الظلام. توقف ونظر إلى الخلف في اتجاهي، ليتأكد من أنني كنت أتبعه. تحركت بعدم يقين خارجًا من الضوء الخافت بينما اختفى ظهره في الظلام أمامي. تقدمت بضع خطوات أخرى. ثم اصطدمت قدمي بشيء ما. جلجلة خشبية ملأت المكان، فتسمرت في مكاني. وبينما فعلت ذلك، شع

ضوء ما من حولي. كان مرشدي قد أضاء كشافه الكهربائي. فجأة، تمنيت لو أنه لم يفعل. حيث اختفى التنظيم المروع. كانت العظام في كل مكان؛ متبعثرة على الأرض حول أقدامنا. تتساقط تباعًا من أكوام متفككة على الجدران. الوهج المنبعث من الكشاف الكهربائي علق بأمواج التراب وخيوط العنكبوت التي تتدلى من السقف.

"هذا لك"، قال مرشدي. ثم ألقى الكشاف الكهربائي إلي. وبمجرد أن أمسكت به، اختفى من أمامي.

"ماذا..."، بدأت في الصياح عليه.

وقبل أن أتمكن من إنهاء سؤالي، قال الرجل بشكل مفاجئ: "سيلقاك هنا". ثم ذهب، وتركني بمفردي، على عمق خمسين قدمًا تحت الأرض، إنسانًا وحيدًا يقف في وسط بحر من الموتى.



الفصل الأول

كان واحدًا من تلك الأيام التي تجد نفسك فيها تتمنى لو أنه انتهى قبل أن تكمل حتى ١٠ دقائق منه. بدأ اليوم حين فتحت عيني ولاحظت قدرًا مزعجًا من أشعة الشمس يتسلل من تحت ستائر غرفة النوم. أتعلم، ذلك القدر من الضوء يكون موجودًا الساعة ٨ صباحًا؛ وليس الساعة ٧ صباحًا. لم ينطلق رنين منبهي. *ذلك* الإدراك تبعه عشرون دقيقة من السباب المرتاع والصياح والبكاء (ابني ذو الستة أعوام هو الذي تولى أمر البكاء) بينما تنقلت مسرعًا في أرجاء المنزل، من الحمام إلى المطبخ إلى الباب الأمامي؛ محاولًا أن أجمع كل الاشياء السخيفة التي سأحتاجها أنا وآدم لباقي يومنا. بينما توقفت بالسيارة أمام مدرسته متأخرًا خمسة وأربعين دقيقة، سدد آدم نحوي نظرة لائمة.

"أمي تقول إنك إذا واصلت توصيلي إلى المدرسة متأخرًا كل يوم اثنين، فلن أكون قادرًا على المبيت لديك في ليالي الأحد مرة أخرى".

أوه، يا الله!

قلت: "آخر مرة. أعدك أنها ستكون آخر مرة".

كان آدم يخرج من السيارة الآن، وقد اعتلى وجهه تعبير متشكك.

"خذ"، قلت وأنا أقدم له حقيبة بلاستيكية ممتلئة. "لا تنسَ وجبة غدائك".

"احتفظ بها"، قال آدم وهو لا ينظر إليّ. "فليس مسموحًا لي أن أجلب زبدة الفول السوداني إلى المدرسة".

ثم غادر فجأة، مسرعًا عبر ملعب المدرسة الخالي. يا للطفل المسكين، فكرت بينما أشاهد رجليه الصغيرتين تعلوان وتهبطان في اتجاه الباب الرئيسي. ليس هناك ما هو أسوأ من التوجه إلى المدرسة متأخرًا، كل التلاميذ الآخرين موجودون في الصف المدرسي بالفعل، والنشيد القومي يصدح خلال الردهات. هذا إلى جانب عدم وجود غداء لكي يتناوله.

ألقيت بالحقيبة البلاستيكية على المقعد المجاور لي وتنهدت. نهاية أسبوع "وصائية" أخرى تنتهي نهاية غير موفقة. فعلى ما يبدو أنني فشلت بشكل مذهل في أن أكون زوجًا. والآن يبدو أنني سأفشل بالقدر نفسه في أن أكون والدًا منفصلًا. من اللحظة التي أخذت فيها آدم من المنزل، يبدو أنني أعرّضه لسلسلة لا تنتهي من خيبات الأمل. على الرغم من حقيقة أنني طوال الأسبوع افتقدت آدم وشعرت بغيابه بشدة، فإنني دائمًا ما أصل متأخرًا في كل يوم جمعة. الوعد بمكافأة البيتزا ومشاهدة فيلم، ينتهي إلى سندوتش التونة التي ترغم "أنيشا" آدم على أكله عندما تحين ساعة عشائه وتمضي. ثم هناك هاتفي، والذي ظل يرن باستمرار، كما لو أنه يعاني من حالة سيئة من الزغطة. فقد رن خلال الفيلم، وبينما كنت أدثر آدم في الفراش لكي يخلد إلى النوم. ورن خلال وجبة إفطارنا والتي هي عبارة عن فطائر بان كيك حُرقت بعض الشيء، ورن بينما مشينا متوجهين إلى الحديقة. وقد رن

بينما كنا نلتقط سندوتشات البرجر التي كنا سنتناولها في الخارج، ورن أيضًا طوال وقت القصة التي أرويها له. بالطبع لم يكن الرنين هو المشكلة الحقيقية. المشكلة الحقيقية كانت أنني استمررت في التقاط ذلك الشيء. حيث تفحصت رسائلي، وبعثت بردود، وتحدثت بالهاتف. ومع كل مقاطعة، كان آدم يصبح أكثر هدوءًا، وأكثر بعدًا. فضر ذلك قلبي، وعلى الرغم من ذلك، فإن فكرة تجاهل الهاتف أو إغلاقه جعلتني أتوتر.

بينما أسرعت إلى العمل، فكرت مليًا في نهاية الأسبوع السيئة. عندما أعلنت أنيشا أنها أرادت انفصالًا تجريبيًا، كان الشعور وكأن أحدًا ما مر عليّ بشاحنة. لقد كانت تشتكي لسنوات ولم أمضِ وقتًا أبدًا معها أو مع آدم؛ فقد كنت منشغلًا للغاية بالعمل، منهمكًا للغاية بحياتي الخاصة إلى الحد أنني لم أكن جزءًا من حياتهم.

قلت مجادلًا: "ولكن كيف؟ هل تركي يصلح أيًا من هذا؟ إذا كنتِ تريدين رؤيتي أكثر، فلمَ تحرصين على رؤيتي بشكل *أقل*؟"

ففي النهاية، هي قد قالت إنها لا تزال تحبني. وقالت إنها تود مني أن أحظى بعلاقة جيدة مع ابني.

ولكن عندما حان الوقت الذي انتقلت فيه إلى شقتي، كنت مجروحًا وأشعر بالمرارة. لقد وعدت أن أحاول قضاء وقت أطول بالمنزل. حتى إنني رفضت دعوة شركة لجولة جولف وعشاء مع عميل. ولكن أنيشا قالت إنني كنت فقط أحاول إصلاح الأمر للوقت الحالي؛ ولم أكن متعهدًا لإصلاح المشكلة من الأساس. في كل مرة أفكر فيها في تلك الكلمات، أعض على أسناني. ألم يكن من الممكن لأنيشا أن ترى كم كان عملي صعبًا؟ ألم يكن في إمكانها أن ترى كم كان مهمًا بالنسبة لي أن أواصل التقدم إلى الأمام؟ فإذا لم أكن أكرس عدد الساعات الذي كنت أكرسه للعمل، لم نكن لنمتلك منزلنا الرائع، أو السيارات، أو شاشات التليفزيون الكبيرة الرائعة. حسنًا، أعترف أن أنيشا لم تكن تولي أدني اهتمام للتليفزيونات. ولكن، لا يزال ذلك أمرًا يُحسب لي.

قطعت عهدًا على نفسي حينها أنني سأصبح "والدًا منفصلًا رائعًا". سأغمر آدم باهتمامي؛ حيث سأذهب إلى كل حدث تقيمه مدرسته، وسأكون متوفرًا لكي أقله بالسيارة إلى دروس السباحة أو الكاراتيه، وسأقرأ كتبًا له. وعندما يتصل بي في الليل، سيكون لدي كل الوقت الذي بالعالم لأتحدث معه. سأستمع إلى مشاكله، وسأمنحه النصيحة، وأتشارك معه النكات. سأساعده في تأدية واجبة المدرسي، بل إنني حتى سأتعلم أن أشغل ألعاب الفيديو المزعجة تلك التي يحبها. سأحظى بعلاقة رائعة مع ابني حتى لو لم أكن قادرًا على أن يكون لدي علاقة مثلها مع زوجتي. وسأثبت لأنيشا أنني لا أعمل فقط على "إصلاح الأمور بشكل مؤقت".

في الأسابيع القليلة الأولى من انفصالنا، أعتقد أنني أبليت بلاءً حسنًا. من بعض النواحي، لم يكن ذلك صعبًا للغاية. لكنني صدمت لمدى افتقادي لكل منهما. كنت أستيقظ في شقتي وأستمع باحثًا عن صوت طفلي الصغير الذي أعلم أنه لم يكن هناك. كنت أقطع الشقة ذهابًا وإيابًا في الليل أفكر: *هذا هو الوقت الذي كان من الممكن أن أقرأ فيه على آدم قصة ما قبل النوم. وهذا هو الحين الذي قد أحتضن فيه آدم متمنيًا له ليلة طيبة. وتلك هي اللحظة التي سأزحف فيها إلى الفراش بجوار أنيشا، اللحظة التي سأكون محتضنًا إياها بذراعي.* لم تكن نهايات الأسبوع لتأتي عاجلًا بالقدر الكافي لي.

ولكن مع مرور الشهور، بدأت تلك الأفكار في التلاشي. أو على الأصح، حل محل تلك الأفكار كل الأشياء الأخرى. كنت أجلب معي عمل كل يوم إلى المنزل أو أمكث في العمل لوقت متأخر. عندما كان آدم يتصل بي، كنت أنقر على لوحة مفاتيح الكمبيوتر الخاص بي وأسمع من كلامه جملة وأهمل أخرى. أسابيع كاملة كانت تمضي دون أن أتساءل ولو لمرة عن أحواله خلال تلك الأيام. وعندما حانت العطلة المدرسية، أدركت أنني لم أحجز أي وقت فراغ لأمضيه معه. ثم حددت موعد عشاء مع عميل في ليلة حفلة الربيع الموسيقية لمدرسة آدم. كما أنني نسيت أيضًا أن أصطحبه لموعد تنظيف أسنانه الذي يحين كل ستة أشهر، على الرغم من أن أنيشا ذكرتني قبل الموعد بأسابيع. وبدأت في

الحضور متأخرًا في أيام الجمعة. نهاية الأسبوع تلك كانت دفعة أخرى من الوقت "المميز" والذي كان يمكن أن يوصف بأي شيء غير أنه مميز.

أشرت إلى داني، حارس الأمن، بتلويحة صغيرة بينما توقفت في جراج المكتب. بعد اندفاعي المجنون للوصول إلى المكتب، تمنيت فجأة لو أنني لم آتِ. توقفت بالسيارة في المساحة الخاصة بي؛ ولكنني لم أوقف محرك السيارة في الحال.

إذا أردت الدفاع عن نفسي، يمكنني القول إن هوسي بالعمل كان شيئًا طبيعيًا تمامًا. فقد كان وقتًا عصيبًا في الشركة. وقد تطايرت الشائعات طوال أسابيع بأنه سيتم بيع الشركة. لم أقم بأي شيء طوال الاثني عشر أسبوعًا الماضية سوى فحص التقارير: تقارير المبيعات، تقارير المخازن، تقارير الموظفين، بيانات الربح والخسارة. عندما كنت أغمض عيني في الليل، كل ما كان يمكنني رؤيته هو الخطوط الشبكية لجداول البيانات. ذلك ما كان في انتظاري داخل المبنى، ولكنني لم أستطع تأجيله أكثر من ذلك. أطفأت محرك السيارة وأمسكت بحقيبة حاسوبي الشخصي وتوجهت إلى المبنى.

ألقيت التحية على ديفين، موظف الاستقبال لدينا. كان رأسه محنيًا بصرامة على شاشة الكمبيوتر الخاص به، ولكنني كنت على علم أنه يلعب سوليتير. بينما انحرفت إلى اليمين، كان في إمكاني أن أرى ديفين يتكلف الابتسام؛ ولكن ربما كنت فقط أتخيل ذلك. أقصر الطرق إلى مكتبي هي اليسار، ولكنني لم أعد أذهب في هذا الاتجاه. من الواضح أن ديفين قد اعتقد أن ذلك بسبب أن مكتب "تيسا" كان في اتجاه اليمين. ولكن ذلك لم يكن كل ما في الأمر. إذا توجهت إلى اليمين، فليس علي أن أمر من أمام مكتب جوان. جوان. اللعنة. لا أعلم لمَ علي أن أكون منزعجًا إلى هذا الحد بعد مضي كل ذلك الوقت. لقد أصبح الآن مجرد مكتب غير مستخدم. كانت الستائر مسدلة، والمكتب خاليًا، والمقعد غير مشغول. لم يكن هناك صور لزوجة جوان على خزانة الملفات، ولا أكواب قهوة خزفية على البوفيه، ولا لوحات على الجدران. ولكن كان الأمر وكأن ظلال كل تلك الأشياء تحوم حول الأماكن الخالية.

أبطأت من خطاي بينما أقترب من مكتب تيسا. عملت أنا وتيسا معًا لسنوات. ولطالما تكيفنا معًا بشكل جيد؛ حيث تشاركنا نفس حس الفكاهة. لم أكن متأكدًا مما سيحدث مع أنيشا، ولكن علي أن أعترف أنني وجدت نفسي أفكر كثيرًا في تيسا منذ الانفصال.

لمحت شعرها الداكن، ولكنها كانت تتحدث على الهاتف، لذا واصلت السير.

بمجرد أن أوشكت أن أدخل من باب مكتبي، وجدت نفسي أحوّل اتجاهي. تساءلت إذا كان يتوجب علي فحص النموذج الأولي الجديد قبل أن أبدأ العمل على الأمور الأكثر إلحاحًا. أعرف أن فريق التصميم سيخبرني بأي تطورات، ولكن فكرة إلهاء نفسي ببضع دقائق في المختبر كانت مغرية.

بدأت عملي في مختبر التصميمات. إحدى أولى الوظائف التي عملت بها كانت في قطاع التنمية بهذا المكان، وهي شركة لتصنيع قطع غيار السيارات. كانت وظيفة أحلامي. جوان، المدير التقني، تولى تعليمي والعناية بي. كان جوان معلمي.

ولكن الحقيقة هي أنك حتى إذا أحببت عملك، لا يمكنك البقاء لفترة طويلة في مكانك. فذلك في إمكانه القضاء على مهنتك. ولكن لم يكن على أحد إخباري بذلك. كنت مثل الكلب أهز ذيلي بقوة إلى حد أنه كان من الممكن أن أؤذي ظهري. وقد لاحظ ذلك الأشخاص الذين يعلونني في المنصب. عندما عرضت علي الدرجة التالية في سلم الشركة، أخذني جوان إلى مكتبه.

قال: "أتعلم، إذا قبلت هذه الوظيفة، فستصبح خارج البحث والتصميم للأبد. ستدخل في مجال البيع والإدارة. أهذا ما تريده؟".

قلت ضاحكًا: "أريد أن أمضي قدمًا، يا جوان، وبالتأكيد لن أنتظرك حتى تتقاعد لأقوم بذلك!".

منحني جوان فقط ابتسامة واهنة ولكنه لم يقل أي شيء آخر.

بعد تلك الخطوة الأولى، تنقلت بين الدرجات بسرعة بالغة. الآن أصبحت أشرف على كل مشروعاتنا وتصنيع منتجاتنا لأكبر عملائنا.

التقطت كوب قهوتي، وأنا على وشك التوجه إلى الردهة في اتجاه المختبر. ولكني بعدها توقفت. لم تكن هناك حاجة لي للتواجد هناك. وضعت كوب قهوتي وسقطت جالسًا في مقعدي. فتحت جهاز الكمبيوتر الخاص بي، وفتحت ملفًا وحولت عينيّ إلى متاهة الأرقام التي تملأ شاشتي.

بعد بضع ساعات، كنت قد أنهيت للتو بيان ربح وخسارة آخر وكنت على وشك العودة إلى صندوق بريدي الممتلئ عن آخره، عندما رن الهاتف. تطلب الأمر مني بضع ثوانٍ لأتعرف على صوت أمي. بدت منزعجة. يا إلهي الرحيم، فكرت. ماذا الآن؟ فقد أصبحت والدتي مهتمة بحياتي بشكل مبالغ به خلال الأشهر الأخيرة. وقد بدأ الأمر يزعجني.

قالت: "آسفة لإزعاجك في العمل، يا جوناثان، ولكن هناك أمر. لقد كنت أتحدث للتو مع العم جوليان، وهو في حاجة إلى رؤيتك في الحال. فالأمر عاجل".

أنا؟ فكرت. ما السبب الذي يجعل العم جوليان في حاجة إلى رؤيتي؟

لكي أكون صريحًا، أنا لم أعرف حقًا العم جوليان. لم يكن عمي، فهو عم أمي. فقد كانت مقربة من العم جوليان وأخته كاثرين عندما كانوا جميعًا صغارًا، ولكنني نشأت في الجانب الآخر من البلدة. الأقرباء غير المقربين كانوا مثيرين لاهتمامي بنفس قدر جريدة الأسبوع الماضي.

الوقت الوحيد الذي رأيت فيه جوليان كان عندما كنت في العاشرة من عمري تقريبًا. كنا نزور العمة كاثرين، وقد نظمت لنا غداءً في منزلها. لا أتذكر إذا ما كانت زوجة جوليان معه، أم أنه كان قد طلقها بالفعل. لكي أصدقك القول، لا أتذكر أي شيء بخصوص تلك الزيارة سوى شيء واحد؛ سيارة جوليان الفيراري الحمراء اللامعة. لقد سمعت كاثرين تذكرها، لذا كنت أنتظر على الدرجات الأمامية عندما ترجل جوليان من السيارة في مدخل

المنزل. كانت السيارة أكثر روعة مما تخيلتها. رأى جوليان وجهي (فلابد أن ذقني كان يتدلى خادشًا حذائي من فرط الانبهار)؛ فدعاني إلى جولة بالسيارة. لم أركب مطلقًا سيارة من قبل تتحرك بهذه السرعة، فقد شعرت كما لو أنه في أي لحظة قد تترك العجلات الطريق وترتفع في الهواء. لا أعتقد أنني تفوهت بكلمة واحدة طوال الطريق. عندما عدنا إلى المنزل، ترجل جوليان من السيارة، ولكنني لم أتحرك.

سألني: "هل تريد البقاء في السيارة لبعض الوقت؟" .

فأومأت برأسي، فالتف لكي يغادر ولكن قبل أن يذهب أوقفته.

"عم جوليان؟"

قال: "نعم".

سألت: "كيف حصلت على هذه السيارة؟ أقصد، هل تكلف الأمر الكثير من الأموال؟".

قال: "بكل تأكيد، تكلف الكثير. لذا، إذا كنت ترغب في واحدة مثلها، يا جوناثان، فسيتعين عليك أن تعمل بجد حقيقي عندما تكبر".

لم أنسَ ذلك مطلقًا.

كما أذكر، لم يمكث جوليان طويلًا بعد الغداء. بدا على أمي والعمة كاثرين خيبة الأمل، وربما القليل من الضيق. وعلى الرغم من أني كنت حينها في العاشرة فقط من عمري، كان لا يزال في إمكاني تخيل أن لدى جوليان أماكن أكثر إثارة بكثير ليذهب إليها. كان من الواضح أنه يحيا نوعية الحياة التي أرغب في عيشها عندما أكبر. وقفت أشاهد، والحسد يملؤني، سيارة جوليان الرياضية وهي تقطع الطريق في سرعة.

بعد سنوات من عدم ذكر جوليان على الإطلاق، بدأت أمي في استدعاء اسم جوليان في كل مرة نجتمع فيها معًا. وقد كانت أخبرتني مؤخرًا أنه باع السيارة الفيراري منذ فترة طويلة. فعلى ما يبدو أن العم جوليان قد مر بنوع ما من التجارب التي تغير الحياة. حيث تخلى عن وظيفته المرفهة للغاية كمحامٍ ذي نفوذ كبير، وباع سيارته الفيراري، وتبنى مبدأ الوجود "البسيط".

قالت أمي إنه درس مع مجموعة من الرهبان غير المعروفين والذين يعيشون بعيدًا في جبال الهيمالايا وأنه عادة ما يتجول الآن مرتديًا رداءً قرمزيًا. لقد قالت إنه أصبح شخصًا مختلفًا تمامًا. لم أكن متأكدًا لمَ تبدو وكأنها تعتبر ذلك شيئًا جيدًا.

كانت تحاول جمعنا ببعض. لقد اقترحت أن أخصص وقتًا لأمضيه معه عندما كنت في المدينة من أجل العمل. ولكن بصراحة، إذا لم يكن لدي وقت كافٍ لأنيشا وآدم، فلمَ قد آخذ يوم إجازة لأمضيه مع رجل بالكاد أعرفه؟ كان من الممكن أن أرى المغزى من تلك المقابلة لو أنه كان لا يزال محاميًا ناجحًا بشكل مبهر يعيش نمط حياة مبهرًا ولديه سيارة رياضية سريعة. ولكن لمَ أحتاج قضاء وقت مع رجل عجوز عاطل ولا يمتلك سيارة فيراري؟ فهناك عديد من الرجال أمثاله يتسكعون في المقاهي المحلية.

قلت: "أمي، ما الذي تتحدثين عنه؟ لماذا يحتاج جوليان رؤيتي؟".

لم تمتلك أمي تفاصيل، قالت إن جوليان يحتاج إلى التحدث معي. يحتاج إلى مساعدتي في شيء ما.

قلت: "هذا لجنون. فأنا لم أرَ العم جوليان منذ سنوات. وأنا لا أعرف الرجل. لا بد أن هناك أحدًا آخر في إمكانه مساعدته".

لم تقل أمي أي شيء ولكنني اعتقدت أنه يمكنني سماعها وهي تبكي بخفوت. فالسنوات القليلة الماضية منذ أن توفى والدي، كانت سنوات قاسية عليها. قلت: "أمي. هل أنتِ بخير؟".

تحشرج صوتها قليلًا، ثم بدأت التحدث بنبرة صارمة ميزتها بالكاد.

"جوناثان، إذا كنت تحبني، فستقوم بذلك. ستقوم بأي شيء يريدك جوليان أن تقوم به".

"ولكن ما الذي..." لم تعطني الفرصة لإنهاء سؤالي.

"ستكون هناك تذكرة طيران في انتظارك عندما تصل إلى المنزل الليلة". بدأت جملة أخرى، ولكن صوتها بدأ في الابتعاد: "جوناثان، علي أن أذهب"، قالتها ثم أنهت المكالمة.

كان من الصعب التركيز لبقية الظهيرة. حيث كانت المكالمة الهاتفية مغايرة لطبيعة أمي تمامًا؛ فقوة لهجتها وتصميمها وترتني. لقد كان الأمر لغزًا كاملًا بالنسبة لي. ما الذي قد يرغب مني جوليان القيام به؟ تساءلت عن هذا التغيير في حياته. هل جن تمامًا؟ هل سألقى عجوزًا يتفوه بحديث مجنون عن مؤامرات الحكومة؟ شخصًا ذا شعر ثائر يجول الطرقات مرتديًا رداءه المنزلي وخفيه (أعلم أن ذلك لم يكن ما تعنيه أمي "بالرداء القرمزي"، ولكن لم أستطع إبعاد تلك الصورة عن ذهني). كنت منشغلًا للغاية بتلك الأفكار إلى حد أنني مررت من أمام مكتب جوان مباشرة عند مغادرتي في نهاية اليوم. لم أدرك ما فعلت إلى أن دخلت الردهة. شعرت وكأنه نذير شؤم.

عندما عدت إلى شقتي، كدت أنسى تفحص صندوق بريدي. صارعت مع المفتاح المعقوف لبضع دقائق، ثم اندفع الباب المعدني الصغير منفتحًا لافظًا إعلانات بيتزا، وعروضًا من شركات التأمين في كل مكان على الأرض. بينما كنت أجمعها من على الأرض، استقرت يدي على مظروف سميك. كان مرسلًا من والدتي. تنهدت، ودسسته في جيبي واعتليت الدرجات متوجهًا إلى شقتي.

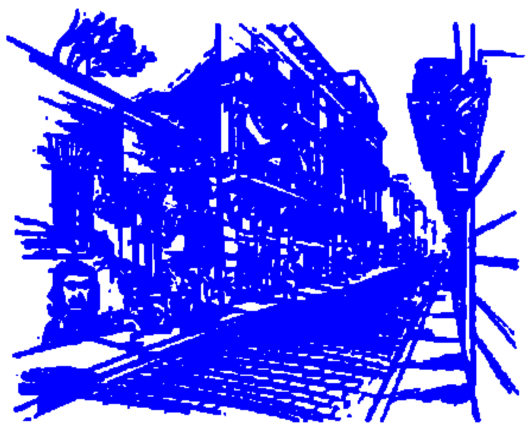
فتحت المظروف بينما طبقي الرئيسي من اللازانيا المثلجة يدور في الميكروويف. في داخل المظروف كانت هناك ملاحظة قصيرة من أمي توضح فيها أن جوليان كان يعيش بصفة مؤقتة في الأرجنتين، وتذكرة ذهاب، وعودة مدفوعة إلى بوينس آيرس. يا إلهي الرحيم، فكرت. يريدون مني أن أقوم برحلة طيران مدتها اثنتا عشرة ساعة لأقابل عمًا غير مقرب لي لساعة أو اثنتين؟ خلال نهاية الأسبوع؟ رائع. سيتعين علي أن أمضي نهاية الأسبوع بأكملها في صفيحة سردين طائرة وأخيب أمل ابني. هذا، أو أحزن أمي أكثر مما هي خائبة الرجاء مني بالفعل.

تناولت اللازانيا الدافئة أمام التليفزيون ثم شربت عصيرًا آملًا أن يوازن وجبة عشائي السيئة وبؤس مزاجي.

أجلت الاتصال بأنيشا إلى أن أكون متيقنًا أن آدم قد خلد إلى النوم. كانت أنيشا من النوع الذي يتمسك بالروتين؛ لذا لن يكون هناك مجال للتخمين هنا. عندما ردت على الهاتف، بدت متعبة، ولكن ليست بتعسة. جهّزت نفسي للتغير الذي سيطرأ على حالتها المزاجية عندما أخبرها بخططي المحتملة لنهاية الأسبوع. ولكن أنيشا كانت على علم بها مسبقًا.

قالت: "لقد تحدثت مع والدتك، يا جوناثان. تحتاج إلى القيام بهذا، سيتفهم آدم ذلك".

وهكذا حدث الأمر.



الفصل الثاني

انتقلت سيارة الأجـرة من الطريق السريع إلى طريق عريض رائع يملؤه الأشجار. بدا كطريق مدينة تقليدي، تصطف الأشجار على جانبيه، وتفصل جزيرة خضراء حركة مرور السيارات، ولكنه كان على الأقل على اتساع عشر حارات مرورية. لم آتِ مطلقًا من قبل إلى أمريكا الجنوبية، وكنت مندهشًا إلى أي مدى بدت بوينس آيرس كمدينة أوروبية. مسلة ضخمة، تحاكي في شكلها النصب التذكاري بواشنطن، قسمت المشهد أمامي، ولكن المباني والطرقات ذكرتني قليلًا بباريس.

حجز لي جوليان على متن رحلة متأخرة في ليلة الجمعة. فاجأت نفسي بنومي خلال الرحلة؛ مستيقظًا في الوقت الذي كانت فيه الطائرة على وشك الهبوط. والآن، ها هو الصباح، ولكن في نصف آخر من الكرة الأرضية غير النصف الذي غفوت فيه.

بينما كنا نسير بالسيارة، استمر طراز المباني الحجرية للحقبة الجميلة ذات شرفات الحديد الزهر الأسود، وصناديق الأزهار على النوافذ. وفي النهاية، انتقلنا إلى منطقة بدت أقدم، لها مظهر رث نوعًا ما. كانت هناك رسومات على الجدران، وجبس متساقط من جوانب المباني، وقباب مترية ذات ألوان باهتة. على الرغم من أنه كان يومًا باردًا هنا، فقد كان هناك عدد من النوافذ المفتوحة، وكان في إمكاني رؤية الستائر تتطاير مع النسيم. في إحدى الزوايا، كان هناك موسيقيون مجتمعون يعزفون لمجموعة صغيرة من المارة.

كانت سيارة الأجرة تبطئ الآن، واقفة أمام واجهة أحد المحلات. اليافطة الملونة على النافذة كانت تعلن عن دروس في رقصة التانجو. صدحت الموسيقى من الباب الرئيسي المفتوح بعض الشيء. تحققت مرة ثانية من العنوان الذي أعطاني إياه جوليان. بدا أن العنوان هو لاستوديو لتعليم الرقص. أطلعت السائق على الورقة التي دُون عليها العنوان ليتأكد من أننا في الجزء الصحيح من المدينة، وأن هذا ليس نوعًا من الخلط. أومأ برأسه ثم هز كتفيه. دفعت له أجرته وخرجت من سيارة الأجرة.

واو، فكرت وأنا أحدق عبر الباب المفتوح. *عندما قالت أمي إن جوليان غيّر حياته لم تكن تمزح*.

كانت الحجرة طويلة ولكنها ليست عريضة. طليت جدرانها بطلاء أحمر زاهٍ، والثريا الزجاجية تتدلى من السقف. رجال ونساء يحتضنون بعضهم البعض عن قرب ومع ذلك بقدر من الرسمية، يخطون حول أنحاء الغرفة مع إيقاع الموسيقى.

بينما كنت أشاهد، انفصل رجل طويل، ذو ثياب أنيقة، عن شريكته وشق طريقه من بين الراقصين. عندما اقترب مني، كان في إمكاني أن أرى أنه كان يبتسم.

قال: "جوناثان، سعيد أنك تمكنت من الحضور". بسط يده تجاهي وتصافحنا.

استغرق الأمر مني دقيقة لأطابق بين الرجل الذي يقف أمامي والصورة التي تخيلتها في طريقي إلى هنا. بدا جوليان أصغر بكثير مما كان عليه عندما تقابلنا منذ عشرين سنة مضت. بنيته النحيفة ذات العضلات لا تشبه في شيء الهيئة الشاحبة الممتلئة التي جلست خلف عجلة تلك السيارة الفيراري. كان وجهه دون خطوط ويبدو عليه الاسترخاء. وبدت عيناه الزرقاوان المشرقتان وكأنهما تخترقانني.

"أرجو أن تعذرني"، قال جوليان ملوحًا بيديه في أرجاء الغرفة. "لم أكن واثقًا من موعد وصول رحلتك، لذا اعتقدت أنه بإمكاني أخذ درسي ليوم السبت. ولكن الآن بما أنك هنا، دعنا نتوجه إلى الأعلى".

قادني جوليان إلى باب لم أكن قد رأيته من المدخل. بعدما فتحه أشار إليّ أن أتقدمه على السلم. عندما وصلت إلى أعلى الدرجات، تقدم أمامي وفتح بابًا آخر. "تفضل، تفضل"، قال بينما يخطو داخل الغرفة.

كانت الشقة ساطعة، وفسيحة؛ ولكن لا تشبه في شيء نوعية المنزل الذي تخيلت أن جوليان يحيا به. كان الأثاث عبارة عن تشكيلة غريبة من الأثاث القديم والحديث. زينت الجدران بملصقات الموسيقيين والراقصين الذين يؤدون رقصة التانجو، واستقرت أكوام من الكتب على الأرض. بدت الشقة قليلًا كمنزل طالب جامعي.

"أنا آسف لجعلك تسافر كل تلك المسافة بهذه السرعة، ولكنني أمكث في تلك المدينة الرائعة للأشهر القليلة الماضية. كان هناك صديق يرغب في تأجير شقته؛ وبما أنني كنت دومًا راغبًا في تعلم التانجو، فكرت أن تلك كانت الفرصة المثالية. دعني أبدل ملابسي، ثم أعد لنا بعض القهوة".

اختفى جوليان في آخر ردهة ضيقة. غطست في مقعد كان مغطى بوشاح قطني مطرز على منتصفه كلمات "كن استثنائيًا". كان في إمكاني سماع موسيقى التانجو تصدح إلى أعلى الدرجات والشعور بذبذبتها تحت ألواح الأرضية.

بينما كنت في انتظار جوليان، تسارعت الأفكار في ذهني. ما الذي كنت أفعله؟ ما الذي كنت أعرفه عن هذا الرجل؟ شعرت بحس قوي من عدم الراحة يجتاحني. بطريقة ما علمت أنه بمجرد أن يعود جوليان إلى الغرفة، فلن تعود حياتي مطلقًا إلى سابق عهدها. شعرت بأن ما ينتظرني سيكون صعبًا وشاقًا. فكرت، *ليس عليّ أن أقوم بذلك*. نظرت من وراء كتفي إلى مدخل الباب، متسائلًا كم سيلزمني من الوقت لأجد سيارة أجرة أخرى. عندها عاد جوليان إلى الغرفة.

كان الآن يرتدي رداءً قرمزيًا طويلًا والقلنسوة تكسو رأسه.

"شاي أم قهوة؟". سأل بينما تحرك داخل مطبخ صغير في نهاية حجرة المعيشة.

قلت: "قهوة، من فضلك".

شعرت بالحرج وأنا أجلس في حجرة المعيشة بمفردي؛ فنهضت وتبعت جوليان إلى داخل المطبخ. بينما كان جوليان يجهز آلة صنع القهوة، نظرت خارج النافذة، أسفل إلى الشارع الحجري الضيق. لابد أن درس الرقص قد انتهى لأن الأزواج كانوا يندفعون خارجين إلى الرصيف بالأسفل. وقد حل محل الموسيقى الإيقاعية، صوت الحديث والضحك.

أخيرًا التفت إلى جوليان. "ما الذي..." ترددت، محاولًا ألا أكون فظًا للغاية. بدأت مجددًا: "ما الذي تحتاجه مني؟ لماذا أردت رؤيتي؟".

أجاب جوليان بينما ارتكز على سطح منضدة المطبخ: "جوناثان، هل تعرف قصتي؟".

لم أكن متأكدًا مما يرمي إليه جوليان. أخبرته أنني أعرف أنه كان محاميًا، وأنه صنع ثروة وعاش نمط حياة يتسم بالبذخ. أخبرته أنني سمعت أنه غير رأيه وترك ممارسة مهنة المحاماة. لم أكن ملمًا بكافة التفاصيل.

قال جوليان: "هذا صحيح. في مرحلة ما، كنت ناجحًا أكثر مما حلمت أنه في إمكاني أن أكون على الإطلاق فيما يخص الشهرة والأموال. ولكنني كنت أدمر حياتي. عندما لم أكن منهكًا من العمل، كنت أدخن السيجار وأحتسي المشروبات باهظة الثمن، وأحظى بوقت جامح مع عارضات الأزياء الشابات والأصدقاء الجدد. دمر ذلك زواجي ونمط حياتي، وبدأ في التأثير بالسلب على مهنتي. ذات يوم، في منتصف مرافعتي في قضية كبيرة، انهرت مرتطمًا بأرضية المحكمة. وأصبت بأزمة قلبية".

تذكرت شيئًا كهذا. على الأرجح أن أمي قد أخبرتني شيئًا عن ذلك، ولكن من الواضح أنني لم أكن أوليها اهتمامًا كبيرًا حينها.

هز جوليان رأسه وتخلص من القلنسوة، ثم اقترب إلى رف بالأعلى ليسحب كوبين.

"أمضيت شهورًا أستعيد صحتي. خلال هذا الوقت، اتخذت قراري".

تنهدت. هنا تخلصت من السيارة الفيراري الجميلة.

"بعت قصري، وسيارتي، وكل ممتلكاتي. وتوجهت إلى الهند، آملاً أن أتعلم ما يمكنني تعلمه من حكمة العالم. أتعلم، بناء الثروات أصبح أقل إمتاعًا بالنسبة لي من اكتشاف قيمة نفسي. ومطاردة الجميلات من النساء حل محله السعي وراء السعادة الباقية".

كتمت تنهيدة. فقد بدا أن هذه بداية قصة طويلة. وكنت نافد الصبر وأريد أن أعرف ما علاقة كل هذا بي.

"خلال رحلاتي بعيدًا في جبال الهيمالايا، حالفني الحظ الجيد في أن أقابل رجلًا استثنائيًا. كان راهبًا، أحد حكماء السيفانا. أخذني إلى أعلى جبال الهيمالايا، إلى القرية التي يعيش، ويدرس، ويعمل بها الحكماء. علمني الحكماء دروسًا رائعة عديدة والتي أود مشاركتها معك".

وقف جوليان وخفض نظره إلى قدمي. أدركت بإحراج أنني كنت أنقر قدمي كعميل نافد الصبر ينتظر في صف بمحل ما.

ابتسم جوليان: "ولكنني أشعر أن الآن ليس الوقت المناسب".

قلت: "آسف، أعتقد أنني فقط متلهف قليلًا للعودة إلى المنزل".

قال جوليان بلطف: "لا تشغل بالك. يجب أن تروي القصة فقط حين يكون المستمع مستعدًا لسماعها".

"أنت تريد أن تعرف لمَ طلبت مجيئك إلى هنا اليوم؟"، قال جوليان.

أومأت برأسي.

كانت القهوة جاهزة. سكب جوليان كوبين. "لبن؟ سكر؟". هززت رأسي علامة على الرفض. أعطاني جوليان كوبًا ثم توجه عائدًا إلى حجرة المعيشة. بمجرد أن استقر كل منا في مقعد، أكمل قصته.

"أحد الأشياء التي علمني إياها الرهبان هو قوة التمائم".

قلت: "التمائم؟".

"تماثيل صغيرة أو تمائم. هناك تسعة منها. كل منها تحتوى على قطعة من الحكمة الأساسية للسعادة ولحياة تحياها بشكل جميل. كل واحدة منها على حدة هي فقط علامة رمزية؛ ولكن عندما تجمعها معًا فإنها تتضمن قدرات تحويلية خارقة. في إمكانها، عمليًا، أن تصبح منقذة للحياة".

"أنت في حاجة إلى إنقاذ حياة؟"، سألت. بدا الأمر ميلودراميًا بعض الشيء، أو جنونيًا بعض الشيء.

"نعم. هناك شخص أعرفه واقع في مشكلة جادة. حاول الآخرون مساعدته؛ ولكن دون نجاح. وهذا هو آخر حل لدينا".

"هل لهذا علاقة ما بأمي؟" سألت. كانت منزعجة للغاية على الهاتف.

قال جوليان: "نعم، له علاقة بها. ولكن ليس لدي الحرية لأفصح عن أكثر من ذلك".

"اسمع، إذا كانت أمي مريضة أو ما شابه ذلك، فلي الحق أن أعرف"

شعرت أن صدري يضيق، وأن تنفسي ضعيف.

قال جوليان: "والدتك ليست في خطر. هذا كل ما يمكنني قوله".

كنت على وشك أن أضغط عليه، وأطرح عليه المزيد من الأسئلة، ولكن جوليان زم شفتيه، ووضع فنجان قهوته على المنضدة أمامي. بدا وكأنه على استعداد لإنهاء تلك المحادثة. تنهدت وخفضت نظري إلى الأرض لدقيقة.

قلت: "حسنًا. ولكن أين موضعي من كل هذا؟ ما الذي تحتاجه مني؟".

ترك جوليان مقعده وتحرك في اتجاه النافذة. نظر خارج النافذة نحو الشارع بالأسفل، ولكن بدا أن عينيه تركزان على ما هو أبعد من ذلك بكثير.

قال جوليان: "عندما تركت القرية. أعطاني الرهبان التمائم في حقيبة جلدية وطلبوا مني أن أكون القائم الجديد على حفظها".

"ولكن بعد أن تركت جبال الهيمالايا، سافرت لبعض الوقت. في إحدى الليالي اشتعل حريق في الفندق الصغير الذي كنت أقيم به. كنت بالخارج في وقت الحريق؛ ولكن غرفتي كانت قد دمرت. كنت أحمل التمائم معي؛ لذا كان الشيء الوحيد الذي فقدته هو زوج من الأحذية الخفيفة. في فندق آخر، سمعت شخصًا مسافرًا يتحدث عن أنه سُرق في شارع جانبي بروما. خطر لي أنه بينما كانت التمائم بحوزة الرهبان في القرية، كانت في أمان. فقد كنت الزائر الوحيد الذي وصل إلى ذلك المكان البعيد منذ وقت طويل للغاية. ولكن الآن وأنا أمتلك تلك الكنوز، فقد كانت في خطر. في أي وقت، يمكن أن تتم سرقتها أو ضياعها أو تدميرها".

واصل جوليان موضحًا أنه كان قد قرر أنه سيكون أكثر أمنًا إذا أرسل كل تميمة منها إلى حارس مختلف، والذي سيعيده عندما يحتاجه جوليان. مع كل قطعة أرسل جوليان رسالة تتضمن بعض الوصف حول المعنى الذي فهم جوليان أن التميمة تعنيه. والآن بات من الواضح أنه يحتاج استرجاع تلك التمائم. قال إنه يريدني أن أذهب وأجلبها.

"ماذا؟"، تفوهت مشوشًا. "أعني أليس لهذا السبب وجدت شركة فيديكس للشحن؟".

ابتسم جوليان. "لا أعتقد أنك تفهم مدى أهمية هذه التمائم. لا أستطيع الوثوق بناقل مراسلات، أو البريد. إنها مبعثرة حول العالم وأريد شخصًا أعرفه ليقوم بجمعها بصفة شخصية".

"ألا تستطيع أنت الذهاب؟"، سألت. كنت أعرف أن سؤالي يخلو نوعًا ما من التهذيب، ولكن صورة جوليان وهو يرقص التانجو بالأسفل لا تزال في ذهني.

قهقه جوليان ضاحكًا. "أعلم أنني قد لا أبدو مشغولًا للغاية" قال وقد أصبحت نبرته أكثر جدية الآن. "ولكنه حقًا ليس في إمكاني القيام بذلك".

كنت صامتًا لبضع ثوانٍ. كيف يمكنني صياغة ذلك؟

قلت: "العم جوليان، لا أقصد الإهانة، ولكنك قلت إنك تحتاج إلى شخص تعرفه ليجمع تلك الأشياء. وأنت لا تعرفني حقًا. قابلتك مرة واحدة فقط؛ وكان ذلك عندما كنت في العاشرة من عمري".

"إنني أعرفك أفضل مما تظن"، قال جوليان. كانت ابتسامته الدمثة قد اختفت. كانت عيناه داكنتين، وكانت هناك جاذبية مربكة في تعبيره.

قال بهدوء: "استمع إلي، جوناثان. لا يمكنني إخبارك كيف أعرف ذلك، ولكنني أعرف. الشخص *الوحيد* الذي يمكنه جمع هذه التمائم هو أنت".

توقف قليلًا ثم أضاف: "أعرف أن إجاباتي ليست مرضية للغاية. ولكن ثق بي، يا جوناثان، عندما أقول إن هذه مسألة حياة أو موت".

جلسنا لوقت طويل في صمت. كنت أفكر في صوت أمي وهي تبكي على الهاتف. الشعور بالمساحة الخالية على جانب أنيشا من الفراش. النظرة في عيني آدم عندما خيبت أمله. لا يحدث كثيرًا عندما تكون الشخص "الوحيد"، الابن الوحيد، الزوج الوحيد، الأب الوحيد.

أخيرًا كسرت حاجز الصمت.

سألت: "كم سيتطلب ذلك من وقت؟".

قال جوليان: "لقد كتبت رسائل لكل واحد من الأوصياء عليها، ولم أتلقَ ردًا من كل شخص فيهم. ولكن لدي مكان لتبدأ به؛ هو صديق لي في إسطنبول. وفيما يخص الوقت، حسنًا، الحصول على جميع التمائم سيتطلب بضعة أسابيع، وربما شهرًا".

يا إلهي. كان هذا هو مدة عطلتي بأكملها بل وأكثر. أخذت نفسًا عميقًا. نظر جوليان إليّ وأمال رأسه جانبًا.

قال: "جوناثان؟".

بادلت جوليان النظر. كان هناك حنو كبير في عينيه. للحظة، ذكرني بوالدي. وأدركت كم أفتقد أبي. وأدركت أيضًا أنني قد اتخذت قراري. علقت الكلمات في حلقي، لذا فقد أومأت فقط بالموافقة.

ابتسم جوليان. ثم نهض واقفًا، ومرر يديه على جانبي ردائه الأحمر.

قال جوليان: "والآن. بما أننا أنهينا عملنا، فسأعد لك الغداء، وبعدها ربما علينا أن نستطلع الحي. إنه يدعى سان تيلمو. وقد أصبح واحدًا من الأماكن المفضلة لدي بالعالم".

قضيت ظهيرة ممتعة، وإن كانت غريبة، مع جوليان. اصطحبني إلى قاعة رقص تقع على بعد بضعة شوارع حيث كان هناك راقصو تانجو محترفون يقومون بعرض. وبينما دقت الموسيقى خلال جسدي كنبض ثانٍ، لاحظت قدمي جوليان تنقران الأرض، قدميه تتحركان قليلًا كما لو كان يتخيل نفسه يؤدي الحركات. ثم تمشينا في الأزقة الملتفة إلى أن حان الوقت لي لكي أعود إلى المنزل عبر رحلة طيران ليلية مرة أخرى. بينما وقفنا في الممر خارج شقة جوليان والموسيقى تصدح من الاستوديو وملأت الهواء من حولنا، التفت جوليان إلي.

قال: "هناك شيء واحد آخر، يا جوناثان". سحب من جيب ردائه مفكرة صغيرة ذات غلاف سميك. "أود منك أن تحتفظ بدفتر يوميات بينما أنت بعيدًا".

سألت: "مذكرة يومية؟ لأي غرض؟".

"ليست مذكرة يومية، يا جوناثان. إنما هو دفتر يوميات. فالتمائم تمنح قوة لأولئك الذين يحتفظون بها. ولكن من يملكونها يمنحون تلك القطع الرمزية قوة أيضًا. من المهم لي أن أعرف أفكارك ومشاعرك حيال تلك الرحلة؛ وأيضًا حيال ما تعنيه تلك التمائم بالنسبة لك بمجرد أن تصبح بحوزتك".

انحنت كتفاي. لم أكن أعرف أيهما الأسوأ؛ استقطاع أسابيع من عمري لأسافر حول العالم جامعًا أشياء تخص شخصًا آخر، أو أن يكون علي الكتابة عنها. فكتابة أفكاري وخواطري لم تكن موطن قوة لدي أبدًا.

قال جوليان: "أعتقد أنه بمجرد أن تكون بمفردك، وبمجرد أن تكون تلك التمائم الرائعة في حوزتك، فإن تسجيل ما يجول بداخلك لن يكون أمرًا شاقًا كما يبدو".

كنت على وشك قول *بالطبع، أيًا كان*، ولكنني أوقفت نفسي. فما أهمية ذلك؟ إذا كنت سأقوم بذلك الأمر المجنون، فربما سأقوم به أيضًا وفقًا للطريقة التي يرغب بها جوليان.

عندها توقفت سيارة أجرة أمامنا. وبينما كنت أستقل السيارة، فإن قراري قد تخلله بعض المخاوف. فقد مر وقت طويل منذ أن بدأت شيئًا جديدًا، أو أقدمت على أي نوع من المغامرة. أغلقت الباب ونظرت ورائي إلى جوليان بينما بدأت سيارة الأجرة في الانحراف والابتعاد عن الرصيف. رفع جوليان يديه ليلوح لي، ثم ناداني.

قال: "جوناثان. ابتهج وافرح. فلا تتسنى لك الفرصة كل يوم لتنقذ حياة!".

لقد تطلب مني الأمر أن أتحلى بكل شجاعتي لكي أستقل سيارتي صباح يوم الاثنين وأتوجه إلى المكتب. فقد كان أمامي ثلاثة أسابيع من العطلة، وكان علي أخذها في أسرع وقت يمكنني فيه ذلك. ولكن إذا استمرت الرحلة لوقت أكثر من ذلك، حينها سأكون في مشكلة جادة. كل ما أستطيع طلبه هو عطلة غير مدفوعة الأجر، وإذا كانت الإجابة لا، أعتقد أنه سيتعين علي حينها ترك الوظيفة.

ولكن بصدق، قلت لنفسي، بينما سحبت جسدي كارهًا من السيارة ودفعت بنفسي لدخول الأبواب الرئيسية للمكتب، ما أهمية اختيار واحد أحمق؟ ففي النهاية، في الماضي قمت دائمًا بما كنت أعتقد أنها قرارات رائعة في حينها. وأين قادني ذلك؟ أصبحت وظيفتي مصدرًا دائمًا للضغط النفسي والإحباط. زوجتي الرائعة على وشك هجري. وأيًا كان قدر المدخرات الذي كونته من خلال عملي الجاد، فسينخفض كثيرًا بسبب الطلاق. وحتى المتعة التي أشعر بها مع آدم كانت تضيع بسبب الشعور بالذنب الذي أشعر به لرؤيته لمرة واحدة خلال عطلات نهاية الأسبوع، وبسبب كوني أبًا سيئًا حتى خلال تلك المرات. هل حركة جنونية كتلك الرحلة من الممكن أن تتسبب لي حقيقةً في أي ألم أكثر مما سببته لي كل قراراتي العقلانية السابقة؟

أمضيت ساعة أدور في مقعدي بالمكتب؛ منغمسًا في خيبة الأمل والإحباط. عندما حان الوقت الذي خطوت فيه إلى مكتب مديري، كنت قد تقبلت مأزقي بأكمله باستكانة قدرية. حتى إنني في الحقيقة نسيت تقريبًا مدى الصعوبة التي ستكون عليها هذه المناقشة.

على الرغم من ذلك، تذكرت ذلك بسرعة بمجرد أن غادرت فمي العبارات القليلة الأولى.

كنت قد استقررت على أحد المقاعد الموضوعة على مستوى منخفض لهدف استراتيجي والتي تواجه المكتب الضخم لديفيد. بالكاد رفع نظره من على الكمبيوتر عندما دخلت. ولكن عندما أوضحت أنني أحتاج إلى الحصول

على إجازتي وربما حتى وقت أطول لأتعامل مع بعض الأمور العائلية الطارئة والتي ستتطلب السفر، رفع رأسه. كان الوصف المحتمل الوحيد لتعبيره هو أنه "مذهول". بينما انطلقت في تفسير أيام إجازتي المجمعة، رفع يده.

قال ديفيد: "دعني أستوضح ذلك. أنت تريد واحدًا وعشرين يومًا على التتالي، دون إخطار مسبق؟".

لم أستطع منع نفسي. "حسنًا، عمليًا يوما السبت والأحد هما 'عطلة نهاية الأسبوع'، لذا لا، ليس واحدًا وعشرين يومًا على التوالي".

"جوناثان، أنت تعلم جيدًا أنه ليس مسموحًا لأحد أن يأخذ أكثر من أسبوعين إجازة على التوالي"، أجابني صائحًا.

ازدادت المحادثة سوءًا عندما قلت إنني لا أعرف تحديدًا متى سأعود.

قال ديفيد: "من بين جميع الأشخاص في هذه الشركة، كنت أنت آخر من اعتقدت أن يقوم بأمر سخيف كهذا".

قلت: "أعرف". فقد كان محقًا فيما قاله.

"أتعلم يا جوناثان، أنت تعد كنجم صاعد هنا. وقبل اليوم، إذا سألتني أن أسمي لك شخصًا واحدً فسينجح في إنهاء هذه البيعة أو الدمج أو أيما يجعله الفتى الذهبي، كنت لأقول إنه أنت. ولكن أن تغادر هكذا، وفي هذا التوقيت...".

التف لينظر من النافذة. كان يدوّر قلمًا بين أصابعه، والعبوس يجمد وجهه.

لست في حاجة إلى سماع ذلك.

قلت: "انظر. تحدثت مع ناوانج خلال نهاية الأسبوع. وقد وافقت على إدارة مشاريعي خلال فترة غيابي. وهي تعرف ما تقوم به. ويمكنها دائمًا أن تتصل بي عند حدوث أي حالة طارئة. لذا، هل يمكنني أخذ إجازتي، أم علي أن أستقيل؟".

قال ديفيد بإيجاز: "خذ الإجازة. ولكنني سأخبرك أمرًا واحدًا. إذا استطعنا تدبر أمرنا دونك لمدة شهر، فعلى الأرجح أنه يمكننا تدبر أمرنا دونك للأبد".

نهضت من على المقعد وتوجهت إلى الباب. وقبل أن أتجاوز عتبة الباب، توقفت والتفت للخلف.

"ديفيد، أكنت ستقول نفس الشيء إذا كنت قد تقدمت بهذا الطلب لأن هناك أمرًا ألم بزوجتي أو ابني؟" واصل ديفيد التحديق خارج النافذة. وكان تعبيره غير واضح.

طريق عودتي إلى المكتب كان طويلًا. كان من المخيف التفكير بأن ديفيد قد لا يهتم بمساعدتي إذا كان طفلي مريضًا أو في حاجة إليّ. ولكن لمَ توقعت أي شيء آخر؟ فهذا المكان قد فعل أشياء سيئة لأشخاص آخرين. وقد رأيت ذلك يحدث مع جوان.

جوان. لم يمر يومٌ دون أن أفكر في مديري القديم، صديقي القديم. بينما مرت الشهور وجدت صعوبة متزايدة في ألا يتشتت ذهني بغيابه. كثيرًا ما أجد نفسي أستيقظ في الليل، غير قادر على العودة إلى النوم، أفحص الأحداث في ذهني مرة بعد مرة؛ وأبرئ نفسي من دوري في المأساة بأكملها. ولكن مهما أعدت تشغيل تلك الأحداث بذهني، لا يمكنني الانتهاء منها ووضعها وراء ظهري. البعد عن كل ما يذكرني بها على الأرجح هو أفضل شيء يمكنني القيام به.

الأيام القليلة التالية كانت مثل دوامة. جاهدت لإنهاء الأمور بالعمل. كتبت كمية هائلة من الرسائل وأجريت سيلًا من المكالمات الهاتفية. تنقلت حول أنحاء البلدة؛ أقوم بأعمال مصرفية، أتسلم ملابسي من التنظيف الجاف، محاولًا القيام بزيارات إلى ابني أثناء قيادتي للسيارة. حتى تجهيز حقائبي اتسم بالفوضوية؛ فكيف سأعرف ما الذي علي أخذه معي إذا لم أكن حتى أعرف جميع الأماكن التي سأتوجه إليها؟

ثم بعد ذلك كنت أجلس في رحلة الطيران الليلية؛ متوجهًا إلى تركيا؛ في طريقي لمقابلة صديق جوليان. كان هاتفي مغلقًا، وليس هناك أوراق عمل في

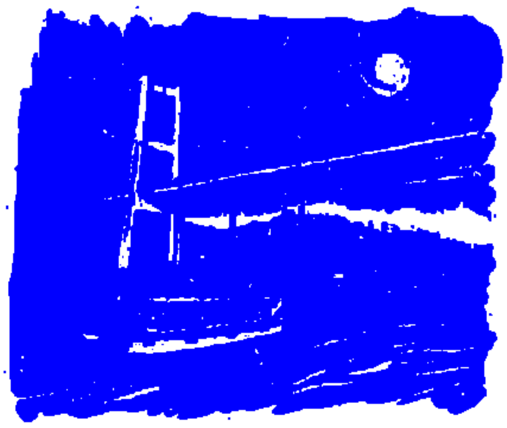
أمتعتي التي أحملها معي. كان لدي العديد من الساعات الهادئة التي أمضيتها بمفردي دون أن يكون هناك شيء علي القيام به، أو شيء يمكنني القيام به. كنت آمل أن أرتاح، ولكن ذهني كان لا يزال يزدحم بالأفكار. أخرجت ورقة من جيب سترتي. فقد أرسل إليّ جوليان رسالة مختصرة مع تذاكر الطيران.

كانت الرسالة تقول: "شكرًا لك، لاستقطاعك لوقت بعيدًا عن أسرتك وشركتك لتقوم بتلك الرحلة. أعلم أنك تمتلك عشرات الأسباب التي تجعلك لا تذهب، ولكن إحدى الهدايا التي يمكننا منحها لأنفسنا هي أن نتخلص من أعذارنا. كتب روديارد كيبلنج ذات مرة: 'لدينا أربعون مليون سبب للفشل؛ ولكن ليس لدينا عذر واحد'. الشيء الخطير فيما يخص الأعذار أننا إذا تلوناها مرات كافية، فإننا في الحقيقة نصل إلى تصديق أنها حقيقية. تلك المهمة التي طلبت منك القيام بها تتضمن الكثير من السفر، ولكنني آمل أن تركز على الفرص التي تتيحها لك؛ بدلًا من التركيز على المتاعب التي قد تشكلها. ففي النهاية، الحياة نفسها رحلة؛ وأكثر ما يهم ليس ما تحصل عليه، ولكن ما تصبح عليه".

كما أرسل إليّ جوليان أيضًا كيسًا جلديًا صغيرًا بحبل طويل. من المفترض أن أرتديه حول عنقي وأضع التمائم به بينما أقوم بجمعها. في الوقت الحالي، كان الجراب في جيب سترتي. تحسست الجلد الناعم بذهن شارد.

كل من حولي على متن الطائرة كان يستسلم للنعاس. كان هناك صوت طنين خفيف للمحركات، الجلجلة الخفيفة لعربة المشروبات وهي تختفي في الخلف. أغمضت عيني. فكرت في أنيشا وآدم. بشكل ما عرفت أن كوني بعيدًا عنهم إلى هذا الحد سيجعلني أفتقدهم بقدر أكبر. ثم فكرت في كل الأشخاص الآخرين الغائبين عن حياتي. فغياب أبي كان ألمًا متثاقلًا يسكن بصدري. ولكنه كان ألمًا يتضمن بعض الرفق؛ حيث صحبه العديد من الذكريات السعيدة. ثم كان هناك جوان. تذكرت كلمات جوليان: "لا تتسنى لك الفرصة كل يوم لتنقذ حياة إنسان".

أليست تلك هي الحقيقة؟



الفصل الثالث

لم يعطني جوليان قائمة بالأماكن التي سأذهب إليها، أو أسماء حراس التمائم الذين سأقابلهم. "أماكن مختلفة" كان كل ما أفصح عنه في بوينس آيرس. "أوروبا، آسيا، شمال أمريكا. فلم أتمكن من الاتصال بكل شخص منهم بعد"، هكذا قال لي. ومع ذلك، فإنني سأبدأ في اسطنبول؛ حيث سأقابل صديقه القديم أحمد ديمير.

"سيقابلك أحمد في المطار. أعرف أنه سيرغب في أن يريك قليلًا من مدينته الرائعة، ولكنني آسف حيث لن يكون لديك الكثير من الوقت لتلعب دور السائح، فقد تم الحجز لك للسفر إلى باريس في اليوم التالي".

ألعب دور السائح! جعلني ذلك أضحك. إنني فقط أرغب في الحصول على تلك التمائم في أسرع ما يمكنني والعودة إلى العمل. حتى بينما كنت أتعثر خارجًا من الطائرة في مطار أتاتورك، كنت ألقي نظرة خاطفة على هاتفي؛

أتحقق إذا كانت هناك رسائل من نـاوانج، مفكرًا فيما قد يحدث في غيابي بالمكتب. كان هناك عدد من الرسائل التي يسألني فيها أشخاص عن مدى طول فترة غيابي. رسالة من أمي كانت مرحة وتتجنب الحديث عن الأمر. فقد سألتها إذا كانت تعرف أي شيء أكثر عمن يحاول جوليان مساعدته بهذه التمائم، ولكنها زعمت أنها لا تعرف. لم أصدقها؛ فلقد أحسست بالمشاعر في صوتها.

ألهتني الرسائل على هاتفي بينما شققت طريقي خلال الصف الطويل لجوازات السفر والمطالبة بالأمتعة. لذا عندما وقفت أخيرًا في مخرج العائدين حاملًا أمتعتي، كانت أول مرة أتساءل فيها كيف سأتعرف على هذا الشخص الذي يدعى أحمد؛ كيف من المفترض أن نجد بعضنا البعض في الزحام.

بينما تفحصت تجمع أفراد العائلات، والسائقين، وأشخاص متحمسين آخرين مجتمعين في صالة الوصول، وقع بصري على رجل طويل يحمل لافتة عليها اسمي. كان لديه شعر رمادي ولحية رمادية قصيرة وابتسامة دافئة. أشرت إليه بتلويحة صغيرة وتوجهت إليه.

عندما اقتربت أنزل أحمد لافتته وأخذ يدي الممدودة في يده وشد عليها بقوة. "مرحبًا بك، مرحبًا بك" قال باللغة التركية. "من الجيد رؤية أحد أعضاء عائلة جوليان. لقد تشرفت بذلك".

تمتمت بعبارات بسيطة في محاولة للرد على ترحيبه؛ وقد غمرني حماس أحمد.

سأل أحمد: "ألديك كل شيء؟ هل أنت مستعد للذهاب؟"، أومأت بالإيجاب، والتقط أحمد اللافتة واضعًا يده برفق على مرفقي وقادني إلى خارج صالة الوصول.

قادني أحمد خلال موقف السيارات المزدحم وتوقف أمام سيارة رينو فضية لامعة. "ها نحن" أعلن آخذًا حقيبتي، فاتحًا صندوق السيارة. فتحت باب السيارة وانزلقت في المقعد لتوي في الوقت الذي بدأ هاتفي يرن معلنًا

وصول رسالة. "اعذرني" قلت لأحمد. ربطت حزام الأمان وبدأت أقرأ الرسالة.

رسالة من ناوانج تقول إنها تلقت مكالمة من أحد عملائي. فقد تلقى الرجل عددًا مزعجًا من الشكاوى من موزعيه حول مكون جديد صممناه لأكثر موديلات السيارة السيدان شهرة لديهم. راودني شعور بالغثيان أسفل معدتي. كان هذا هو نوع المشاكل الذي قد يؤدي إلى سحب السيارات من العملاء، إذا لم يؤدِ إلى نوع من رفع دعوى ضدنا للمطالبة بتعويضات مالية. كان على نوانج أن تجعل فريق رقابة الجودة يبدأ في الاختبارات لكي يتعرف على أصل المشكلة.

"متأسف" قلت لأحمد بينما يقود السيارة إلى خارج موقف السيارات. "ينبغي علي فقط أن أبعث ببضع رسائل. أمر طارئ خاص بالعمل". أومأ أحمد بعطف. قال "قم بما يتعين عليك القيام به. سنتعارف في الوقت المناسب".

انطلقت السيارة، على الرغم من أنني لم أرَ شيئًا من العالم الذي تحركنا خلاله. حيث التصقت عيناي بشاشة هاتفي. ولكني كنت واعيًا إلى حد ما بتكدس السيارات بالطريق السريع، والمرور المسرع، ثم عبور جسر يقع فوق المياه. ولكن في الوقت الذي رفعت فيه بصري فعليًا، كنا نتحرك بالسيارة دخولًا وخروجًا من الشوارع الضيقة، كان من الواضح أن السيارة تتوجه نحو طريق مرتفع بتدريج ثابت.

بدا أن أحمد قد لاحظ أنه استعاد انتباهي.

"فكرت أنك بعد رحلتك الطويلة، قد ترغب في الاستحمام وتغيير ملابسك قبل أن نتوجه إلى الخارج مرة أخرى. إنني أصطحبك إلى شقتي في بيوجلو".

كنا نتحرك ببطء الآن، مارين من أمام مقاهٍ، ومحلات، وأرصفة ضيقة مليئة بالسائرين، ومبانٍ منخفضة الارتفاع ذات حجر وطوب رمادي وأصفر. أمامي كان يمكنني رؤية برج يرتفع أعلى تلة، قمة ذات لون أزرق رمادي تشير إلى السماء، وذات صفين من النوافذ أسفلها. كان هناك أشخاص يتجولون في ممشى خارج المجموعة العلوية من النوافذ.

"برج جالاطا"، قال أحمد. "يمكنك رؤية مشاهد رائعة للمدينة من هناك".

أبطأ أحمد وتوقف بالسيارة في مساحة صغيرة في الطريق.

"ها نحن قد وصلنا"، قال مشيرًا إلى المبنى ذي الطوابق الثلاثة بجوارنا. بالخارج في الممشى الجانبي، فتح أحمد الباب الخشبي الثقيل للمبنى وقادني للداخل. كانت هناك مجموعة من الدرجات الرخامية أمامنا.

"لا تمانع صعود الدرجات، أليس كذلك"، قال أحمد.

"على الإطلاق"، أجبت.

كانت شقة أحمد مؤثثة بشكل جميل؛ حيث كانت الأرض مغطاة بأنماط أنيقة من السجاد. الأريكة ذات القماش المطرز مزينة بوسادات ذات ألوان زاهية، والجدران مكسوة بصور ذات إطار لطيور بحرية وسفن ونباتات وحيوانات تنم عن ذوق عالٍ. ولكنها بدت غير شخصية بشكل يثير للفضول. أخبرني جوليان أن أحمد كان ربان سفينة. لقد تخيلته يعيش في حي قروي بقدر أكبر.

"كما على الأرجح أنك قد خمنت، أنا لا أمضي هنا الكثير من الوقت" قال أحمد. "ابتعت تلك الشقة منذ عدة سنوات كاستثمار. في العادة تؤجر لأجانب يعملون في السفارات، أو يقومون بأعمال في هذا الجزء من المدينة. ولكن زوجتي توفت منذ بضع سنوات؛ وقمت مؤخرًا ببيع بيتنا العائلي في بيشكتاش. لذا فإنني أستخدم هذا المكان عندما أبحر بالسفينة أو عندما أصطحب الناس في جولة في المدينة القديمة. أما باقي الوقت، فإنني أمضيه في القرية حيث نشأت أعلى مضيق البوسفور مباشرة.

"تعالَ" قال أحمد، وهو يمشي في اتجاه النوافذ. "دعني أريك".

لم أستطع تقدير مدى الارتفاع الذي صعدناه في السيارة، أو موقع مبنى

أحمد، ولكن بينما حدقت إلى الخارج من نوافذ حجرة المعيشة، أدركت على الفور كم كان استثماره رائعًا. ما ترامى أمامي كان امتدادًا لواحد من أجمل المشاهد التي رأيتها على الإطلاق.

"هناك" وهو يشير الى النهر من تحتنا. "هذا النهر، هذا هو القرن الذهبي. وهناك جسر أتاتورك وجسر جالاطا. مركبي الصغير يرسو في هذا الميناء هناك. وعلى يسارك، ذلك التجمع المائي العظيم، الذي يسمى مضيق البوسفور. تمتد مدينتي إلى الجانب الآخر منه. بمجرد أن تكون في الجزء الآخر من اسطنبول، فأنت تقف في قارة أسيا".

نظرت عبر القارة الآسيوية، ثم عدت بنظري إلى منظر المباني عند الأفق أمامي مباشرة.

"آه، نعم"، قال أحمد. "تبدو رائعة، أليس كذلك؟ المدينة القديمة. سلطان أحمد. حي البازار. منطقة سيراجنيو".

كان في إمكاني من على بعد رؤية وحدتين ضخمتين من المباني ذات الأسطح المقببة والمآذن والحدائق والجدران.

"آيا صوفيا؟"، تساءلت. كان الشيء الوحيد الذي أعرفه حقًا عن اسطنبول. الكنيسة العظيمة ذات القبة والتي بناها الإمبراطور قسطنطين عندما كان هذا المكان القسطنطينية؛ مركز الإمبراطورية الرومانية. وقد تحول فيما بعد إلى جامع، وأضيفت إليه المآذن وأجري عليه تعديل داخلي، ولكن فن الفسيفساء الأصلي ظل كما هو. وقد سمعت أنه لا يزال جميلًا بشكل مذهل.

"تلك التي على اليسار"، قال أحمد مشيرًا. "المسجد الأزرق خلفها. ميدان سباق الخيل، قصر توبكابي، الصهريج، المتاحف؛ الكثير الذي يمكنك مشاهدته". لوّح أحمد بيديه للأمام والخلف عبر المنظر الطبيعي الخلاب من أمامنا. "ولكن بعد الظهيرة، سأصطحبك إلى البازار المصري والبازار الكبير قبل أن نتوجه إلى المركب".

"المركب؟"

"آه، نعم"، قال أحمد وهو يبتعد عن النافذة.

"أنا آسف، ولكن التميمة ليست معي هنا. إنها في منزلي بالقرية، في أناضول كفاجي".

كنت قد نسيت تمامًا السبب وراء زيارتي.

أكمل أحمد: "يمكننا القيادة إلى هناك، ولكن ما الهدف من ذلك، حقًا؟ المركب هو أفضل وسيلة للوصول إلى هناك. أخذ ولدي المركب هذا الصباح للقيام بجولة خاصة، لذا فإننا سنذهب الليلة ونعود صباح الغد". كان أحمد يشير إلي لأتبعه: "الآن سأريك أين يمكنك أن تستحم وتغير ملابسك. ثم سنتناول الشاي والغداء قبل أن نتوجه إلى البازار".

أول شيء لفت انتباهي عندما دخلنا البازار المصري كانت الرائحة. كان الأمر كالسير في حديقة ذات روائح، تتبدل الرائحة مع كل خطوة نخطوها، تختلط، كل رائحة تتخطى الرائحة التي تليها.

أكشاك واحد يلي الآخر. كانت هناك تلال من التمور وفواكه أخرى مجففة، وجميع أنواع المكسرات، وأهرام كبيرة من الحلاوة الطحينية ذات اللون الخافت. كانت هناك أسطوانات من حلوى النوجة، وحلوى التوروني، وتشكيلة مذهلة لها ألوان الجواهر من الحلوى التركية، والتي يسمونها الملبن هنا، كما أخبرني أحمد.

كانت الطاولات ممتلئة بعلب مفتوحة من الشاي. تلال صغيرة من التوابل المطحونة مسكوبة من الأمام، كشك يلي كشك آخر؛ كركم، كمون، هيل، بآبريكا، جوز الطيب، قرفة.

ابتاع أحمد بعض المشمش المجفف، والتمر، والتين قبل أن نغادر ونتوجه إلى المبنى الحجري الضخم والذي يضم آلافًا من محلات البازار الكبيرة.

بهر البازار المصري حواسي، وقد خدرني بروائحه المذهلة. لقد كنت أتجول مأخوذًا بالكامل بما يحيط بي، لا أفكر مطلقًا في نفسي أو في

حياتي. ولكن هنا، في البازار الكبير، ظل عقلي يثب إلى الأشخاص الذين أفتقدهم. وبينما كنت أمشي خلال الردهات الضخمة ذات الأسقف المقوسة التي تبدو بلا نهاية، رأيت أشياء عديدة قد تعجب أنيشا؛ مصابيح فسيفساء، أوشحة حريرية رقيقة، أنماط متشابكة من السيراميك، وفي كل مكان كانت هناك تشكيلة من الألوان الزاهية. كان هذا أمرًا أذهلني عندما قابلت أنيشا لأول مرة. بغض النظر عما كانت ترتديه، فهناك دائمًا رشة من لون زاهٍ ترتديه في مكان ما؛ أقراط خضراء زاهية، بيريه برتقالي رائع. كانت شقتها بنفس الشكل أيضًا، حيث كانت توجد تشكيلة منتقاة من الأشياء؛ أنماط وألوان مختلطة وفوضوية، وعلى الرغم من ذلك متناغمة بشكل يثير الدهشة. بالطبع سأكون مسافرًا للأسابيع القليلة المقبلة؛ لذا لا يمكنني شراء أي شيء ثقيل. كنت مأخوذًا بالاختيارات المتعددة. في النهاية، اخترت قلادة عين الحسود لها، فمن المعتقد أن خرزة عين الحسود الزجاجية تبعد الأذى. وابتعت لآدم صديرية مطرزة والتي اعتقدت أنها ستعجبه كثيرًا.

أكثر ما شتت انتباهي هم بائعو السجاد. فقد كانوا يصيحون في كل مرة أمر فيها، وفي كل مرة أجد نفسي أتفحص بتمعن السجاجيد الجميلة.

لاحظ أحمد اهتمامي فقال: "آه، نعم. يجب عليك أن تعود يومًا ما عندما يتسنى لك المزيد من الوقت، عندما يمكنك حقًا التسوق والمساومة. اختيار سجادة جيدة ليس سهلًا؛ حيث ينبغي عليك أن تكتسب معرفة عن الفن والحياكة والغزل والنسيج والأصباغ. ولكن عليك أيضًا أن تتعلم كيف تقيمها؛ وكيف تساوم للحصول عليها. سأحب أن أعلمك هذا".

حماس أحمد في تعليمي ذكرني بأمي وأبي. فقد كانا ثنائيًا نشطًا حث على التعلم مدى الحياة. كانت أمي قارئة نهمة، وعندما كنت أنا وأختي في المدرسة الابتدائية، عملت أمي بوظيفة في محل صغير لبيع الكتب. كانت تأتي إلى المنزل

وبصحبتها العديد من الكتب إلى حد أنني أثق بأن صاحب المحل أبقى عليها في الوظيفة حتى لا يخسر أفضل زبونة لديه. كانت تشتري روايات لنفسها، وكتبًا غير روائية لأبي، وكتبًا مصورة، وقراءات أولى لي ولكيرا.

كان أبي سعيدًا بهذا التقدم، والتهم مواد القراءة بسعادة. ولكن حماس أبي لم يتوقف عند هذا الحد. فلا شيء يسعد نيك لاندري أكثر من مشاركة المعرفة. فقد كان في الواقع مدرسًا بالمدرسة الابتدائية، ولكن التعليم بالنسبة له كان أكثر من مجرد وظيفة؛ فقد كان شغفه. بين اثنتيهما، خلق والداي جو الفصل المدرسي أينما ذهبنا؛ مما تسبب في استياء طفليهما.

كل عام، كنا نقوم برحلة عائلية واحدة خلال عطلات الصيف. لم نذهب مطلقًا إلى أي مكان غريب؛ ولكن أمي وأبي كانا دومًا يجريان بحثًا عن وجهتنا قبل أن نذهب إليها. فمن أجل التنزه في الغابات، ستسحب أمي دليل العيش في الحياة البرية من حقيبة الظهر الخاصة بها وتخبرنا كيف أن شجرة الصنوبر احتاجت في الحقيقة إلى الحرارة الشديدة لنيران الغابات لتفتح أكوازها حتى تتمكن من بذر نفسها. ثم سيوضح أبي كيف يبني القندس سده، أو كيف أن التلال التي نتسلقها كانت ذات مرة شواطئ لبحيرات قديمة. في أي موقع تاريخي، يعرف أمي وأبي عن المكان أكثر مما يعرفه المرشدون. حتى المدينة الترفيهية يمكن أن تكون درسًا عن قوة الجذب المركزي أو مرجعًا عن الثقافة الشعبية.

بدت أمي وأبي وكأنهما مدمنان للمعلومات والأفكار، ورحلاتنا كانت دائمًا ما تتخللها علامات التعجب. "أليس هذا رائعًا!" كانت أمي لتقول ذلك في كل مرة نقوم فيها باكتشاف ما. وكان أبي يحب أن نبدي أنا وأختي الفضول. "سؤال رائع!" سيتفوه بتلك الكلمات بسعادة وفخر عندما نسأل أي سؤال على الإطلاق. كنت لتعتقد أننا قد اكتشفنا لتونا علاجًا لمرض السرطان.

هذه الأيام أتذكر ذلك الحماس بمحبة؛ ولكن كطفل كنت غالبًا ما أضجر منه. وعندما دخلت في سنوات مراهقتي، كانت رحلاتنا القليلة، والتعليم المستمر، والمعلومات غير المهمة التي لا تنتهي، مزعجة للغاية. كنا نجلس دون حراك في المقعد الخلفي لسيارة ساخنة في ظهيرة صيفية بينما يعطينا أبي بيانًا حماسيًا عن قناة إيري، كنت أنا وكيرا ندير أعيننا ضجرًا، ونرفع سبابتنا إلى أصداغنا ونطلق النار بمسدسات تخيلية.

في هذا المكان، في هذه المدينة، فكرت بحزن، كانت لتبهر أبوي. كانت تلك هي نوعية الرحلة التي لطالما حلما بها؛ نوعية المكان الذي تمنيا زيارته. كان السفر هو خطتهم الكبيرة لما بعد تقاعدهما. في الواقع، عندما ترك أبي العمل، أهداه زملاؤه مجموعة من الأمتعة. في الأشهر التي تلت تقاعدهم، انتشرت كتب السفر في أرجاء المنزل كانتشار الفطر في العشب المبلل. أكوام من الكتب تكدست بجانب مقعده المفضل بحجرة المعيشة، كانت المجلدات تفيض من تحت المنضدة المجاورة لفراشه، والكتيبات والخرائط تبدو من بين كومة المجلات في الحمام؛ إيرلندا، توسكانا، تايلاند، نيوزلندا. طبع أبي خط سير الرحلات وألصقه أعلى منضدة الكمبيوتر الخاصة به. كان أبي وأمي يخططان أن يواصلا السفر من مكان إلى مكان لما يقرب من نصف عام.

ثم ذات يوم، قبل موعد مغادرتهما الذي خططا له بعدة أشهر، سمعت أمي صوت ارتطام في الجراج. كان أبي ينحي أثاث فناء الدار جانبًا من أجل الشتاء عندما أصابه انسداد شرياني. كان قد توفى قبل أن يلمس الأرض حتى.

لأشهر بعد الجنازة، تحركت أمي كما لو أنها تحت الماء. ببطء اختفى خط سير الرحلة من على لوحة النشرات، وكتب الأسفار نقلت إلى رف في القبو، وعادت أمي إلى وظيفتها للعمل الجزئي في محل الكتب. اعتقدت كيرا أن أمي قد تعود إلى التفكير في السفر ذات يوم، ولكن في الوقت الحالي هي لا تستطيع تحمل التفكير في ذلك دون أبي.

صيحة واحدة أخيرة من بائع السجاد قاطعت أفكاري عن والديّ. بدأ أحمد في الخروج من البازار في ضوء شمس ساعة الظهيرة المتأخرة.

"وقت الغداء"، قال أحمد بينما قادني حول جانب المبنى. انعطفنا زقاقًا واحدًا، ثم واحدًا آخر، ملتفين بطريقنا خلال الشوارع الضيقة للمدينة القديمة. في النهاية، توقف أحمد أمام مظلة ذات لون أحمر زاهٍ تمتد خارجة من مبنى حجري منخفض.

"ها قد وصلنا"، قال أحمد. تبعته إلى الظل. كان المقهى باردًا وذا إضاءة خافتة، ولكنه يزخر بالألوان. أبسطة حمراء وذهبية تتدلى على الحائط الحجري، وتحتها كانت هناك أرائك منخفضة موضوع عليها وسائد زرقاء وبرتقالية ضخمة. وضعت طاولات صغيرة منخفضة مغطاة بمفرش أحمر مُقَلَّم زاهٍ أمام الأرائك. مصباح صغير نحاسي زين كل طاولة.

خلال غداء مكون من الفلفل المحشو بالأرز ومكسرات الصنوبر، ولحم حمل مع الباذنجان المهروس، وخبز بالسمسم، تحدثت أنا وأحمد عن عملنا وحياتنا. أكثر من مرة على الرغم من ذلك، تخلل جلستنا صمت حميمي. قد يقطع الصمت بجملة من أحمد قائلًا: "جرب هذا"، أو يقول "كان هذا جيدًا"، ولكن كانت هناك فترات طويلة من الصمت تركنا فيها الأصوات الآتية من الشارع تسود. شعرت بالبعد عن كل شيء عرفته على الإطلاق.

كانت الشمس تبدأ لتوها في الانخفاض في السماء عندما وصلنا إلى مرسى السفن. رائحة المياه المالحة أضافت نكهة إلى الهواء. كان الميناء مزدحمًا بمراكب كبيرة وصغيرة، وعبّارات تجارية ضخمة تستولي على المساحة. أحمد، كما عرفت، لم يكن فقط ربان سفينة. فهو في الواقع كان يمتلك واحدة من شركات تلك العبّارات الضخمة، ولكنه باعها منذ عدة سنوات. كان الآن شبه متقاعد. احتفظ فقط بمركب واحد من هذا الأسطول؛ وهو عبارة عن سفينة كانت في الأصل مركب صيد وعملت كأول عبارة في الأيام الأولى من عمله. أخبرني: "لم أقوِ على فراقها. أخرجها في رحلات خاصة من حين لآخر

إلى أعلى مضيق البوسفور. لقد حجزت مسبقًا رحلة لليوم عندما اتصل بي جوليان. لذا أخرجها ابني لي".

مشينا أمام أحواض السفن حيث تنتظر العبارات العامة الضخمة، وأمام مراكب السائحين الكبيرة. بجانب أحد أحواض السفن، كان هناك مركب طويل، مسطح ذو مقدمة مزينة، وزينة في مؤخرته، ومظلة متقنة، وحواف عليا تلمع بطلاء ذهبي. "نموذج محاكٍ لمركب صيد السمك الإمبراطوري" قال أحمد. "للسائحين".

في النهاية وصلنا إلى منطقة حيث المزالق تحوي مراكب أصغر. اقترب أحمد من مركب أبيض بسيط ذي كسوة زرقاء. "ها هو"، قال ضاحكًا. "مصدر فخري وسعادتي". كان يبدو كمركب قوي من المراكب الصغيرة التي تسحب المراكب الأكبر. بقرب مقدمة المركب كانت هناك حجرة قيادة صغيرة بلا سقف، وخلف حاجز صغير من الخشب والزجاج كانت هناك وحدة التحكم وعجلة القيادة. وكان هناك مقعد دون ظهر جلدي خلف عجلة القيادة. صفت الأرائك الخشبية في مؤخرة السفينة وبضعة مقاعد موضوعة خلف حجرة القيادة. الطلاء الأبيض والأزرق والأرض متآكلة ولكنها نظيفة. مركب قديم، ولكن معتنى به جيدًا.

"يبدو أننا قد فوتنا لقاء يوسف. حسنًا. ربما خلال زيارتك المقبلة، سأكون قادرًا على تقديمك لأسرتي"، قال أحمد وهو يحل رباط المركب من الحوض الذي يرسو به.

لم يتطلب منا ذلك وقتًا طويلًا أن نخرج من الميناء إلى المضيق المفتوح. كنا نتحرك ببطء، ولكن في هذا الوقت من الليل بدا وكأن كل شيء يعمل بتلك السرعة المتمهلة. سفينة كبيرة بأضوائها المتلألئة تهتز متحركة في اتجاه الشاطئ الأسيوي ومراكب أصغر كانت على بعد. كانت المياه هادئة بشكل غير معتاد. في ضوء الشفق كان يمكنني رؤية اسطنبول تمتد من الشاطئين، وغطاء سابغ من المساجد، والقصور ومبانٍ أخرى أنيقة تفصل بينها أسطح ذات قراميد حمراء، وعمارات سكنية، ونخيل، ومحلات، ومقاهٍ. مررنا تحت

جسر مضيق البوسفور وتوجهنا نحو الشمال. كان بإمكاني رؤية منازل خشبية أنيقة، والتي أخبرني أحمد عنها أنها شاليهات صيفية للأغنياء، تتدلى على حافة المياه كما لو أنها تطفو بدلًا من كونها ثابتة على اليابسة. مع كل دقيقة تمر، يصبح لون السماء الأزرق أغمق، إلى أن بدا القمر المكتمل كلؤلؤة عملاقة تتدلى أمام بركة داكنة. ضوؤه ينعكس على الماء، وقد قلل أحمد من سرعة المحرك الذي هو بطيء بالأساس. كان في إمكاني الشعور بالمركب يهتز على الإيقاع الرقيق للتيار.

"الأجواء مميزة هنا، أليس كذلك؟"، قال أحمد. أومأت بالموافقة.

"لا يبدو الأمر حقيقيًا إلى حد ما"، قلت.

"ولكن يصعب للغاية قول ما هو الحقيقي، أليس كذلك؟"، أكمل أحمد.

"افترض ذلك" لم تكن تلك هي نوعية الأمور التي أمضي الكثير من الوقت أفكر فيها.

ذهبت إلى مؤخرة المركب ونظرت إلى الخلف في اتجاه المدينة التي تختفي.

أكمل أحمد: "هل كنت على علم أن المضيق ليس كالنهر؟ فالمياه لا تفيض في اتجاه واحد فقط".

التفت لأنظر إلى أحمد وهززت رأسي نافيًا.

قال أحمد: "لا، ليس كالنهر على الإطلاق. فالمياه تسحب وتطرد بواسطة مد وجزر المحيطات. فقط مثلما تلتقي أوروبا وآسيا هنا، في تلك البقعة، فإن مياه بحرين، بحر مرمرة والبحر الأسود، تلتقيان معًا ويختلطان. وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا حتى ليس ما يبدو عليه تمامًا".

"ما الذي تعنيه؟"، سألت.

أوضح أحمد: "كان هناك باحثون بحريون من إنجلترا، وكندا، وتركيا يدرسون هذا المضيق منذ بضع سنوات مضت. أتعرف ما الذي اكتشفوه؟" كان وجه أحمد إلى الأمام بينما يقود ولكنه الآن نظر من فوق كتفه إليّ. رفعت كتفيّ وهززت رأسي نافيًا.

"في قاع هذا المضيق، يجري نهر تحت البحر. ماء، وطمي، وترسبات أثقل من المياه المالحة بالأعلى، تتدفق من بحر مرمرة إلى البحر الأسود".

سألت: "نهر تحت المياه؟ ما أغرب ذلك".

قال أحمد: "يجعلك هذا تدرك مدى تعقد الأشياء. وكيف أن الأشياء نادرًا ما تكون ببساطة ما تبدو عليه".

كنت قد تنقلت في المركب والآن انضممت إلى أحمد في مقعد بالقرب من عجلة القيادة. كان كل منا صامتًا لعدة دقائق. ثم مال أحمد إلى الخلف في مقعده.

قال أحمد مفكرًا: "لقد أمضينا الجزء الأفضل من اليوم معًا، ولكن في الحقيقة إننا لا نعرف الكثير عن بعضنا. فكل ما أعرفه فقط عن قريب صديقي العزيز جوليان هو الآتي: أنت مهندس كهرباء، ومتزوج، ولديك ابن يبلغ من العمر ستة أعوام. ولكن من أنت حقًا؟".

لم يكن لدي جواب لذلك. حدق أحمد في تعبيري الفارغ وابتسم.

قال: "والأمر لا يختلف بالنسبة لي. فقد أخبرتك على العشاء أنني مالك شركة يبلغ من العمر ستين عامًا، وإنني أرمل لديه أربعة أبناء كبار. ولكن هل تعرفني حقًا؟".

أجبت: "إنها بداية جيدة على ما أظن. أقصد أنه في إمكاني سؤالك المزيد عن شركتك أو عن أبنائك".

"ولكن سيتطلب منا وقتًا طويلًا لنتعرف على بعضنا البعض حقًا، أليس كذلك؟".

"نعم، أعتقد ذلك".

"هذه هي طبيعة الأمر في العادة. ولكن تخيل فقط إذا بدأنا محادثتنا بالحديث عن أشياء أخرى. ماذا لو أخبرتك أنه بالنسبة لي الحياة تكمن في المياه. منذ أن كنت طفلًا، كل ما رغبت في القيام به هو أن أحيا وأعمل على المياه أو بالقرب منها؟ وكانت أمي تخبرني دائمًا بأني وأنا طفل رضيع

كان الاستحمام هو الوقت الوحيد الذي أكون فيه راضيًا حقًا. المياه، الصيد، السباحة. مراكب، مراكب، مراكب. عندما لا أكون على متن أحد مراكبي، يراودني دائمًا شعور غريب من التململ. في بعض الأحيان كان يصعب على زوجتي وأولادي التعامل مع ذلك. ولكن أفضل أوقاتنا معًا كانت دائمًا على شاطئ البحر أو على متن المركب. إنه كما لو كان في ذلك المكان حيث يمكننا جميعًا أن نكون على سجيتنا. لقد احتجت دائمًا أن أكون في المياه؛ لكي أفكر؛ وأفهم حقًا العالم وحياتي. فعلى متن هذا المركب الصغير، اتخذت قراري أن كانيز هي المرأة التي أرغب في أن أتزوجها. كان هنا حيث فكرت في كل خططي واتخذت أكبر قراراتي". أدار أحمد عجلة قيادة المركب قليلًا: "أشعر أنني إذا أخبرتك بذلك، قد يمكنك حقًا البدء في فهمي".

"أعتقد أن معظم ما نفهمه عن الآخرين هي الأمور السطحية فقط"، قلت مقترحًا.

"نعم" قال أحمد، وهو يومئ برأسه. "وهذا أمر محزن" صمت أحمد للحظة.

"ولكن ليس ذلك هو أكثر الأمور المحزنة" واصل مفكرًا. "أكثر الأمور المحزنة هي أن هذا في العادة ما نفهمه عن أنفسنا، فكثيرًا ما نحيا حياة جيراننا بدلًا من عيش حياتنا الخاصة".

كان من الصعب الجزم حقًا بالمدة التي أمضيناها في البوسفور. المياه الفوسفورية، القمر المضيء، الطنين المهدئ للمحرك جعل الرحلة تبدو كالحلم، لحظة خارج الزمن. ولكن حينئذ كان أحمد يدير عجلة القيادة ويشير إلى نقاط أضواء بعيدة على الشاطئ على الجانب الآسيوي.

"أناضول كفاجي"، قال أحمد مشيرًا إلى الأمام. لا يمكنك رؤيتها، ولكن بالأعلى هناك، على التلة، توجد أطلال القلعة الجنوبية. تعود إلى القرن الرابع عشر. منزلي الصغير في الاتجاه المقابل في أقصى جنوبي القرية، بجانب الشاطئ.

لم يتطلب منا وقتًا طويلًا لنرسو بالمركب ثم نقود السيارة الصغيرة والتي كان أحمد قد جهزها في انتظارنا في ميناء السفن للعودة بها إلى منزله بالقرية. لم يكن المنزل الحجري الصغير يشبه في شيء الشقة التي امتلكها أحمد في المدينة. بلاط التيراكوتا يغطي الأرضيات، وجص غير متساوٍ يغطي الجدران، والألواح الخشبية الداكنة والخشنة للسقف بدا أنها تحمل أصداء زمن بعيد. الأرفف المفتوحة في المطبخ مصفوف بها أوانٍ صينية ثقيلة، وأواني طبخ نحاسية. في أماكن متفرقة كان هناك القليل من زجاج الفسيفساء ذي الألوان الزاهية، ولكن الستائر المجدولة للنافذة والفرش الباهت على الأثاث كان لهما ألوان خافتة تنم عن مرور الزمن. حمل أحمد حقيبة الظهر الخاصة بي إلى حجرة صغيرة. أشار إلى الفراش الصغير، والذي لا يسع سوى فرد واحد، إطاره المحفور عليه يدويًا مسنود على الحائط.

"إنه الفراش الذي نمت فيه بجوار أخويّ" ضحك أحمد. وضع حقيبة الظهر الخاصة بي عند نهاية السرير، ثم قادني مجددًا إلى حجرة المعيشة وسألني: "هل يمكننا الجلوس في الخارج لقليل من الوقت؟".

ارتدينا كنزات وانتقلنا إلى فناء المنزل الحجري الذي يطل على مضيق البوسفور الذي ينيره ضوء القمر. أخبرني أحمد المزيد عن مكانه المفضل؛ المياه.

"يُقال إن البحر الأسود كان يستخدم على أنه بحيرة مياه عذبة. ومنذ آلاف السنين، كان هناك فيضان هائل، فاض البحر المتوسط في مضيق البوسفور هنا وحول البحر الأسود إلى محيط مياه مالحة".

سألته: "والنهر تحت البحر؛ هل تعتقد أنه قد يكون بقايا ذلك؟".

قال أحمد: "هذا هو ما يبدو عليه، أليس كذلك؟ أتعرف، بعض الناس يعتقدون أن الفيضان كان هو الفيضان الذي تحدثت الكتب السماوية عنه؛ فيضان نوح".

"حقًا!" قلت.

"وكذلك الأمر بالنسبة لشخصيات البوسفور في الأساطير اليونانية. هل تعرف جاسون؛ بطل قصة الصوف الذهبي؟".

هززت رأسي بالنفي.

"حسنًا، في الأساطير اليونانية، كان البوسفور موطن صخرتي السيمبليجاديز اللتين ستصطدمان ببعضهما وتسحقان أي سفينة تجرؤ على العبور من هنا. عندما أبحر جاسون في مضيق البوسفور، أرسل حمامة لتطير بين الصخرتين. اصطدمت الصخرتان ببعضهما ولكن الحمامة لم تفقد فقط سوى ريش ذيلها. ثم تبعها جاسون وبحارو الأرغو. قطعت مؤخرة السفينة ولكن السفينة لم تغرق. بعد عبور جاسون، توقفت الصخرتان عن التحرك وأخيرًا أصبح لليونانيين منفذ عبور للبحر الأسود".

ابتسمت وأومأت برأسي. كانت أمي لتحب أحمد وقصصه.

"يا إلهي!" قال مضيفي. "لقد كدت أنسى لمَ نحن هنا بالأساس. تميمة جوليان. دعني أجلبها لك"، وقف أحمد بسرعة ودخل المنزل. عاد بعد بضع دقائق ومعه مربع صغير من الورق المطوي وصرة صغيرة من الحرير الأحمر. أعطاني كلتيهما.

قال: "حسنًا، الآن وقد أصبح لديك ما جئت من أجله، يجب أن نخلد إلى الفراش. فغدًا سوف نستيقظ باكرًا. ونتوجه عائدين إلى اسطنبول. يمكنني اصطحابك إلى آيا صوفيا؛ قبل أن نتوجه إلى المطار. ولكن سيتعين عليك أن تعدني أن تعود يومًا ما حتى يمكنني أن أريك باقي موطني".

وافقت بسعادة، ونهضت مرغمًا من مقعدي.

عندما عدت إلى الغرفة، وضعت الصرة الصغيرة على منضدة دائرية صغيرة بجوار الفراش. جلست على حافة الفراش لدقيقة قبل أن ألتقط الحزمة مجددًا. ببطء فككت المربع الحريري الناعم. كان هناك في المنتصف

عملة نحاسية صغيرة. حسنًا، ليست عملة بالضبط. كان قرصًا، في حجم عملة النكلة. على أحد وجهيه طبعت الشمس، وأشعتها تتألق من دائرة مرتفعة. على الوجه الآخر هلال. وضعت العملة على المنضدة والتقطت قطعة من ورق البرشمان المطوي. فتحتها ووضعتها على ركبتي. قرأت:

قوة الأصالة

أهم هدية يمكن أن نمنحها لأنفسنا هي التزامنا بأن نحيا حياة أصيلة. وعلى الرغم من ذلك، فأن نكون صادقين تجاه أنفسنا ليست بالمهمة السهلة. يجب علينا أن نتحرر من إغواءات المجتمع، ونحيا الحياة بشروطنا، وفقًا لقيمنا الخاصة، التي تتماشى مع أحلامنا الأصلية. ينبغي علينا أن نستفيد من أنفسنا الخفية؛ من خلال استكشافنا لآمالنا، ورغباتنا، ونقاط قوتنا وضعفنا المتأصلة وغير المرئية والتي تجعلنا ما نحن عليه. يجب علينا أن نفهم أين كنا وأن نعرف إلى أين نحن ذاهبين. كل قرار نتخذه، كل خطوة نخطوها، يجب أن تكون مبنية على تعهدنا بأن نحيا حياة حقيقية وصادقة، وأصيلة تجاه أنفسنا، وأنفسنا فقط. وبينما نقوم بذلك، علينا أن نكون متأكدين من أننا سنختبر حظًا جيدًا يفوق تخيلاتنا.

توجهت نحو حقيبة الظهر الخاصة بي، وبحثت عن الجريدة التي أعطاها جوليان لي وأخرجتها. ثم وضعت بنعومة ورقة البرشمان بين أغلفتها ووضعت الجريدة بداخل الحقيبة مجددًا. التقطت التميمة مرة أخرى وقلبتها على وجهيها في يدي. ثم أخذت الجراب الجلدي الصغير من جيبي ووضعت القرص بداخله قبل إزاحة الأغطية من على الفراش والخلود إلى النوم.

استيقظت في الصباح التالي، مدركًا أنني لم أحرك عضلة واحدة طوال الليل. كان ذلك نوع النوم العميق الذي أستمتع به فقط عندما أكون في عطلة. عندما سرت في اتجاه المطبخ، ملأت أنفي الرائحة الرائعة لقهوة تركية لاذعة وداكنة. قام أحمد بتقديم زبادي غني وفاكهة مع القهوة، ثم تعجلني للخروج من الباب، عائدين خلال شوارع القرية الحجرية، ثم إلى المياه مرة أخرى.

بعد أن صعدنا إلى سطح المركب، شغل أحمد المحرك وانسحب بحرص من حوض مرسى السفينة. بمجرد أن خرج المركب إلى المياه المفتوحة، زاد من سرعته. كنا نتحرك بسرعة أكبر من الليلة السابقة، ولكن لم يكن ذلك هو الشيء الوحيد الذي اختلف كليًا.

بالرغم من الساعة المبكرة من النهار، فإن الشمس كانت تتوهج في السماء. القرى، الوديان الخضراء، المياه؛ كل شيء بدا ساطعًا وصافيًا، حادًا ونابضًا بالحياة. كان مذهلًا؛ ولكن الأسطورة وغموض الليلة الماضية قد تبخرا. قلت لأحمد: "كل شيء يبدو مختلفًا للغاية. جميل ولكن مختلف".

قال أحمد مفكرًا: "نعم. دائمًا ما أكتشف ذلك بنفسي. الليل يخفي أشياء عديدة، ولكنه يكشف عن أشياء أخرى".

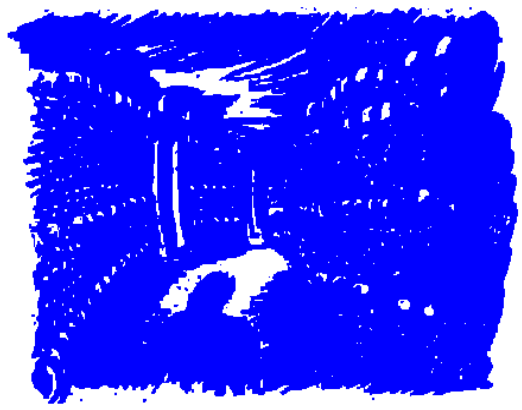
قلت: "يحدث ذلك في المدن، أيضًا. فبعضها يبدو ساحرًا في الليل ولكنه ممل للغاية في النهار".

"وعلى الرغم من ذلك، فإن كلتا النسختين على القدر نفسه من الصواب". توقف أحمد، ثم أضاف: "أعتقد أن ذلك هو السبب في أنه ليست فكرة جيدة مطلقًا أن تصدر أحكامًا سريعة على الأشياء. فالأمر يتطلب وقتًا طويلًا لتعرف حقًا الأماكن، والأشخاص، بل وحتى أنفسنا".

كان المركب يطن عبر الماء بينما تجمعت الطيور في دوائر وتمايلت من فوقنا. بالأعلى في الأمام، كان يمكنني رؤية رجلين يلقيان بشبكة من مركب

صيد صغير. صبي صغير انفصل عن مجموعة من الأشخاص كانوا مجتمعين في ميناء رسو السفن ولوّح إلينا بشدة. شعرت للحظة أنني سافرت عبر تلك الشواطئ من قبل ولكنني ألاحظها الآن فقط للمرة الأولى.

"نعم" قلت لصديقي الجديد، أحمد. "نعم، إنني أبدأ في رؤية الحقيقة في ذلك".



الفصل الرابع

كانت هناك لحظات عندما كنت أتجول في اسطنبول شعرت فيها كما لو كنت شخصية في فيلم. كما لو كنت أرى العالم من خلال آلة تصوير، كما لو أن كل كلمة خرجت من فمي كتبت بواسطة شخص آخر. كان ذلك مربكًا ولكن في الوقت نفسه منعشًا؛ كما لو أن العالم مليء بالاحتمالات. الليلة التي طفوت فيها بالمركب على مياه مضيق البوسفور، والقمر بالأعلى، والمياه بالأسفل، لا أعتقد أنني شعرت بهذا الإحساس من الدهشة والإعجاب منذ أن كنت طفلًا. قال جوليان إن الحياة تدور حول "ما تصبح عليه". كنت أبدأ في الشعور بذلك.

ولكن هنا، وأنا جالس في مطار أتاتورك، كانت اسطنبول *تلك* تتلاشى سريعًا من ورائي. كنت قد أغلقت هاتفي في ظهيرة اليوم السابق، وإلى الآن، نسيت أن أفتحه. طن الهاتف عند فتحه، مظهرًا صندوق بريد مليئًا بسطور مواضيع شبه هستيرية مثل: "طلب شحن عاجل"، "أسئلة لمركز رقابة

الجودة"، "تقارير الحساب الشهرية المستحقة!"، "أين أنت بحق الجحيم؟". لاحظت عدة رسائل من ناوانج ولكنني بدأت بقراءة تلك الرسائل الأولى. بدا كما لو أن اختبارات مركز رقابة الجودة الأولى تسير بشكل جيد. ثم عالجت الرسائل التي وردت من ديفيد، والتي هي مجرد مطالبات بتقارير سلمتها إليه مسبقًا، ومعلومات شاركته إياها مسبقًا. كم أهدرت من وقتي وأنا أعيد إرسال أشياء، وأكرر نفسي، وأقوم بعمل مستندات ورسائل لم يهتم أحد مطلقًا بقراءتها (ولكنها على الرغم من ذلك كانت واجبة الأداء، وكانت تسلم في ميعادها؛ كل شهر، وكل أسبوع). مرت أربعون دقيقة قبل أن ألتفت إلى الرسائل الواردة من أنيشا وآدم. أرادت أنيشا معرفة إذا كنت قد وصلت اسطنبول بسلام. اللعنة. كان يجب علي إعلامها بمجرد وصولي. أراد آدم أن يخبرني عن مسرحيته المدرسية. كتبت ردودًا سريعة ثم هاتفت المكتب أملًا أن أتمكن من اللحاق بناوانج.

في الوقت الذي أرشدت فيه إلى مقعدي بالطائرة، كنت قد عدت بالكامل إلى عالمي. لم يكن في إمكاني أن أواصل تجاهل عملي، حياتي، في كل مرة أصل فيها إلى مكان جديد. وإذا لم يكن البريد الوارد لهاتفي ممتلئًا في المرة التالية التي سأفتح فيها هاتفي، فما عساه قد يعني ذلك؟ لا يمكن أن يكون ذلك أمرًا جيدًا. سحبت بعض الأشياء من أمتعتي التي أحملها معي ثم صارعت لأضع أمتعتي في الصندوق المخصص أعلى رأسي. كان في إمكاني سماع الشخص الذي خلفي يتنفس بصوت عالٍ. وكان هناك بالفعل طفل رضيع يبكي منتحبًا في مؤخرة الطائرة. تقبلت الأمر مرغمًا وتنهدت. بينما كنت أعاني من المقاعد التي بحجم مقاعد روضة الأطفال، والتي أصبحت مستخدمة كمقاعد في خطوط الطيران الجوية هذه الأيام، كان في إمكاني الشعور بعضلات رقبتي تصاب بالشد. الجراب الجلدي الذي أعطاه لي جوليان من أجل التمائم كان في حبل جلدي طويل. كنت قد وضعته حول عنقي، متوصلًا إلى أنه بهذا الشكل

تقل احتمالية فقدانه. ولكن الآن يمكنني الشعور بالحبل الجلدي يضغط بشدة على جلدي. كان الجراب يشعرني بثقل غير طبيعي. فقد كان ثقيلًا جدًا مقارنة بالتميمة الصغيرة التي يحويها. أغلقت حزام أمان مقعدي، ثم سحبت الجراب من تحت قميصي. أخرجت العملة الصغيرة وقلبتها على وجهيها. الشمس والقمر. ين ويانج. القلب والعقل. الجنة والأرض. المخفي والمكشوف. وضعتها في الجراب وأسقطت الجراب الجلدي مجددًا تحت قميصي.

ثم سحبت الجريدة من جيب سترتي. كانت رسالة جوليان عن الأصالة بداخلها. لم أفكر بها حقًا منذ أن قرأتها أول مرة. ففي اسطنبول، شعرت كما لو أنني لا أحيا حياتي حقًا. أو ربما كان الأمر يشبه أكثر الوقوف خارج حياتي، أنظر إليها كما قد ينظر إليها غريب. الآن أتساءل إذا كان ما رأيته حقيقيًا. ماذا كانت "نفسي الأصيلة"؟ من كنت أنا، في الحقيقة؟ أتذكر محادثتي مع أحمد على متن المركب. كنت قد أخبرته أنني مهندس كهرباء. زوج. أب. كل تلك الأمور كانت صحيحة، ولكن يمكن أن تنطبق كذلك على آلاف من الرجال الآخرين. كيف سأصف نفسي إذا لم يكن في إمكاني الاعتماد على ست التصنيفات الثلاثة؟

سحبت الطاولة المتحركة ووضعت دفتر اليوميات مفتوحًا أعلاها. كما قلت، لم أكن مطلقًا الشخص الذي يمضي وقتًا طويلًا في التفكير الذاتي. ففي الغالب، كان ذلك بسبب أنني لم أستطع رؤية جدوى ذلك.

أخذت قلمًا من جيبي وفي أعلى الصفحة الأولى، كتبت "من أكون؟". شعرت بأنني أحمق.

حدقت في الصفحة الخالية إلى أن قطعت مضيفة الطيران شرودي بتقديمها مشروبًا لي. فعلت ذلك بابتسامة مشرقة ثم واصلت المشي في الممر. أخذت رشفة من القهوة وكنت على وشك إغلاق دفتر اليوميات بقوة ولكنني أوقفت نفسي. كان هذا سخيفًا. يجب عليّ أن أكون قادرًا على إجابة السؤال الذي طرحته.

ولكن حتى بعد أن أنهيت قهوتي كنت أحدق في صفحة خالية. كانت مدة الرحلة أربع ساعات تقريبًا. وكنت قد وعدت نفسي أنني سأكتب شيئًا قبل أن تنتهي. ربما إذا لم يكن في مقدوري وصف ذاتي "الأصيلة"، يمكنني التفكير في أوقات بحياتي شعرت فيها أنني أعرف من كنت حقًا، عندما شعرت أنني واعٍ بحياتي، عندما شعرت أنني أحيا تمامًا كما أرغب عوضًا عن العيش وفقًا لما اقترحه عليّ كل شخص من حولي.

أول شيء كتبته كان "وقت القصة". بدت كلحظة غريبة لإبرازها لأنها لم تكن لحظة واحدة أو حتى وقتًا واحدًا. وقد كان ذلك منذ وقت طويل، طويل للغاية. خلال جميع سنوات طفولتي، كان لدينا طقس عائلي. بمجرد أن نفرغ من العشاء والاستحمام، كانت أمي تصطحبني أنا وأختي إلى داخل إحدى غرف نومنا. يعتلي ثلاثتنا الفراش، وتبدأ أمي في القراءة. عندما كنت صغيرًا، كانت تلك الكتب كتبًا مصورة. فيما بعد، كانت روايات قصيرة، ثم، في النهاية كانت كتبًا مطولة مثل Kidnapped و Gulliver's Travels. داومنا على ذلك لفترة أطول مما قد أعترف به أبدًا لأي من أصدقائي. كان هناك شيء ما فيما يخص تلك الأوقات كطفل، وعلى الرغم من ذلك، فقد عمل ذلك كمقياس اختبار بالنسبة لي. فمهما حدث خلال اليوم، ومهما كانت المشاكل التي وقعت فيها، والمشاجرات التي خضتها أنا وكيرا، والكوارث التي حدثت لي في المدرسة، في تلك الساعة في الفراش من الليل، وصوت أمي الخفيض يتردد في الهواء، وصوت أبي بالأسفل يقرع الأواني في أرجاء المطبخ بينما ينظف، وصوت تنفس أختي الراضي يملأ الفراغات، كان كل شيء في مكانه الصحيح. كنت أعرف من أنا وأين أنتمي.

بعد ذلك كتبت عن ذكرى أكثر تحديدًا. كتبت: "التنزه سيرًا على الأقدام مع أنيشا في جبال روكي". كان ذلك قبل أن نتزوج مباشرة. عندما كنا نتسلق طريق بحيرات جراسي خارج كانمور، مدينة في كندا الغربية، كنا قد عبرنا جدولًا صغيرًا. كانت أنيشا تتبعني، اقتربت منها لأساعدها على العبور. عندما

وصلنا إلى قمة الطريق، حدقنا في المناظر الطبيعيةَ من حولنا، الجبال التي تحيطنا. ثم نظرت إلى أنيشا. أتذكر بكل وضوح أنه كان يسيطر عليّ إحساس أن ذلك المكان الخيالي كان تمامًا حيث أرغب أن أكون، تمامًا حيث يتوجب علي أن أكون في تلك اللحظة.

بالطبع، حينها لم يكن بوسعي تخيل الشعور الذي سيطر عليّ عندما ولد آدم. كانت تلك هي نقطتي الثالثة. أتذكر التفكير، بينما أحمله وبينما أنيشا تغفو في فراش المستشفى، بأن مكاني في الكون قد تم تعريفه إلى الأبد من خلال هذا الطفل الصغير. كنت أبًا. وسأكون كذلك للأبد. كان هناك يقين حول ذلك والذي كان جللًا وعلى الرغم من ذلك يبعث على الراحة.

وأخيرًا كتبت "تشغيل تجريبي لتصميم حقن إلكتروني للوقود". بدا كحدث تقني مهني غريب ليتبع مولد آدم، ولكن هكذا كان الأمر. المشروع المستقل الأول الذي أتممته بالعمل. كان جوان قد طلب مني أن أحاول صنع نظام جديد للحقن الإلكتروني للوقود. قال: "لا تقم فقط بإدخال تعديلات لتحسين التصميمات السابقة. لقد تحدثت إليّ عن القيام بالأمور بشكل مختلف. إذًا، فلتقم بذلك. ابدأ من الصفر. أعد التفكير في الأمر برمته".

عملت لأشهر على هذا التصميم. ولكن بالكاد شعرت بذلك. كنت أجلس على مكتبي في الصباح وبالكاد أتحرك إلى أن تكون الساعة ٦ مساء. كنت أخرج من سيارتي في المساء، وأقف في ممر السيارة بمنزلي وأتساءل كيف وصلت إلى هناك. كنت منهمكًا للغاية بالأفكار، ومفعمًا بالطاقة. كنت أستيقظ في الصباح متلهفًا للذهاب إلى العمل.

عندما قدمت في النهاية رسوماتي وتخطيطاتي إلى جوان، نظر إليها متأملًا ثم أخبرني: "حسنًا. هناك حقًا طريقة واحدة فقط لنكتشف إذا كان ذلك سينجح. دعنا نصنعه".

وهكذا فعلنا. ثم شغلناه. وفي النهاية وضعناه في سيارة. وقدنا تلك السيارة. لم أنم على الإطلاق في الليلة التي سبقت ذلك. أثناء مشاهدتي

للسيارة تسرع حول المسار الاختباري، كنت أكاد أسمع قلبي يدق، كساعة بندولية.

كتبت أربعة أمور. كان هذا كافيًا ليوم واحد. أغلقت الدفتر ووضعته في جيبي. أملت مقعدي إلى الخلف إلى أقصى حد له؛ أغلقت عيني وحاولت النوم.

بمجرد أن وصلت إلى صالة الوصول بمطار شارل ديجول، بدأ نبضي في التسارع. بدا صف تفتيش الجمارك دون نهاية، وكأنما انتظار حقيبتي سيستمر إلى الأبد. عندما اندفعت خارجًا من الأبواب الزجاجية أمام موقف سيارات الأجرة، أسرعت في اتجاه أول سيارة أجرة كطفل يركض نحو شاحنة مثلجات. فأنا أحب باريس، وكنت متشوقًا للبدء في المشي في شوارعها.

ولكن جولة سيارة الأجرة بالمدينة كانت بطيئة. فقد كانت الساعة ٦ مساء تقريبًا، والطريق العام كان مزدحمًا بالمرور. بعكس الوقت الذي أمضيته في اسطنبول، كان ذلك مألوفًا على نحو غريب بالنسبة لي. كنت محاطًا بالمتنقلين من وإلى أعمالهم: سائقون يشاهدون الطريق بنصف انتباه، ازدحمت أذهانهم بأفكار عن يومهم؛ تدور حول ما الذي أنجزوه وما الذي سيواجهونه في الغد. كان ينبغي أن يكون حالي هكذا؛ فقط في النصف الآخر من الكرة الأرضية. بدلًا من ذلك، ها أنا ذا مسافر أتجول خلال مشاهد طبيعية تبدو مألوفة لي، وعلى الرغم من ذلك فهي غريبة عني. الجدران الرمادية لمباني الضواحي المرتفعة المصفوفة على الطريق السريع ذكرتني بأنني، في مدينة تعداد سكانها بالملايين، لا أعرف أحدًا.

كان جوليان قد أخبرني أنني سأمكث في فندق في الشانزليزيه. ولكنني لم أرغب في الخروج من سيارة الأجرة عندما توقفت أمامه. كدت أن أخبر السائق أن يواصل القيادة. لا شيء أسعدني في هذه اللحظة أكثر من فكرة القيادة خلال شوارع باريس حتى غروب الشمس؛ أضواء برج إيفل تومض في الخلفية

في كل مكان نذهب إليه. على الرغم من ذلك، قال جوليان إنني سألتقي برجل يسمى أنطوان جوشيه، لكنه لم يستطع إخباري متى تحديدًا. قال إن أنطوان سيترك لي رسالة في مكتب الاستقبال بالفندق، يخبرني فيها أين سألتقيه. وأحسب أن أنطوان قد يكون حتى في انتظاري الآن. ففي النهاية، جوليان قد قال إن "أنطوان شخص مثير للاهتمام. قد يكون لقاءً غير اعتيادي".

بينما ابتعدت سيارة الأجرة، بعيدًا عن حي الشانزليزيه، دفعت بنفسي خلال أبواب الفندق. كان بهو الفندق مزدحمًا. عشرات الأشخاص في ثياب العمل، يرتدون بطاقات التعريف حول أعناقهم، ويصطفون أمام مكتب الاستقبال، مع تواجد أعداد أكبر منهم في تكتلات في أرجاء بهو الفندق. بالقرب من مكتب الحارس، كانت فتاة صغيرة تجلس أعلى حقيبة سفر تنتحب. وامرأة ذات مظهر جامح تراقبها، وتبحث في حقيبتها عن شيء ما. كان يتردد في البهو أصداء الصياح، الضحك، الثرثرة، العبرات.

أعتقد أن رحلة الطيران وجولة السيارة من المطار والضوضاء قد أنهكتني قليلًا؛ لأنه في الوقت الذي توجهت فيه نحو مكتب الاستقبال كنت قد توقفت عن التفكير في الأضواء الساطعة لباريس، وأصبحت أفكر في مقعد بمقهى ومشروب. عندما سلمني الموظف مفتاح الغرفة قائلًا "غرفة ١١٣٢"، فقدت القدرة على التحكم في مشاعري.

قلت: "لا، بالتأكيد لا". لم أكن حتى أحاول التحدث بالفرنسية. "لا شيء أعلى من الطابق الرابع". نظر إليّ الموظف بتساؤل. قلت: "لا أستطيع..."، ثم توقفت. لم أكن راغبًا في تفسير ما قلته.

ذاتي الأصيلة؟ حسنًا، إليك القليل عن ذاتي الأصيلة. إنني أعاني من رهاب الأماكن المغلقة، أشعر بالذعر من المساحات الصغيرة المزدحمة. وهذا يجعل المصعد بمثابة تحدٍّ بالنسبة لي. لا يعرف الكثير من الناس هذا عني؛ فلقد جعلت صعود الدرجات يبدو كجزء من التفاني في اتباع نظام حياة صحي. بدأ جوان في الإشارة إلي باسم "أستاذ السلالم" بعد أن صعدت الدرجات إلى

جناح ضيافة بالطابق الثامن عشر في مؤتمر للسيارات. ولكن الحقيقة كانت أنني أفضل أن أبدو متعرقًا وألتقط أنفاسي بصعوبة أمام زملائي على أن أبدو مذعورًا.

تطلب الأمر بضع دقائق من موظف الاستقبال ليجد لي غرفة في الطابق الرابع. قبل أن أغادر الاستقبال، وضع الموظف أمامي مظروفًا صغيرًا مع مفتاح غرفتي. لا بد أنه من أنطوان، فكرت وأنا أضعه في جيبي. أرسلت حقائبي إلى الأعلى مع عامل الفندق وتوجهت إلى السلالم.

بمجرد أن دخلت الغرفة، خلعت حذائي وسقطت على الفراش. استندت إلى الخلف وسحبت المظروف من جيبي. كان يحتوي على ورقة واحدة مكتوب عليها هذه الملاحظة القصيرة: "أنطوان جوشيه؛ موظف أرشيف. سراديب الموتى في باريس، ١، شارع الكولونيل هنري رول تانجيه. رجاءً، قابلني في مكان عملي. الأربعاء، الساعة ١٧:٣٠، بعد أن يغلق المتحف أبوابه".

من الواضح أن أنطوان لم يكن شخصًا ثرثارًا.

يوم الأربعاء؟ كان ذلك غدًا. سيكون لدي اليوم بأكمله في باريس لنفسي. كان رد فعلي الأول هو السرور. يوم للتجول في أنحاء واحدة من أكثر المدن روعة على ظهر الكوكب. أين سأذهب؟ كاتدرائية نوتردام؟ حي لاماريه؟ تل مونتمارتر؟ متحف اللوفر؟ ولكن فكرة أخرى بدأت في دفع تلك الأماكن بعيدًا عن ذهني. يومًا بأكمله. سحبت هاتفي من جيبي. لقد كنت بعيدًا ليومين؛ ولا يزال أمامي ثماني تمائم لأجمعها. بهذا المعدل، ما مدى طول الفترة التي قد أتغيبها؟ ثلاثة أسابيع بدت فترة محتملة، ولكنها طموحة للغاية؛ وماذا إذا وقع أمر خاطئ؟ حاولت أن أبطئ من تنفسي وأرخي فكي المتصلب. لم يكن هناك شيء يمكنني فعله حيال التوقيت. لذا، فلمَ القلق حيال ذلك، أخبرت نفسي. اهدأ، اهدأ. تمتع بالفرصة التي أتيحت لك. أخذت نفسًا عميقًا وتوجهت إلى الحمام لكي أستحم.

بينما كنت أتنزه متجولًا في حي الشانزليزيه عندما بدأت الشمس في المغيب، شعرت بأنني حزين. فقد كانت باريس حقًا المكان الذي تتواجد فيه مع شخص آخر. شاهدت أزواجًا يمسكون بأيدي بعضهم البعض وهم يسيرون، رجال ونساء يميلون بقرب بعضهم البعض بينما يجلسون على طاولات صغيرة في مقاهٍ متراصة في الشارع. لو كانت أنيشا هنا... لو كانت أنيشا هنا، كان سيتعين علينا التحدث عن علاقتنا. ما الخطأ الذي حدث، كيف كنت أحبطها، وأخيب آمال أدم. اللعنة. سحر باريس كان يتبخر. فلتغير الموضوع. كيف سيكون الأمر إذا تواجدت هنا مع تيسا؟ كان ذلك أفضل. رومانسية المجهول.

سرت لمسافة في الحديقة قبل أن ألتف وأتوجه عائدًا إلى الطريق الواسع. كان في إمكاني رؤية لمحة من قوس النصر الرائع على بعد. توقفت عند واحد من المطاعم الصغيرة لأتناول الغداء. كنت أتضور جوعًا. طلبت سلطة وإبريقًا زجاجيًا من العصير. ويتبع ذلك طبق من البط، ثم تشكيلة من الجبن لإكمال الوجبة. هكذا يجب أن يكون الطعام.

كان المطعم الصغير مزدحمًا. حاولت استراق السمع للمحادثات التي تجري من حولي. أم وابنتها، من الواضح أنهما في عطلة. ما الذي سيقومان به في الغد؟ سيتسوقان أم سيستقلان القطار إلى فيرساي؟ بعض رجال الأعمال يتحدثون عن عرض تقديمي سيقومون به في نهاية الأسبوع. زوجان يتحدثان عن كلب جيرانهم سيئ الطباع.

أمضيت وقتًا طويلًا في تناول صينية الجبن، ثم سددت فاتورتي وتوجهت عائدًا في الليل. كانت الشمس قد غربت، ومدينة الأضواء كانت مضيئة. شققت طريقي نحو طريق قوس النصر وصعدت الثلاثمائة درجة أو ما يقرب من ذلك إلى السطح. لن أصعد إلى برج إيفل (بسبب المصاعد)؛ لذا تلك كانت أفضل ثاني طريقة للنظر إلى المدينة. بمجرد أن وصلت إلى الأعلى، سرت حول محيط منطقة المشاهدة. كان برج إيفل يتلألأ غربًا. العربات وسيارات

الأجرة تشع من كل اتجاه من الشوارع بالقرب من ميدان دو ليتوال (ميدان النجمة). أشخاص تبدو ضئيلة تتحرك على الأرصفة، من وإلى واجهات المحلات والمداخل. أناس كثيرة للغاية، وحيوات كثيرة للغاية؛ جميعها مختلفة، جميعها تتبدل وتتغير. هل كان كل أولئك الأشخاص يعيشون حياة "أصيلة"؟ وإذا لم يكونوا كذلك، فهل لديهم علم بهذا؟

كنت لا أزال غير متأكد عما كانت "حياتي الأصيلة"، ولكن كان لدي شك أنني لا أحياها. فإذا كنت أحياها، فهل كان سيوجد الكثير للغاية مما أود تجنب التفكير فيه؟ أنيشا؟ أبي؟ جوان؟ إذا كنت أحيا حياة أصيلة، ألم أكن لأشعر بسعادة أكبر أغلب الوقت؟ التفت لأتوجه عائدًا لأهبط درجات السلم. أدور وأدور نازلًا الدرجات، الجدران الحجرية باردة وصامتة. مع كل التفاف، شعرت بالطاقة تستنزف مني. لقد كان يومًا طويلًا. لقد كانت عدة أيام طويلة، في الواقع. منذ لقائي بجوليان، جرى الأمر بسرعة فائقة. بدا منزلي وعملي بعيدين الآن. والأسابيع المقبلة لاحت أمامي كعلامات استفهام ضخمة. حان الوقت لأتوجه إلى فراش الفندق؛ حان الوقت لغفلة النوم.

في الصباح التالي، ركبت المترو إلى حي ماراي بباريس، إلى قهوة صغيرة تذكرتها من زيارة سابقة. قهوة بالحليب وكرواسون بالشيكولاتة. بينما جلست على الطاولة الصغيرة، أخرجت هاتفي. رددت على بضع رسائل ثم تحولت إلى شبكة الإنترنت. كتبت "سراديب الموتى في باريس".

كنت قد سمعت عن السراديب ولكنني لم أرها مطلقًا. وأنا أقرأ عنها الآن، بدا ذلك قرارًا حكيمًا للغاية.

كما فعل الناس في الدول المسيحية الأخرى، دفن الباريسيون موتاهم في المقابر بباحة دور العبادة. المشكلة، على ما يبدو، كانت أنه مع مرور القرون، بدأت تلك المقابر في الامتلاء. وبالطبع، مع تقدم الزمن، ازداد عدد السكان

الذي يحيا حول المقابر. في أواخر القرن الثامن عشر، اكتظت أرض المدافن بضحايا الطاعون، والوباء، والمجاعة، والحرب. ولعقود، كانت الجثث تُكدس واحدة فوق الأخرى، وأراضي الدفن كانت تلفظ بعظام ولحم متحلل عبر الوحل. الهواء حول تلك الحقول كان عطنًا؛ فالتربة الناضحة كانت تلوث الماء ومؤن الطعام. الفئران حاملة الأمراض غزت المنازل والساحات العامة، وفي حادث بعينه مروع، تهاوت الجدران في قبو مطعم تحت ضغط المحتويات المتعفنة لمقبرة القديسين الأبرياء في الجانب المقابل. الجثث والعظام فاضت داخل قبو المطعم. قرأت أن بَنّاءً كان يتفقد تلك الفوضى؛ أصابته غرغرينا بعد وضع يده على بقايا حائط القبو.

لا بد أنه كان هناك غضب واعتراض شعبي خلال تلك السنوات؛ ولكن على ما يبدو أن الجدار المتداعي بجوار مقبرة القديسين الأبرياء هو الذي جعل البرلمان يغلق المقبرة ووجه عقل ملازم شرطة، ألكسندر لينوار، لإيجاد حل. بعد مرور خمس سنوات على كارثة مقبرة القديسين الأبرياء بدأ المسئولون الحكوميون في تنفيذ اقتراح لينوار والذي ينص على أن يتم نقل الجثث من المقبرة والجثث الأخرى الموجودة في أرجاء المدينة إلى محاجر القرون الوسطى تحت الأرض. اختيرت الأنفاق التي تقع جنوب بوابات المدينة؛ ونبشت العظام من مقابر الباريسيين ونقلت في مواكب مطولة إلى المدافن المخصصة الجديدة. لم تكن هناك وسيلة تسمح بالحفاظ على الهياكل العظمية دون المساس بها؛ لذا عوضًا عن ذلك، صنفت العظام وفقًا للنوع وجمعت ورتبت على طول جدران النفق مع شواهد قبور أخذت من المقابر الأصلية. السراديب، كما علمت، تحوي عظام جثث ستة ملايين شخص.

أثناء قراءتي، نظرت إلى صور قليلة وشعرت بالارتياح أن أنطوان طلب

مني مقابلته في نهاية اليوم بعد أن تغلق السراديب. فمن المستحيل أن أقوم بجولة فيها. فتمضية وقت مع أكوام من العظام أمر سيئ بالدرجة الكافية؛ ولكن بالإضافة إلى ذلك أن يتم هذا في أنفاق صغيرة ومظلمة... شمرت بدوار لمجرد التفكير في ذلك.

بعد الإفطار، تجولت في الطرقات. عند حلول منتصف النهار، كانت الشمس حارة، وساطعة بشدة في سماء ربيع صافية. السطوع والدفء النابض ذكرني بتميمة "الأصالة": تلك العملة الصغيرة للشمس والقمر. من المفترض أن تحوي نوعًا من القدرة المجددة. كيف يعمل ذلك تحديدًا؟ هل ساعدتك على أن تصبح ذاتك الأكثر صدقًا؟ وإذا كانت قد قامت بذلك، فكيف كان ذلك شافيًا؟ بينما أمشي، نظرت إلى الوجوه من حولي. بدأت في لعب لعبة صغيرة، تحديد إذا ما كان كل شخص أمر بجواره يحيا حياة أصيلة أم لا. الشاب الطويل الذي يقرأ دليل باريس لا يحيا حياة أصيلة. الطفل الذي يمسك بكلب صغير محشو يحيا حياة أصيلة. النادل الكهل الذي يقف في مدخل مطعم صغير والذي يسحب سيجارة ويعبس، لا. المرأة التي تضع عرضًا لأوشحة ذات ألوان زاهية في واجهة متجر، تحيا حياة أصيلة. واصلت القيام بذلك لمسافة عدة وحدات سكنية، قبل أن أبدأ في التساؤل ما الذي جعلني أتوصل لتلك الاستنتاجات؟ فكرت، لقد كانت نظرة معينة من الرضا تعلو وجوه الأشخاص الذين جعلوني أشعر أنهم يحيون حياتهم "الحقيقية" في مقابل أولئك الذين يحيون حياة بلاستيكية أقنعهم المجتمع بتبنيها. نظرة اقترحت أنهم كانوا واثقين ممن هم عليه، وما هو المهم بالنسبة لهم، وما الذي تمثله أيامهم. من أيضًا كان يمتلك تلك النظرة؟ أعتقد أن أمي وأبي كانا يمتلكانها. ربما كان هذا مجرد افتراض طفل، ولكن حتى عندما كانا يشتكيان من منزلنا الصغير المزدحم، أو من حالة سيارتنا المزرية فإنهما بديا غير منزعجين، بل في الواقع،

دائمًا ما كانا راضين تمامًا. قادني ذلك إلى الجنون. فكرت في بضعة أصدقاء، ثم قفز وجه جوان إلى ذهني. ليس جوان في السنوات الأخيرة، إنما جوان الذي التقيته عندما عبرت أبواب الشركة للمرة الأولى.

لا بد أن جوان كان في أوائل الأربعينات عندما التقيته؛ ولكنه كان يمتلك التعبير الحكيم والحماس الفكري لطالب علم كبير في السن. خلال مقابلتي مع جوان، بدا مشوشًا، بل وحتى غير مبالٍ؛ لذا فوجئت عندما اتصل ليعرض عليّ الوظيفة. بعد ذلك عرفت أنه خلال مقابلتي مع جوان كنت قد رأيته ببساطة وهو شارد الذهن. على ما يبدو أنه كان معجبًا للغاية بأدائي في اختبارات القدرات، وخبراتي السابقة بالعمل، وملاحظاتي الافتتاحية إلى حد أنه كان يفكر مقدمًا في المشاريع التي يمكن أن يوكلها إليّ. في يومي الأول، على الرغم من ذلك، تلقيت الترحيب من جوان وهو يولي لي اهتمامه بالكامل.

"ها هو ذا!" أعلن جوان بينما كنت أمر من مدخل الباب. "تعالوا جميعًا" قال لأولئك المنتشرين في أرجاء المعمل. "تعالوا، لتقابلوا العضو الجديد في فريق عملنا، الشاب ولكن على الرغم من ذلك مثير للإعجاب، جوناثان لاندري".

كانت هناك مقدمات تعريفية وجولة، وغداء لفريق العمل فيما بعد في مطعم محلي صغير. جعلني جوان أبدأ في الحال؛ حيث جعلني أعمل على إعادة التصميم. أمضيت الظهيرة منكبًا على شاشة الكمبيوتر، واعيًا في كل ثانية تمر بمدى رغبتي في النجاح. وفي حوالي الساعة الخامسة، شعرت بيدٍ على كتفي. نظرت إلى الأعلى فوجدت جوان يبتسم لي. قال: "يمكنني القول بأن اليوم الأول كان مزدحمًا للغاية، أليس كذلك؟ لدي بعض الأعمال الورقية لأنهيها؛ ولكن يتعين عليك أنت أن تتوجه إلى المنزل. شعرت أنني بالكاد قد أنجزت شيئًا، ولكن ثقة جوان فيّ كانت مطمئنة. أخذت نفسًا عميقًا، وحفظت عملي ثم أغلقت جهاز الكمبيوتر.

استمر الأسبوع بأكمله على هذا النحو. كنت أجلس منكبًا على جهاز الكمبيوتر، بتركيز شديد، وفقط حين تبدأ كتفاي في الانحناء أو يبدأ الصداع في النخر في أصداغي، يظهر جوان بجانبي ليسألني كيف أبلي أو ليقدم اقتراحًا، أو حتى في بعض الأحيان، ليقترح علي أن آخذ استراحة قصيرة. ولكن على الرغم من كل دعمه لي، فقد ارتكبت خطأ قبل أن ينتهي شهري الأول؛ فقد أدى خطأ سهو في الحسابات إلى رفض مخططات تصميم العينات. أتى مدير جوان إلى المعمل ورمى مجموعة من الأوراق على إحدى الطاولات. "عمل من هذا؟" سأل. ظهر جوان في الحال، والتقط الأوراق وتفحصها.

أجاب: "أعتذر بشدة، يا كارل. يمكنني رؤية أننا قمنا بخطأ هنا. سأتأكد من إحضار المخططات المصححة إليك بنهاية اليوم". حام كارل للحظة، ملقيًا نظرة متشككة في اتجاهي. "أتحمل أنا مسئولية هذا الخطأ" قال جوان وهو يتجه نحو الباب، مجاولًا بوضوح إخراج كارل من المعمل. "ولكنه خطأ يسهل إصلاحه. سنعمل على تداركه في الحال".

بعد أن اختفى كارل في الردهة، أتى جوان إلى محطة عملي. "إن ذلك فقط يظهر أن علينا أن نكون حريصين للغاية في عملنا" قال بينما أسقط التقرير أمامي. "ولكن يجب ألا تخشى مطلقًا الوقوع في الأخطاء"، وأضاف "فهكذا نتعلم".

هكذا كان جوان باختصار. لم يوجه لومًا لي ولا إلى الشخص الذي تحقق من عملي قبل أن يتم إرساله إلى المدير. هادئ وحكيم. إيجابي على الدوام. كان داعمًا لكل شخص يعمل معه. لقد استطاع إبراز أفضل ما فينا. أؤمن بذلك حقًا.

في ذلك الوقت، لم أكن لأتخيل، أنه بعد مرور ثماني سنوات، سيختفي

جوان. وقبل أن يختفي جوان تمامًا، كان كل ما خلّفه الرجل وراءه هو نسخة منه مثقلة بالهموم، ومتعبة. انحنت كتفاه، وأصبح التعب والإرهاق باديين على وجهه، وأصبح شعره رماديًا بشكل صادم. كنت قد توقفت عن العمل معه، بل والأسوأ، لم أعد حتى أتحدث معه بعد ذلك.

ظهور نهر السين قاطع أفكاري عن جوان. كنت قد وصلت إلى جسر نوتردام. عبرته ثم تجولت في الطرقات إلى أن وصلت إلى الكاتدرائية. وقفت لوقت طويل خارج تلك الأبواب البديعة، والجدران الحجرية وقد غطتها صور القديسين وحيوان الكرغل، وزجاج النافذة المستديرة يسطع في الشمس. يا له من عمل يخلب الألباب! يا له من إنجاز نشعر بالضآلة أمامه! أخرجت هاتفي والتقطت بعض الصور لأريها لآدم عندما أعود إلى المنزل. ثم توجهت إلى الداخل.

أمضيت باقي اليوم في المشي والوثب داخلًا وخارجًا من المترو، متوجهًا إلى الأماكن السياحية، مستكشفًا شوارع الحي اللاتيني، وفي النهاية توقفت لأخذ راحة في وقت متأخر من الظهيرة في مطعم صغير يدعى Les Deux Magots بالقرب من شارع بوليفارد سان جيرمان. أصبحت السماء ملبدة بالغيوم، وعلى الرغم من ذلك، اخترت طاولة في الخارج. طلبت مشروب ليمون فرنسيًا، واتكأت للخلف على مقعدي. وضعت يدي على الجراب الصغير الذي يتدلى تحت قميصي وشاهدت السائرين يمرون من أمامي. لقد كان يومًا ممتعًا، ولكن الآن شعرت بقلبي يهوي في صدري. كنت بمفردي؛ وإلى متى سيستمر ذلك، ليس لدي أدنى فكرة. أردت أن أعود إلى منزلي. فعندها سيأتي آدم في نهاية الأسبوع. وسأكون مع أشخاص طوال الأسبوع في المكتب. ربما سأتحلى بالقدر الكافي من الشجاعة لكي أطلب من تيسا اصطحابها للغداء. أو العشاء. ستكون تلك طريقة جيدة كي أتجنب شقتي الخالية لبعض من الوقت. التفكير في جدائل شعرها الداكنة جعلني أبتسم.

كان بإمكاني الجلوس هناك حتى مغيب الشمس، ولكن علا رنين هاتفي، ليذكرني أن علي التواجد في السراديب في أقرب وقت. سددت الفاتورة واتجهت مرغمًا إلى المترو.

بعد ركوب المترو لفترة قصيرة، خرجت من محطة مترو دونفير-روشيرو وصعدت الدرجات. مشيت بلا هدى لبعض من الوقت في الحديقة الصغيرة بدونفير-روشيرو، ثم سرعان ما توجهت إلى مبنى حجري كنت قد قرأت أنه كان جزءًا من بوابة المدينة السابقة Barriere d'Enfer. المبنى القصير الداكن الملحق بها بدا أنه مكتب قطع تذاكر لدخول السراديب. ولكن الباب الصغير كان مغلقًا بإحكام، ولم يكن هناك أحد بالجوار. طرقت الباب وانتظرت، ولكن لم أتلقَ ردًا. طرقت مرة أخرى، وفي هذه المرة طرقت بعنف على الباب الخشبي. اعتقدت أنني سمعت خطوات أقدام آتية من الجهة المقابلة، ثم انفتح الباب إلى الداخل. شاب تملأ البثور وجهه في حوالي الثامنة عشر كان يقف أمامي.

"أنطوان؟" سألت في شك.

"لا"، قال الرجل بالفرنسية، وهو يحرك عينيه إلى أعلى علامة على السأم. "إنه يعمل، اتبعني". التف وسار داخل المبنى، ولم يكن أمامي إلا أن أتبعه. كان يمشي بسرعة، لذا كان علي أن أسرع خلفه.

"هل هذا..." بدأت التحدث بفرنسيتي المحدودة. لوح مرشدي يديه مستنكرًا وكرر بالفرنسية "اتبعني". بعد بضع خطوات، اختفى داخل مدخل حجري. عندما وصلت إلى عتبة الباب، رأيت برعب أنه ينفتح على درجات حجرية شديدة الانحدار تهبط بشكل حلزوني إلى الأسفل. السراديب. كنا نتجه إلى الأنفاق. قفز قلبي في صدري، وشعرت بياقة قميصي تضيق، وبدا وكأن الهواء لا يصل إلى رئتي. ولكن على الرغم من الذعر المتزايد، كانت قدمي تطرق على الدرجات الحجرية الضيقة نزولًا إلى الأسفل، وكان صوت ذلك أعلى قليلًا من صوت قلبي النابض. نزلنا إلى أسفل، وإلى أسفل، وإلى

أسفل. كان رأسي يدور، الالتفاف المستمر حول الدرجات جعلني أشعر بالغثيان. لم يكن لدي أدنى فكرة عن مدى الانخفاض الذي سننزل إليه، ولكن في الوقت الذي انتهت فيه الدرجات، شعرت كما لو أننا على مستوى انخفاض عدة طوابق تحت الأرض.

مرشدي الذي لا يتفوه بكلمة كان يتحرك أمامي بسرعة، كما لو أنه أيضًا يبغض وجوده هنا بالأسفل. كان النفق رطبًا، ومضاءً بإضاءة خافتة. كانت عظام ستة ملايين باريسي مدفونة في هذا المكان. ولكنني لم أرَ أي هياكل عظمية بعد، ولم يكن الموتى هم من يشعرونني بالخوف. لقد كان النفق، والأسقف المنخفضة، والجدران الضيقة. بينما أسرع خلف مرافقي، شعرت أن تنفسي يضعف بشكل متزايد ويصبح ضعيفًا وسريعًا. قطرات من العرق كانت تتشكل على حاجبي، على الرغم من أنني كنت أرتعش. نوبات من الدوار كانت تجتاحني، وكنت أعاني لكي أنقل قدمًا أمام الأخرى. لم أعرف إذا كنت أستطيع المواصلة، ولكن فكرة أن أفقد أثر الشاب الذي أمامي جعلتني أواصل. عرفت أنني أحتاج إلى إلهاء نفسي.

عندها فقط، مررنا على تجويف جداري صغير كان مفصولًا بألواح بلاستيكية شفافة تُشبه الزجاج. خلف الحاجز كان هناك مقعد خشبي ومنضدة صغيرة عليها شمعة. وكانت هناك لوحة على الجدار تقول شيئًا عن الحرب العالمية الثانية. تذكرت شيئًا آخر كنت قد قرأته عن السراديب. خلال الحرب، اختبأ مناضلو المقاومة في شبكات الأنفاق الملتفة تلك. في الواقع، لقد أمضوا سنوات بالأسفل هنا.

كيف كان سيبدو العمل ضد القبضة النازية المحكمة؟ هل عاش مناضلو المقاومة الفرنسيون في حالة من الرعب المستمر والهواجس القلقة؟ أم أن التزامهم تجاه قضيتهم، وتجاه العدل، وتجاه الحرية زودهم بالشجاعة؟ على الأرجح أنه قد راودهم كل تلك الأحاسيس؛ استنتجت ذلك. فالشجاعة الحقيقية يمكنها أن تحدث فقط بمواجهة الخوف؛ فإذا لم تكن خائفًا، إذًا فكيف يمكن لأفعالك أن تنم عن الشجاعة؟

ولكن يا لها من مفارقة! عند العيش في تلك المساحات الصغيرة المزدحمة، محاطين بذخائر من الموتى، ودلائل على الفناء الحتمي، هل نظر المناضلون إلى العظام وفكروا في أنه أيًا ما ستفعله المقاومة، فإن كل شخص يحاولون إنقاذه سينتهي به الأمر هنا؟ هل الأمر يهم إذا أبطئوا من المعاناة البشرية والموت غير الضروري؟ هل جعل ذلك أيًا منهم يشك في كفاحه، ويتساءل هل الأمر يستحق كل هذا العناء؟ العظام في تلك الأنفاق تنتمي إلى أناس مرت حياتهم؛ بعضها كان ذا معنى عظيم وأهمية، والبعض الآخر بدون ذلك. هل كان مهمًا حقًا أي طريقة عاشوا بها؟ أي طريقة عاش بها أي شخص؟

كان مرشدي يواصل التقدم أمامي وهو يسير ملتفًا كالحية. أسرعت خطاي في الوقت الذي التففنا فيه في زاوية وواجهنا كومة من العظام.

رغم ما كنت أشعر به، فإنني أبطأت من سيري. تراجع ذعري. كانت الجدران الطويلة الماثلة مغطاة بالعظام؛ أكوام مرتبة من عظام الفخذ، أكوام متقنة من عظام الساق. نماذج مفصلة ومنمقة موضحة في عظام الترقوة والأضلع. أمامي مباشرة كان هناك عمود من الجماجم الضاحكة. فكرت في أولئك الذين اختبئوا في السراديب. بالطبع كانت الطريقة التي يحيا بها الناس مهمة. عرف مناضلو المقاومة ذلك. لا بد أنهم نظروا إلى تلك العظام وأدركوا أن الأشياء المرعبة تحت الأرض لا تقارن في شيء بالرعب الذي يرتكب من فوقهم، في الشوارع المزدحمة لباريس، ولودز، وبرلين، وأمستردام. جميع مناضلي المقاومة، في أي مكان عاشوا، لا بد أنهم قد أدركوا أنه سيكون من الأفضل مواجهة الرعب عن محاولة تجاهله.

فجأة توقف الشاب عند مدخل نفق جديد. كان مفصولًا عن النفق الذي سرنا فيه بقطعة من السياج الحديدي الذي يعتليه الصدأ. قام مرشدي بتحريك السياج إلى جانب واحد ثم التف في اتجاه الظلام. توقف ونظر إلى الخلف في اتجاهي، ليتأكد من أنني كنت أتبعه. تحركت بتردد خارجًا

من الضوء الخافت بينما اختفى ظهره في الظلام من أمامي. تقدمت بضع خطوات أخرى. ثم اصطدمت قدمي بشيء ما. جلجلة خشبية ملأت المكان، وتسمرت في مكاني. وبينما فعلت ذلك، شعّ ضوء ما من حولي. كان مرشدي قد أضاء كشافه الكهربائي. فجأة، تمنيت لو أنه لم يفعل. حيث اختفى التنظيم المروع، كانت العظام في كل مكان؛ مبعثرة على الأرض حول أقدامنا. تتساقط تباعًا من أكوام متفككة على الجدران. الوهج المنبعث من الكشاف الكهربائي علق بأمواج التراب وخيوط العنكبوت التي تتدلى من السقف.

"هذا لك"، قال مرشدي بالفرنسية. ثم ألقى الكشاف الكهربائي إلي. وبينما أخذته، اختفى من أمامي.

"ماذا.." بدأت في الصياح عليه.

وقبل أن أتمكن من إنهاء سؤالي، قال الرجل بشكل مفاجئ: "سيلقاك هنا". ثم ذهب، وتركني بمفردي، على عمق خمسين قدمًا تحت الأرض، إنسانًا وحيدًا يقف في وسط بحر من الموتى.

لم يكن هناك شيء ليشتت انتباهي الآن. كان الهواء ساكنًا ولكن جدران النفق بدت وكأنها تعتصرني بداخلها. بدأ السقف في الاهتزاز؛ كنت واثقًا من أنه في أي لحظة سيهوى إلى الأسفل. *هذا ليس حقيقيًا*، حاولت إخبار نفسي. *تلك مجرد نوبة قلق.* ولكن الذعر كان يتغلب عليّ، مهددًا بتمزيقي. أردت أن أستند على شيء ما، لكي أبقى واقفًا، ولكنني كنت خائفًا للغاية من التحرك بين العظام.

بعد ما بدا وكأنه ساعات ولكنه على الأرجح كان بضع ثوانٍ، سمعت صوت خطوات أقدام.

ظهر رجل ضئيل من الظلال. "أنا أنطوان" أعلن الشخص بالفرنسية. وبمجرد أن قال ذلك، بدأت في الترنح.

"يا إلهي" قال أنطوان بالفرنسية. أمسك بيدي وجعلني أحافظ على توازني. ثم تحرك إلى فجوة بين أكوام العظام بجانب الجدار. استعاد

مقعدين مطويين صغيرين وجلبهما إلى منتصف النفق، وفتحهما على الأرض غير المستوية.

"اجلس" قالها بالفرنسية أولًا، ثم كررها مرتين بالإنجليزية: "اجلس، اجلس".

كان أنطوان، في الغالب، في الخمسينات من عمره، له شعر أبيض مجعد يحيط بوجه شاحب تملؤه التجاعيد. ارتدى نظارات دائرية صغيرة، وشيئًا يشبه معطف معمل داكنًا. مثل أحمد، كان له وجه ودود، ولكن هناك صبغة هادئة حوله.

"أعتذر عن جعلك تنتظرني هنا"، قال أنطوان. "فأنا أعمل هذا المساء؛ في الترميم. تدريجيًا تتساقط العظام الثابتة. وكانت هناك حوادث تخريب. إنه جهد مستمر".

كان تنفسي يبدأ في الإبطاء. الشيء الوحيد الجيد في نوبات هلعي أنها لا تستمر طويلًا. لقد كان الأمر وكأن جسدي ببساطة لا يمكنه تحمل الطاقة التي تتطلبها. مسحت حاجبي وتمتمت: "لا بأس".

أومأ أنطوان وابتسم بلطف. قال: "لست متفاجئًا أنك لا تحب الوضع هنا بالأسفل. أغلب الناس يكونون على ما يرام إلى أن يخلو المكان. فهم لا يرغبون حقًا في أن يكونوا بمفردهم مع أفكارهم بالأسفل هنا، الحال الذي أنا عليه كل يوم. ولكنك تعرف، نحن نصبح جسورين من خلال قيامنا بالأشياء التي نخشاها". ربت على جيبه وأخرج علبة صغيرة. رفع غطاء العلبة، وعرض علي حلوى. هززت رأسي رافضًا، ووضع هو واحدة في فمه قبل أن يضع العلبة في جيبه مرة أخرى. قال: "عندما كنت صبيًا صغيرًا للغاية، فقدت والدي. كل شيء أعرفه عنه كان من الماضي؛ ربما لهذا السبب أصبحت مهتمًا بالتاريخ، ومهتمًا بالأرشيف. ولكن صورته وهو في كفنه طاردتني لسنوات. طاردتني. عندما فُتح باب التقدم لهذه الوظيفة، فكرت، *لا، لا يمكنني العمل مع عظام، مع موتى. هذا آخر شيء أرغب في القيام به*. ولكنني أدركت أنه تحديدًا بسبب

خوفي من الموتى؛ يجب أن أقبل العمل بهذه الوظيفة، ولقد كان ذلك سببًا في تحرري من خوفي"، قال ذلك وهو يضحك ملوحًا بيديه.

ثم اتكأ إلى الأمام وحدق في وسألني: "هل تشعر بتحسن؟". أومأت بالإيجاب.

"أوه" قال حينئذ وكأنما تذكر شيئًا ما. "خذ" أعطاني صرة صغيرة ومربعًا من ورق البارشمان المطوي، مثل الذي أعطاه لي أحمد في تركيا. قال: "علي أن أستأنف العمل. ولكنني أعرف أنك لن تمانع في تركي الآن، أليس كذلك؟"، هززت رأسي نافيًا وحاولت أن أبتسم، وقد تفاجأت قليلًا من قصر مدة اللقاء الذي سافرت كل هذه المسافة من أجله. وقف كل منا. "أعتقد أن بإمكانك إيجاد طريقك إلى الخارج"، قال أنطوان. تحرك في اتجاه الحاجز المعدني وأشار إلى الأسفل نحو النفق ذي الإضاءة الخافتة. قال: "من هذا الاتجاه. فقط اتبع النفق ولا تذهب إلى أي من التفرعات المفصولة بسياج. لقد طلبت من جان أن يترك لك الباب مفتوحًا حتى تتمكن من الخروج بنفسك".

كنت قد وضعت الحزمة وورق البارشمان في جيبي. "شكرًا لك" قلت له، بينما تحركت أمام أنطوان. "شكرًا لك".

بينما أسرعت عبر النفق، سمعت أنطوان يصيح: "الشجاعة يا جوناثان! هذه هي الطريقة الوحيدة لكي تحيا. وتذكر، الشجاعة ليست في الحقيقة شيئًا تشعر به. إنها شيء تبديه".

تنقلت خلال الأنفاق. التناسق، والترتيب، والتنظيم المعقد للعظام كان بمثابة ترويح مقارنة بالفوضى القاسية لنفق أنطوان. لو لم أكن تواقًا للخروج من هذا المكان الضيق، كنت تلكأت لأتمتع بتقدير الفن. بدلًا من ذلك، أخذت أنفاسًا عميقة، وذكرت نفسي أن النهاية وشيكة عند المنعطف القادم، أو الذي يليه. في النهاية، وصلت إلى قاع درج حجري آخر. صعدت الدرج بأسرع ما يمكنني، وقدماي تؤلمانني قليلًا من صعودي لدرجات قوس النصر بالأمس. عندما وصلت إلى الأعلى، تحركت إلى الخارج في راحة. هواء المساء المنعش

كان بمثابة نعمة. أخذت جرعات عديدة نهمة قبل أن أتوجه إلى رصيف المشاة في اتجاه أحد المقاعد.

جلست على المقعد وحوّلت اهتمامي الى الصرة الصغيرة التي أعطاها لي أنطوان. نزعت عدة طبقات من نسيج الورق الأصفر. في منتصف النسيج، كانت هناك جمجمة معدنية صغيرة. فك الجمجمة كان منفصلاً، جعلها تبدو وكأنها تبتسم لي. أو تضحك. جعلني ذلك أبتسم. قلبت الجمجمة المصفرة في يدي على الوجه الآخر. ربما تكون قطعة أثرية برونزية. أو نوعًا من السبائك الحديدية. أخذت الجراب الجلدي من حول عنقي وأسقطت به التميمة. ثم فككت البارشمان المطوي بحرص.

كان العنوان "احتضن مخاوفك". قهقهت. بالطبع هذه التميمة ستكون عن الخوف. أكملت القراءة:

ما يعوقنا في الحياة هو البنية غير المرئية للخوف. إنها تبقينا في مناطق الراحة الخاصة بنا، والتي هي، في الحقيقة، أقل الأماكن التي نحيا بها أمنًا. فحقًا، أعظم مخاطر الحياة هي ألا نقدم على أي مجازفات. ولكن في كل مرة نقوم فيها بما نخاف منه، فإننا نستعيد القوة التي سلبها منا الخوف؛ حيث إنه على الجانب الآخر من مخاوفنا تحيا مواطن قوتنا. في كل مرة نخوض فيها في مشقة من النمو والتقدم، نصبح أكثر تحررًا. كلما خضنا مخاوف أكثر، استعدنا قوة أكبر. بهذه الطريقة، نصبح جسورين وذوي قوة، وهكذا فإننا نتمكن من عيش حياة أحلامنا.

سحبت دفتر اليوميات من سترتي ووضعت ورق البارشمان بداخله. ثم أعدت وضع الجراب حول عنقي وتوجهت إلى المترو.

لم تكن الساعة وصلت بعد إلى السادسة والنصف. تجربتي بأكملها في السراديب استمرت لأقل من ساعة. في الظهيرة، استلمت رسالة من جوليان،

يقول فيها إنه سيكون هناك تذكرة بانتظاري في صالة المطار في الصباح التالي. كان أمامي المساء بأكمله. قررت أن أعود إلى الفندق وأستحم وأغير ملابسي. ثم سأتوجه إلى ميدان تروكاديرو عبر النهر من برج إيفل. سأتناول العشاء في مطعم هناك، ثم أشاهد أضواء البرج قبل أن آوي إلى الفراش.

ترجلت من المترو في محطة شارل دي جول وتوجهت إلى حي الشانزليزيه. كنت غارقًا في الأفكار طوال طريق العودة، أفكر في لحظاتي الحالكة في النفق، وذعري ونجاتي. عندما وصلت إلى بهو الفندق، توجهت نحو المصعد. عندما فتحت الأبواب، خطوت إلى الداخل وضغطت على زر الطابق الرابع. نظرت عبر الأبواب المفتوحة نحو البهو، ولكنني لم أتحرك. انزلقت الأبواب منغلقة ببطء. ثم بدأ المصعد في الصعود. كانت هذه أول مرة أستقل فيها المصعد منذ عشرين عامًا. كنت مرعوبًا. ولكن شعرت بأن الأمور على ما يرام.



الفصل الخامس

كنت قد حاولت الاتصال بجوليان عدة مرات وأنا في باريس؛ ولكن هاتفه ظل يرن دون رد منه. ليس لدي توضيح إلى أين قد أتوجه، أو من قد ألتقي به، أو ما المدة التي قد يستغرقها ذلك. جززت على أسناني بقوة. أنا أستحق بعض التفاصيل، أستحق بعض المعلومات. اتصلت به مرة أخرى، ولكن لم أتلقَ ردًا.

لذا، ها أنا ذا في الصباح التالي، واقفًا كالأحمق أمام الموظف المذهول المختص بتسجيل الركاب بالخطوط الجوية الفرنسية؛ عيناي منتفختان وقد ارتفع صوتي فجأة ليصل إلى ارتفاع طبقة السوبرانو الصوتية. "أوساكا؟" قلت بنبرة رفيعة حادة. "اليابان؟ هل تمزح معي؟".

لا أعلم لماذا أدت تلك الوجهة تحديدًا إلى إثارة أعصابي. أعتقد أن السبب هو توقع وضع جسدي المنهك بالفعل على متن رحلة بالطائرة لمدة اثنتي عشرة

ساعة. أصبت بالصداع لمجرد التفكير في الذهاب إلى مكان آخر إضافي لم أذهب إليه مطلقًا من قبل، التفكير في النزول بمدينة حيث لا أعرف بها أي أحد ولا أتحدث ولو حتى كلمة واحدة من لغتها.

- بينما دلفت إلى الممر على متن الطائرة، أدركت بيأس أن مقعدي كان المقعد الأوسط بالطائرة؛ المقعد الأوسط في الممر الأوسط. على جانبي كان هناك رجل ضخم استولى في الحال على مسند الذراع. وعلى الجانب الآخر، امرأة هزيلة سحبت بسرعة كتابًا من حقيبتها ووضعته على الطاولة المتحركة؛ وهي العلامة الدولية التي تعني "لا تتحدث معي". لم يكن هناك بأس في ذلك بالنسبة لي. فلم أكن في مزاج للثرثرة.

فكرت في أنني قد أقرأ أيضًا أو أشاهد فيلمًا، ولكن ذهني كان يتسارع بذكر كل شيء حدث على مدار الأيام القليلة الماضية. ولم يبدُ أن بإمكاني أن أرتاح. لم يكن ذلك فقط بسبب الشخص الضخم الذي يتدلى خارج المقعد بجواري، أو بسبب تيار الهواء البارد الذي ينطلق وراء أذني اليمنى بفضل جهود جارتي الأخرى لتعديل المروحة العلوية. منحتني ملابسي شعورًا بالضيق والحكة، وكان حلقي جافًا، والجراب الجلدي الذي يحوي التمائم بدا وكأنه يحفر حبله داخل عنقي مرة أخرى. ببعض الصعوبة أخرجت الشيء من تحت قميصي. وضعته في جيب بنطالي ولكن لم يبدُ أنني قادر على وضعه بطريقة تمنعه من وخز فخذي. حقيبتي كانت الآن مدفونة في المقصورة العلوية، ولم أرغب في وضع الجراب في جيب المقعد أمامي. فقد كنت واثقًا من أنني دون قصد سأنساه هناك عندما أغادر الطائرة. أثناء عبثي بجيوبي، وتقلبي في مقعدي، تنهدت المرأة التي تجلس بجواري بصوت مسموع. ضايقني ذلك، ولكنها كانت محقة. لقد كنت أجعل من نفسي مصدر إزعاج. وضعت الحبل حول عنقي وأعدت حشر الجراب تحت قميصي.

بعد مرور ست ساعات من رحلة الطيران، بدأت أطيل التفكير بحزن فيما ينتظرني. سأصل إلى أوساكا في الصباح الباكر، رغم أنه سيكون وقتًا

متأخرًا من الليل بتوقيت باريس. ستفوتني ليلة كاملة من النوم. بل وما هو أكثر من ذلك، كان أمامي ست ساعات، ست ساعات إضافية في هذا المكان المزدحم. فكرت أن الحل الوحيد هو أن آخذ غفوة؛ على أمل أن بضع ساعات من النوم ستعمل على انقضاء الرحلة بسرعة، وأيضًا ستجعل يومي الأول في اليابان محتملًا. من الواضح أن أشخاصًا آخرين من حولي كان لديهم نفس الفكرة. الرجل الذي بجواري كان قد غفا، والمرأة على الجانب الآخر أنهت كتابها وكانت تبسط مقعدها وتغمض عينيها. في الواقع، كل شخص من حولي بدا وكأنه قد التزم الصمت. كل شخص، فيما عدا شابتين تجلسان خلفي مباشرة.

كانتا تتحدثان باللغة الإنجليزية. أثناء الساعات القليلة الأولى من الرحلة، كان قد تناهى إلى سمعي أن واحدة منهما تقول إنها كانت متوجهة إلى أوساكا لتدرّس اللغة الإنجليزية كلغة ثانية. الشابة الأخرى أوضحت باللغة الإنجليزية التي تشوبها اللهجة الفرنسية، أن لديها أقارب يعيشون في أوساكا. كانت ستستخدم منزلهم كقاعدة لها من أجل رحلة مدتها ثلاثة أشهر عبر آسيا. لقد كانا يتبادلان القليل من المعلومات المختلفة عن بعضهما؛ ولكن عند انقضاء منتصف الرحلة، بدا أنهما قد بلغتا مستوى جديدًا من الحميمة. كانت المحادثة الآن مليئة بالطاقة والحماس، ومستوى صوت كان من الممكن أن يكون أكثر ملاءمة في نادٍ ليلي مليء بالضجيج أكثر من طائرة مزدحمة. حاولت تجاهل حديثهما، ولكنني لم أستطع. سحبت سماعات الرأس الخاصة بشركة الطيران وارتديتها. قلبت المحطات الإذاعية باحثًا عن إحدى المحطات التي تشغل موسيقى تبعث على الهدوء؛ ولكن لم يكن هناك شيء في مقدوره أن يعلو على قرع الأصوات التي تأتي من خلفي. لم أتمكن من معرفة كيف استطاع الرجل الجالس بجانبي أن يغط في النوم خلال ذلك الضجيج.

امتدت الساعات وكأنها لن تنتهي. فسمعت عن الشركاء الخائنين والأصدقاء الذين لا تجدهم وقت الحاجة. سمعت عن الصفوف الرائعة لليوجا والأوشام التي تنم عن ذوق عالٍ. عن امتدادات الشعر، والتنظيف العميق

للقولون. في الوقت الذي وصلا فيه إلى التحدث عن خططهما للمستقبل، كنت أشعر أنني على وشك قتل إحداهما. في النهاية، حملت نفسي على مشاهدة مقاطع كوميدية على قناة الأفلام، ولكن مرح الدرجة الثانية هذا لم يسهم في التخفيف من حدة مزاجي.

عندما خرجت متعثرًا أخيرًا من الطائرة بعد مرور نصف يوم من استقلالي لها أول مرة، اثنتي عشرة ساعة عصيبة غير محتملة من الهواء غير المتجدد وتقلصات الساقين كانت خلفي الآن، كنت مشوشًا، لا أفكر تفكيرًا عقلانيًا. لست أدري ما الذي يمكنني القيام به سوى ذلك؛ اتبعت الحشد إلى أن انتهى بي الحال مقحمًا في كتلة من الأجساد تتدافع نحو مواضع استعادة الأمتعة.

كنت مدركًا تمامًا أنه ليس هناك حاجة حقيقية بعد للتدافع حول الحزام الناقل للحقائب. ففي بعض الأحيان تصل الأمتعة بالمطار ببطء شديد؛ حيث يبدو وكأنها تصل على متن عابرة المحيط "كوين ماري" بدلًا من أن تكون قد حملت على نفس الطائرة التي كنت تستقلها.

انتقلت إلى جدار وانزلقت إلى الأسفل إلى أن جلست في وضع القرفصاء. ثم سحبت هاتفي من جيبي وفتحته. لاحظت على الفور رسالة من جوليان.

عزيزي جوناثان،

آسف للغاية أنني لم أكن متاحًا عندما اتصلت، وعلى عدم إعطائك المزيد من التفاصيل. لقد تركت بالفعل رسالة لك باسم حارس التميمة التالي وبالتعليمات؛ ولكن يبدو أن ذلك الاتصال قد فقد بطريقة ما من نظام الفندق الذي كنت تمكث فيه. على أي حال، ستمكث مع امرأة شابة مبهجة تدعى ساتو أيامي (أيامي هو اسمها الأول) في نزل عائلتها في كيوتو. ستلقاك في المطار. تمتع بوقتك في اليابان.

فلتحظ بالمرح،

جوليان

بعثت برسالة إلى أنيشا وآدم، أخبرهما أنني وصلت أوساكا، ثم أعدت الهاتف إلى جيبي. وبينما أفعل بذلك، جذب مسامعي صوت مألوف.

"لقد كان من الرائع للغاية التعرف إليكِ!" كان الصوت صادرًا عن واحدة من امرأتين شابتين تقفان جنبًا إلى جنب أمام موضع استلام الأمتعة. لقد كانتا جارتيّ الثرثارتين دون انقطاع. شعرت بالصداع يتزايد. بدا أنه لا شيء يحدث مع الأمتعة؛ لذا انتصبت واقفًا وهربت خلال الردهة لأجد المرحاض. في الوقت الذي عدت فيه، كانت الحقائب تسقط مصدرة صوتًا من الأنبوب ذي الفتحة الضيقة في طريقها إلى السير الناقل المتحرك. كانت الفتاة ذات الشعر الداكن تنحني على الأمتعة؛ ساحبة حقيبة أسطوانية من القماش الخشن ذات لون وردي من على السير. اقتربت من الحزام الناقل للأمتعة. بعد مشاهدتي لدورة واحدة، كان بإمكاني أن أرى أن حقيبتي لم تسقط بعد، لذا حولت عيني إلى الأنبوب ذي الفتحة الضيقة. بعد مرور عشرين دقيقة، كنت لا أزال هناك، ما زلت آمل أن أمتعتي ستتساقط منحدرة إليّ. ولكن كان من الواضح أنه لم يعد هناك ما تبقى ليُقذف إليّ. أعدت تحويل انتباهي نحو الحقائب القليلة التي تبقت على السير الدائر. ولكن بقدر ما تمنيت ذلك، لم تكن حقائبي من بينها.

كان لدي فرشاة أسنان وزوج واحد من الملابس الداخلية النظيفة في حقيبة يدي، ولكن جميع أدوات النظافة الشخصية الخاصة بي ومعظم احتياجاتي كانت في تلك الحقيبة المفقودة. كان في إمكاني الشعور بالتوتر يعتصر صدغي. كان رأسي ينبض، وصدري ضيقًا. لماذا أنا؟ فكرت. بعيدًا عن منزلي بمليون ميل، ودون أغراضي. والآن أواجه متاعب هائلة.

كان معظم الحشد من رحلة الطائرة قد اختفى. نظرت في أرجاء المكان. كان مطار كانساي جديدًا، ولامعًا وأملس، ولكن مثله مثل الكثير جدًا من المطارات الكبيرة يمنحك شعورًا بالتيه، واتساعًا مربكًا جعله يبدو مزدحمًا وكذلك فارغًا بشكل موحش. كانت اللافتات مكتوبة بكل من اليابانية

والإنجليزية، ولكن الإنجليزية منها بدت مختصرة. كنت قد بدأت في اليأس من قدرتي على معرفة إلى أين يجب أن أذهب أو ما الذي يجب علي القيام به. وكان لا يزال عليّ أن أجتاز الجمارك والجوازات قبل أن أتمكن من الخروج من تلك المنطقة وإيجاد "أيامي".

الرحلة الطويلة، المسافرون الثرثارون، إرهاقي الشديد؛ بدا الأمر وكأن مفتاحًا صغيرًا قد انضغط. ففي غمضة عين، لم أعد قلقًا؛ ولكن ثائر. كان قلبي ينبض بقوة، وشعرت بأوصالي تنتفض، كما لو أن الكهرباء كانت تمر من خلال أوردتي. لاحظت رجلًا يقف على بعد، مرتديًا زيًا رسميًا يبدو كما لو أنه زي خاص بالمطار. كدت أن أقفز عليه.

عند إعادة النظر الآن فيما حدث، أرى كم كنت محظوظًا للغاية. فليست فكرة حكيمة أن تفقد التحكم في أعصابك في مطار هذه الأيام. لقد كانت معجزة أنني لم يتم سحبي إلى غرفة تحقيقات ما، أو الأسوأ، أن يقبض علي. ولكن بطريقة أو بأخرى، تمت مرافقتي خلال الجمارك والجوازات، وقدمت إلى موظف بالخطوط الجوية والذي وعد أن يجد أمتعتي، وأودعت بكياسة في منطقة مقابلة العائدين، مرتجفًا وواهنًا. قبل كل ذلك، كنت قد أفرغت ما بذهني، باللغة الإنجليزية ووقفات قليلة باللغة الفرنسية، لكل شخص قد يستمع إلي. كان علي أن أتساءل إذا كان حاجز اللغة جعل معظم ما أقول يشوبه القليل من الغموض للأشخاص الذين ساعدوني. كان من الصعب تخيل أن التهذيب البسيط أو اللطف قد يمنع أي شخص من إخباري ما الذي قد يمكنني فعله بنفسي وبأمتعتي المفقودة.

نوبة غضبي، وكل المناورات التالية، تركتني أشعر بالفراغ والوهن. كل ما أردت فعله هو أن أتساقط من التعب في سيارة، ويقود بي السائق إلى سرير مريح. نظرت حول منطقة الوصول بيأس تام.

على بعد عدة ياردات، بالقرب من بعض المقاعد ومجموعة من الهواتف، كانت هناك امرأة في حوالي الثلاثين من عمرها. كانت تمتلك شعرًا لامعًا

يصل طوله إلى رقبتها وارتدت قميصًا أخضر زاهيًا، وبنطال جينز باهت اللون. لم تكن تحمل لافتة كما فعل أحمد، ولكن من الواضح أنها كانت تبحث عن شخص ما. عندما التقت أعيننا، أمالت رأسها وسارت نحوي. عندما اقتربت، ابتسمت قائلة باليابانية: "سعيدة بمقابلتك. هل أنت جوناثان لاندري؟" سألت. فأومأت. وانحنت من الخصر لتمنحني انحناءة احترام صغيرة.

عدت بتفكيري إلى الوقت الذي انتقلت فيه إلى المبيعات، وأرسلتني الشركة إلى حلقة دراسية عن آداب العمل في الدول الأخرى. لقد نسيت تقريبًا كل شيء، ولكنني الآن أدركت أنه خلال ساعتي التي أمضيتها في مطار كانساي، قد كسرت على الأرجح كل قاعدة متعلقة بالكياسة اليابانية. لقد كانت معجزة حقًا أنني عوملت بهذا الصبر. الآن انحنيت في المقابل، محاولًا جعل انحناءتي أكثر عمقًا قليلًا من انحناءة "أيامي".

قالت أيامي باللغة الإنجليزية: "مرحبًا بك في اليابان. إنه لشرف عظيم أن أقابلك".

"أوه، حمدًا لله! إنك تتحدثين الإنجليزية"، قلت قبل أن أتمكن من إيقاف نفسي.

انحنت أيامي مرة أخرى وابتسمت.

قالت: "نعم. إنني أدرس الأدب الإنجليزي في جامعة كيوتو، لذا فإنه أمر ضروري".

حاولت إصلاح ما قمت به بالاعتذار عن تعليقي عن تحدثها بالإنجليزية وتفسير سبب راحتي لذلك. قلت لأيامي: "الأمر فقط أنني فقدت أمتعتي. أحتاج إلى العودة إلى مكتب الخطوط الجوية ومنحهم عنوانًا حيث يمكنهم إرسالها عليه عندما يجدونها".

رافقتني أيامي إلى مكتب خدمات الخطوط الجوية. طلبت إذني أن تجري هي الحديث؛ وهو العرض الذي قبلته بامتنان. كنت لا أزال منفعلًا. لم أكن أثق بنفسي أنني لن أفقد صوابي مرة أخرى.

تحدثت أيامي مع الموظف باللغة اليابانية. وعندما استدارت عن الطاولة، أخبرتني أن أمتعتي تم تحديد موقعها وقد شحنت على متن رحلة تالية آتية إلى أوساكا. ستُرسل مع ساعٍ إلى النزل في كيوتو بمجرد وصولها. ثم بدأت بعد ذلك السير خلال الردهة ذات الجدار الزجاجي الطويل. توقعت أن يتم اقتيادي إلى موقف السيارات، ولكن أيامي قالت إننا سنستقل القطار من محطة المطار إلى كيوتو، ثم سيارة أجرة إلى "ريوكان" يملكه والداها في شرق كيوتو.

أوضحت: "الريوكان هو نزل ياباني تقليدي. آمل أن تجده مريحًا. العديد من المسافرين يستمتعون بالتغيير بدلًا من الفنادق ذات الطراز الغربي".

كان القطار مزدحمًا، ولكنني وجدت أنا وأيامي مقعدين متجاورين. بعدما استقررنا في مقاعدنا، أخبرتني أن جولة القطار ستستغرق حوالي ساعة ونصف. لم أستطع كتم تنهيدة عميقة. نظرت إليّ أيامي باستغراب.

"أنا آسف. أنا لا أحاول أن أكون مسيئًا بقصد. الأمر فقط أنني متعب للغاية من كل هذا السفر. حتى إنني لا أعرف ما هو الوقت الآن؛ أو أي يوم من الأسبوع! ولا يزال ذلك يبدو سخيفًا بالنسبة لي. إنني فقط لا أستطيع فهم لمَ لا يمكن 'للحراس' أو أي ما يدعوهم جوليان به، إعادة هذه الأشياء عبر إرسالها بالبريد".

أجابت أيامي: "أعلم أنه لا بد أن جوليان يمتلك أسبابًا جيدة لكي يرغب في القيام بالأمور بتلك الطريقة. ربما ما تحتاج إلى القيام به هو فقط أن تتحلى بنظرة أكثر فلسفية قليلًا تجاه الرحلة. ففي النهاية"، أضافت بلطف: "الحياة هي رحلة...".

"نعم، نعم"، لم أتمكن من إيقاف نفسي الآن، "ولكن *هذه* ليست رحلة، إنها تُشبه جولة فاشلة ببيت المرح بالملاهي. لقد سافرت إلى جميع أنحاء العالم في الفترة القليلة الماضية؛ بيونس آيرس، اسطنبول، باريس؛ والله وحده يعلم أين

سأكون غدًا أو في الأسبوع المقبل".

"إمممم، نعم. هذا شيء صعب" قالت أيامي بلطف. "ولكن أتعلم ما يقولون؟ ليس ما يهم إلى أين تذهب، بل فقط من ستصبح".

ولكنني لم أكن في مزاج للاستماع إلى مواعظ.

"ما خطبكم، أيها الناس؟"، فقدت التحكم في أعصابي. "تبدون جميعًا متشابهين. تبدون جميعًا مثل جوليان".

بدت مشدوهة بذلك أكثر من كونها منزعجة.

قالت: "هل يفاجئك ذلك؟ نحن جميعًا أصدقاء جيدون لجوليان. تعلمنا جميعًا الكثير منه. لقد غيرنا جميعًا حياتنا بسببه".

قلت: "حسنًا، حياتي تتغير أيضًا. ولكنني لست واثقًا أنها تتغير إلى الأفضل. كل شيء في العمل يئول إلى الخراب. وزوجتي...".

توقفت عند ذلك الحد. لم أرغب في التحدث عن ذلك. لم أكن راغبًا في التفكير في كل الأشياء المفقودة من حياتي. زوجتي. ابني. أمتعتي".

بعد لحظة من الصمت، تحدثت أيامي مرة أخرى.

"لا بد أنك قلق أيضًا على جوليان"، قالت.

"ماذا؟"، قلت.

"لأنه طلب منك أن تجمع التمائم. لأنه يحتاجها. هل قلقت حيال لماذا يحتاج إليها؟ حيال الشخص الذي يحتاج إلى مساعدة؟".

لم أكن أفكر كثيرًا في ذلك مؤخرًا. ماذا لو كان جوليان لا يخبرني بالحقيقة عن أمي؟ ماذا لو كانت أمي مريضة؟ فأمي واحدة من أولئك الناس الذين يجعلون الحياة عامة تبدو دون عناء. أعتقد أنني كنت قد بلغت حوالي الثانية عشرة من عمري قبل إدراك أنها تمرض مثلها مثل أي شخص آخر".

إذا لم تكن أمي، فربما كانت أختي، كيرا. على الرغم من أنها كانت تصغرني بعامين، دائمًا ما كان تفكيري تجاهها أنها هي من تتحمل المسئولية بيننا. فقد كانت من اعتنت بأمي عند وفاة والدي، وكانت هي من تذكرني بيوم

مولد أمي أو تخبرني عندما كانت أمي في حاجة إلى مكالمة أو زيارة. لقد كانت هي من بقى على اتصال بي، لقد كانت هي من أخذ على عاتقه تحمل المشاق والأمور الجادة في علاقتنا. هل ستخبرني حتى إذا كانت مريضة أو تواجه متاعب؟ ثم كان هناك بعد ذلك خالاتي، وأعمامي، وأبناء الأعمام والخالات.

وحتى إذا لم يكن الشخص الذي يحتاج إلى مساعدة جوليان أحد أفراد العائلة، فهل يعني هذا أنه ليس علي أن أفكر في أهمية هذه المهمة التي أرسلت للقيام بها؟ لقد كنت مستغرقًا في التفكير في نفسي تمامًا على مدار الأيام القليلة الماضية.

"نعم"، قلت على الرغم من أنني لم أكن صادقًا حقًا، "لقد كان ذلك يؤرق ذهني، أيضًا".

مرت عدة دقائق قبل أن تقول أيامي أي شيء.

"بالمناسبة، الساعة الثامنة صباحًا تقريبًا" قالت. ثم أضافت: "ربما تحب أن تقتنص تلك الفرصة لتستريح".

القطار، مقارنة بالطائرة، كان هادئًا. كانت هناك فقط الهمهمة الخفيضة لأصوات آتية من مكان ما عن بعد. أغمضت عينيّ، واسترحت على الهزة الخفيفة. وعلى الفور، غططت في النوم.

لا أعتقد أنني نظرت لمرة واحدة إلى أيامي عندما كنا نتنقل بسيارة الأجرة في شوارع كيوتو. الوصول إلى محطة قطار كيوتو بدا مثل الخطو إلى اليابان الجذابة، المتمدنة؛ وهو ما تخيلت أن تكون عليه طوكيو. أسقف عالية مقوسة، مبانٍ ذات أسطح على شكل أقواس ممتدة من الزجاج والمعدن، كل شيء براق، ويبدو نظيفًا وجديدًا، لامعًا وبسيطًا. ومنظر مدينة كيوتو بدا مثله مثل أي مدينة حديثة أخرى تقريبًا؛ وعلى عكس التلال المنحدرة التي تلوح في الأفق كانت هناك ناطحات السحاب ذات الألواح الزجاجية مختلطة بالمباني الشائعة وأبراج من مختلف الأحجام. حتى إنه كان هناك واحد من

تلك الأبراج ذات القمة التي تشبه القرص المستدير؛ كبرج إبرة الفضاء في سياتل. ولكن الآن بينما أصبحنا نتنقل وسط زحام الشوارع نفسها بدا كل شيء مختلفًا. حيث كانت هناك منازل خشبية صغيرة محشورة بين المباني الحديثة المبنية من الطوب؛ بعضها له أسطح ذات قرميد متجعد، والعديد له قمم خشبية بنهايات خشبية مزخرفة. عدد منها كان له زرع وارف في المقدمة من أشجار العنب، والبونساي. لاحظت عدة نساء تسرن في الطرقات وهن مرتديات الكيمونو.

"هناك الكثير من التاريخ، والكثير لتراه في كيوتو"، قالت أيامي.

"لقد كانت ذات مرة عاصمة اليابان بأكملها. وقد نفدت من القصف والخراب للحرب العالمية الثانية. العديد، والعديد من المعابد هنا".

"حقًا؟" قلت، وأنا لا أزال أنظر خارج النافذة.

"ربما في الغد، يمكنني اصطحابك لترى إحداها".

"نعم، سيكون ذلك رائعًا، إذا كان هناك وقت لذلك".

قالت أيامي: "واليوم. يرغب والداي أن تنضم إلينا لتناول العشاء. وجبة كايسيكي تقليدية".

ترددت قبل أن أجيب.

قلت: "سأستمتع بذلك. ولكن علي أن أحذرك مقدمًا. أعلم أنكم تقومون بالأشياء بشكل مختلف عن المكان الذي أتيت منه، حيث إن آداب السلوك معقدة". كنت أواجه صعوبة في قول ما قصدته. كنت أفكر في المشهد الذي حدث بالمطار. "أخشى أنني قد أهين الناس".

أجابت أيامي: "أرجوك، لا تقلق. إنني أتفهم ذلك. والداي يتفهمان ذلك. ولكنني سأوضح لك الأمور بينما تصادفنا، إذا كنت تود ذلك".

أومأت. حينها، توقفت سيارة الأجرة على جانب الطريق.

قالت أيامي: "يجب علينا أن نترجل من السيارة هنا. فالنزل في ذلك الشارع". أشارت أمامنا مباشرة إلى ما بدا وكأنه زقاق. "إنه طريق قديم جدًا، ضيق للغاية فلا يسمح بمرور السيارات".

ترجلنا من سيارة الأجرة والتففنا إلى الحارة. الأحجار التي كانت مرصوفة بها كانت زلقة قليلًا، والهواء كان دافئًا ورطبًا؛ كما لو أنها قد أمطرت للتو. كان الشارع مليئًا بالمحلات البسيطة ومداخل مزدحمة في صف متصل. سرنا فقط لمسافة قصيرة قبل أن نصل إلى ما بدا مثل منزل خشبي صغير محشور بين المباني الأخرى. سطحه المعقوف كان مسقوفًا بقرميد أنبوبي الشكل ذي لون بني داكن، ونوافذه ذات إطار خشبي داكن. جدران حجرية منخفضة مقوسة على جانبي باب خشبي مزدوج منقوش؛ تخرج من قممها فروع مورقة.

قالت أيامي: "هذا واحد من أقدم فنادق الريوكان في المدينة. لقد كان يدار من قبل أفراد عائلتي لأجيال عديدة. ولكنه صغير. إحدى عشرة غرفة فقط وشقة والديّ".

سحبت واحدًا من الأبواب وقادتني إلى الداخل.

دخلنا إلى ردهة بسيطة ذات بلاط اردوازي. عدة أزواج من الأحذية كانت مصفوفة بجانب الجدار. فقط مباشرة أمام درجة منخفضة تقود إلى منطقة البهو. تشكيلة من الأحذية الخفيفة ذات اللون الكريمي مصفوفة أعلى أحد جانبي الدرجة.

قالت أيامي: "من فضلك. ضع حذاءك هنا، وخذ زوجين من الأحذية الخفيفة التي تناسب مقاسك".

خلع كل منا حذاءه، وارتدينا أحذية خفيفة ثم خطونا إلى داخل البهو. بينما قمنا بذلك، اقترب مننا رجل وامرأة. "والداي" أعلنت أيامي.

كان هناك الكثير من الانحناء والابتسام أثناء التعارف، مع ترجمة أيامي بينما حاولنا أن نقول مرحبًا لأحدنا الآخر. في النهاية التف والد أيامي إليها وقال شيئًا لها بنبرة صوت رصينة.

"آه، نعم" قالت أيامي. "والدي يذكرني أنك قد اجتزت رحلة طويلة للغاية، وصباحًا صعبًا وأنه لا بد أنك في حاجة إلى أن ترتاح. سأصطحبك إلى غرفتك".

أثناء تمددي على الفوتون -فراش ياباني أرضي قطني- لم يكن بوسعي أن أصدق كم ازداد قدر الراحة الذي شعرت به عما كنت أشعر به فقط منذ ساعة ماضية. كانت أيامي قد أرتني غرفتي ثم أرشدتني إلى الحمام الياباني الرجالي، في نهاية الردهة.

قالت: "ستجد رداءً لك بالداخل، ومناشف، وأدوات نظافة شخصية على رف صغير بجانب الباب. استحم أولًا، ثم اجلس في حوض الاستحمام كما تحب. سأترك ملحوظة على الباب تقول إن غرفة الحمام مشغولة".

الغرفة التي دخلتها كانت صغيرة؛ أرضية مغطاة ببلاطات بيضاء صغيرة، حوائط خشبية ملحق بها ثلاثة صنابير دُشّ يدوي. وأمام كل دُشّ وضع مقعد خشبي صغير دون ظهر، ودلو. في أبعد ركن من الباب كان هناك حوض استحمام خشبي مربع مزود بمياه ساخنة. ترتفع جدران حوض الاستحمام حوالي قدم فوق الأرض، ولكن كان من الواضح أن قاع حوض الاستحمام كان غائرًا تحت مستوى الأرض بكثير. كانت الغرفة دافئة ورطبة ومليئة برائحة ليمونية محببة، والتي اكتشفت فيما بعد أنها كانت رائحة الهينوكي؛ شجر السرو الياباني. فقد قيل إن الزيت الموجود في هذا الخشب له فائدة علاجية كبيرة.

بعد بضع دقائق تالية خفضت نفسي إلى داخل حوض الاستحمام. وصلت المياه تقريبًا إلى ذقني. استندت إلى الوراء على الجانب الخشبي وتنفست بعمق. انبعث البخار المعبق من المياه الساخنة. لسعت السخونة جلدي قليلًا، ولكن كان بإمكاني الشعور بها وهي تذيب العقد في كتفيّ وظهري.

لم يكن هناك شك في ذلك؛ لقد كانت هذه رحلة غريبة. لقد كان ذلك محيرًا ومرهقًا، ولكنه كان أيضًا يجعلني أعاني بطرق أقل وضوحًا. تلك الرسائل القصيرة التي كانت مرفقة بالتمائم؛ أعلم أنها لم تكن مكتوبة لي بشكل خاص، وأن جوليان قد كتبها لأهدافه الخاصة. ولكنه اقترح علي أن

أقرأها وقد أعطاني دفتر يوميات لتدوين خواطري. فلا بد أنه توقع كيف ستؤثر بي الرسائل.

التميمة الأولى: الأصالة. أن تكون صادقًا مع نفسك. تلك الفكرة أثرت بي حقًا تأثيرًا بالغًا، وكنت قد بدأت في الشك في السبب. كان هناك شيء بحياتي لم يكن صحيحًا تمامًا. كان ذلك أكثر من حقيقة أنني خيبت أمل أنيشا وآدم. فلحل تلك المشكلة، سيتطلب الأمر أكثر من قول آسف لأنيشا، وأن أصل في موعدي على العشاء للمنزل في أحيان كثيرة، وحضور تدريبات لكرة القدم أكثر مع آدم. كنت قد بدأت أدرك أن عيوبي كوالد أو كزوج كان يدعمها شعور عميق بالتعاسة. ولكنها لم تكن تعاستي مع أنيشا أو آدم. لقد كان شعورًا بالتعاسة تجاه بنية حياتي. كان الأمر كما لو أنني قد أخذت كل طموحي ودافعي وركزته على سباق لم يكن لدي رغبة حقيقية للفوز به. لقد كنت أتقدم إلى الأمام، ولكنني لم أكن أتوجه إلى المكان الذي أرغب في الذهاب إليه. إنني أحب الهندسة. أحب الدوائر الكهربائية. أحب التحديات الرياضية. أحب التصميم التقني. كما أنني جيد بهذه الأشياء. عندما كنت في معمل التصميم، كنت أشعر أن عملي له غاية، وأن حياتي ذات مغزى. لم يكن هناك خطب مع قسم المبيعات، ولكنني فقط لا أشعر بنفس الشغف في هذا العالم.

الآن، وأنا أستلقي هنا في غرفة الريوكان الهادئة، عرفت أنني كنت أقترب إلى ما قد تكون عليه حياتي الأصيلة. كان بإمكاني رؤية أن علي القيام ببعض التغييرات الجادة. كانت فكرة مخيفة، ولكنني شعرت باطمئنان تجاهها بشكل يثير الدهشة. كما لو كان كل ذلك في المستقبل البعيد.

تركت أيامي كومة صغيرة من الملابس على نهاية الفوتون بينما كنت أستحم. وكانت هناك ملاحظة: "استعرت تلك الملابس من صديق. آمل أن تلائمك".

نهضت من على الفراش وخلعت ردائي. ثم ارتديت قميص الجولف القطني الناعم، وزوجًا من بنطلونات الكاكي الواسعة. كان هناك أيضًا زوج من الشرابات الرياضية البيضاء لا يزال في عبوته. ارتديتها أيضًا، قبل أن أعيد وضع قدمي في الحذاء الخفيف. ثم التقطت دفتر يومياتي وقلمًا من على المنضدة المجاورة للفراش وانتقلت إلى الجانب المقابل من الحجرة.

كانت حجرة الضيافة ضيقة ولكنها جيدة التهوية. غطت حصائر التاتامي الأرضية. كانت الجدران البيضاء تتميز بإطار خشبي داكن جعلها تُشبه قليلًا الستائر الورقية التي غطت منطقة البهو. بالقرب من نهاية الفراش كانت هناك منضدة صغيرة منخفضة. على جانبيها كان هناك مقاعد دون أرجل؛ وهي عبارة عن وسائد لموضع الجلوس وللظهر وضعت مباشرة على الأرض. وفي الوراء كانت هناك نوافذ ممتدة من السقف حتى الأرض ذات عمود يقسمها عموديًا، مع باب منزلق يقود للخارج إلى منطقة خضراء. فتحت الباب ودخلت إلى شرفة خشبية صغيرة. على الرغم من أنه كان بإمكاني رؤية خضرة الحديقة من خلال النافذة وأنا راقد على الفوتون، لم أكن مهيئًا لما يبدو لعيني بالخارج.

أحاطت الشرفة بثلاثة جوانب لحديقة عميقة ووارفة. من الواضح أن جميع الغرف تتمركز حول تلك الباحة الهادئة. في منتصف الحديقة، كان هناك تمثال حجري طويل من عدة طوابق. وكانت هناك تماثيل أصغر منثورة في أنحاء الحديقة الخضراء؛ عدة تماثيل لطيور الكركي، تمثال لأحد الحكماء، علجوم له مظهر متوعد نوعًا ما. وفي نهاية الحديقة، كان بإمكاني رؤية شلال صغير يتساقط على منحدر حجري. صوت البقبقة كان يوحي بأن هناك حوض سباحة أسفله، يختفي عن أنظاري من خلال الأوراق والفروع. فالأوراق والفروع، في الحقيقة، خبأت كل أجزاء الأرض عن الأنظار. أساس كل شجرة رقيقة كان محاطًا بنبات السرخس الأخضر الزاهي؛ فروع مقوسة بها ورود صغيرة جملت الشجيرات المنحوتة بعناية.

كان هناك مقعد خشبي مطوي بالقرب من الموضع الذي وقفت به.

توجهت إليه وجلست. أسقطت دفتر اليوميات على حجري وحدقت في المساحة الخضراء بينما الدقائق تمر سريعًا.

منحوتة العلجوم بدت وكأنها تمتلك ابتسامة خبيثة وذكرتني بالجمجمة -الضاحكة الصغيرة التي تلقيتها من أنطوان. عانق مخاوفك، قالت الرسالة المرفقة بها. حسنًا، لقد قمت بالفعل بعدد من الأمور التي كنت أخشاها؛ يتضمن ذلك ترك عائلتي ووظيفتي ورائي من أجل هذا الجمع للتمائم. فبطريقة ما، ما فعلته كان مثل القفز من على حافة هاوية. ولكنني كنت أعبر عن استيائي وأشكو من ذلك طوال الوقت. أفترض أن جوليان قد قصد بـ "عانق مخاوفك" أن الشخص يجب عليه أن يعانقها بشكل إيجابي، أن ينتقل المرء من مينائه الآمن؛ أي أن الشخص يجب أن يكون متحمسًا للمجهول، لا أن يصبح هيستيريًا. منذ فترة قصيرة، دلفت إلى المصعد لأول مرة منذ عشرين عامًا. ولكن ما الذي يجب علي أيضًا أن أقوم به؟

حسنًا، أكبر مخاوفي؛ فقدي لعائلتي، فقدي لأنيشا وآدم، هي أشياء لا أرغب في معانقتها. ولا أعتقد أن هذا ما عنته رسالة جوليان. ولكن لم يكن بوسعي سوى أن أرى المفارقة. أكثر ما أخشى من الأشياء كان يحدث بحياتي على الرغم من كل حذري. ولقد كانت تلك الأشياء تتحقق بالضبط لأنني كنت سلبيًا. ربما لو كنت قمت ببعض التغيرات التي اقترحتها أنيشا: رفضت ترقية أو ترقيتين، أو بدلت المناصب، أو قلت فقط لا من حين لآخر، أشياء كنت خائفًا جدًا من القيام بها؛ لم أكن لأواجه تلك الأزمة. وماذا لو بحثت حقًا عميقًا؟ ما الذي رغبت في القيام به حقًا وكنت أخشى القيام به؟ كنت قد بدأت في رؤية أن القيام بالأشياء التي تخشاها قد يجعل فقط الحياة مخيفة بقدر أقل على المدى الطويل.

بمجرد أن انتهيت من كتابة تلك الخواطر في دفتر اليوميات، سمعت قرعًا رفيقًا آتيًا من حجرتي. لقد كانت أيامي، جاءت لتخبرني أن لديها أمتعتي.

قالت: "بالمناسبة. هل تحققت من هاتفك؟ لقد لاحظت لتوي أن جوليان

بعث لي بنسخة من الرسالة التي أرسلها لك بمسار رحلتك على مدار الأيام القليلة المقبلة. ستستمر رحلتك الاستثنائية بكل تأكيد. يا لك من محظوظ!".

تحوّل العشاء إلى حدث طويل ومنمّق. أرشدت إلى غرفة الاستقبال الخاصة لعائلة ساتو، حيث كان والدا أيامي منتظرين. بعد أن حيينا بعضنا بالابتسامات والانحناءات، أشارا نحو المنضدة. كانت منخفضة، مثل تلك التي بحجرتي، وعلى كل جانب من الجوانب الأربعة كانت هناك وسائد بيضاء قطنية كبيرة. لاحظت تجويفًا جداريًا في جانب الحجرة، مغطى برسم جداري جميل بالحبر لطيور الكركي والقصب المائي. تماثيل صغيرة وتنسيق بسيط للورود كان موضوعًا أمام الرسم. بدأت في التوجه نحو الوسادة التي تقابل التجويف الجداري -اعتقدت أن ذلك سيوفر لي مشهدًا جميلًا- ولكن أيامي هزت رأسها برفق علامة على الرفض وقادتني إلى جانب الطاولة الذي يواجه الجهة الأخرى.

"لا يعد من التواضع أن تُجلس الضيوف في مقابل توكونوما الخاص بك. سيكون الأمر كما لو أنك تتفاخر وتقول شيئًا مثل: "انظروا إلى الأشياء الجميلة التي نمتلكها".

"فهمت"، قلت. لا بد أنني بدوت محبطًا لأن أيامي أضافت: "كنت لأتركك تجلس هناك، ولكن ذلك سيجعل والدي غير مرتاحين للغاية. آمل أن تتفهم".

بعد أن أُجلسنا، أتت امرأة شابة بصينية من الفوط الساخنة الرطبة. "أوشيبوري" قالت أيامي. "لتنظيف يديك. ولكن لا تستخدمها كمناديل المائدة الغربية. فلا يجب أن تمسح بها فمك أو وجهك".

عندما أُحضر الطبق الأول وقدم، قالت أيامي ووالداها في الوقت نفسه "إيتاداكيماس".

"إنها تعني 'أنا أتلقى بتواضع'"، أوضحت أيامي. "إننا نبدأ بهذه الطريقة وننهي الوجبة بقول 'غوشي سوساما ديشتا'، والتي تعني 'شكرًا لك على الوجبة الجيدة'".

استمرت وجبة العشاء طويلًا إلى المساء. كان هناك حساء وسوشي وساشيمي؛ تيمبورا وسمك مطهو على البخار؛ ولحم بقري مشوٍ وخضراوات مخللة. الطبق الأخير كان عبارة عن نوع ثانٍ من حساء خفيف شفاف.

خلال الوجبة، أعطتني أيامي دروسًا أكثر في آداب تناول الطعام في اليابان. أرتني كيف أمسك أعواد تناول الطعام وأوضحت أنه يجب علي ألا أغرزها داخل طبق الأرز الخاص بي فتصبح منتصبة "فذلك يذكر الناس بكيف يوضع البخور في الرمال أثناء الجنازة". وشرحت لي لمَ يعد تمرير لقيمات الطعام من عود أكل شخص إلى عود شخص آخر أمرًا فظًا للغاية: فهكذا كانت تُعامل عظام الموتى بعد إحراق الجثة. وكان هناك المزيد: لا تلتقط أبدًا أي شيء بالنهايات السميكة لأعواد الطعام، إذا كان بوسعك تجنب ذلك، لا تخفض أبدًا أعواد تناول الطعام في موضع تشير فيه إلى شخص ما؛ وأخيرًا، لا تغرز أعواد الأكل في الطعام. تلك القاعدة الأخيرة أحبطتني. ففي الماضي، كانت تلك هي الطريقة الوحيدة التي بإمكاني من خلالها ضمان أن أي طعام سينتقل من الصحن إلى فمي.

كما أنني اكتشفت أيضًا أن عادتي في غمس قطع من أرز السوشي النيجيري في سلطانية صلصة الصويا يعد من السلوكيات غير المهذبة. أوضحت أيامي أن بهذه الطريقة سيتشرب الأرز الكثير من صلصلة الصويا؛ من المعتقد أن ذلك ينم عن كونك جشعًا قليلًا، كما أنه أيضًا قد يدع حبات من الأرز تسقط في صلصلة الصويا.

ولكن ربما القاعدة التي أبهرتني على الإطلاق كانت صب المشروبات لبعضنا البعض. عندما أُحضرت زجاجة مشروب الساكي إلى المنضدة، صبت أيامي بعضًا منه لي، ثم بعضًا لوالديها. لم تملأ كأسها، لذا افترضت أنها لن

تشرب. ولكن بعد ذلك أخذ والدها الزجاجة الصغيرة وصب بعض الشراب في كأس خزفية صغيرة أمام ابنته. بعد ذلك بوقت قليل، أعادت والدة أيامي ملء كأس كل شخص، ولكن لم تعد ملء كأسها. هذه المرة أخذت أيامي الزجاجة وأعطت أمها المزيد من الساكي. في المرة الثالثة التي أعيد فيها ملء المشروبات بهذه الطريقة، نظرت إلى أيامي ورفعت حاجبي مندهشًا.

قالت: "آه، إذًا فقد لاحظت. يعد اليابانيون الإبقاء على أكواب ضيوفهم مملوءة جزءًا مهمًا من آداب الضيافة؛ ولكن من المعتقد أن ملء كوبك لنفسك يُعد أمرًا غير مهذب. عوضًا عن ذلك، يجب عليك أن تنتظر أن يلاحظ الآخرون أن كأسك فارغة، لذا يكون في إمكانهم ملأه لك". فكرت في أنيشا وآدم ووجبات العشاء التي اعتدنا أن نتشاركها. كانت أنيشا لتصبح عطشى للغاية؛ إذا كان عليها انتظاري لملاحظة كأسها الفارغة.

بعد الغداء، اقترحت أيامي أن نقوم بنزهة في الحي. كانت الشوارع جافة، ولكن كانت هناك رطوبة شديدة في الهواء.

"شكرًا لتوضيح آداب تناول الطعام"، قلت بينما كنا نسير في الشارع المرصوف بالحصى. "إذا كان لدي المزيد من الوقت هنا، فقد أفهم طرق التعامل في النهاية". مسار الرحلة وفقًا لجوليان ذكر أنني سأسافر بعد غد، إلى المكسيك. فكرت في البداية أن أرى إذا كان في إمكاني حجز رحلة طيران مبكرة عن ذلك، ولكن مع كل اهتمام أيامي الكريم، طلب مثل هذا الآن سيبدو فظًا قليلًا.

"لقد كنت سعيدة لقيامي بذلك. إنني مأخوذة للغاية، في الواقع، بتلك القواعد الصغيرة للسلوك. كما قد يكون جوليان أخبرك، لقد سافرت على نطاق واسع جدًا، ودائمًا ما أولي اهتمامًا، في كل مكان أذهب إليه، لكل العادات غير المعلنة، والاتفاق المشترك حول كيف يجب أن تتم الأمور".

قلت: "من الواضح أنك أكثر تنبهًا مني. الشيء الوحيد الذي لاحظته في اسطنبول كان أن أحمد لم يلمس أي شيء مطلقًا بيده اليسرى".

"في العديد من الدول، تستخدم يد واحدة بعينها فقط لأي نوع من العمل القذر. لذا فأنت لن تلمس الطعام أو شخصًا آخر بتلك اليد".

كان ذلك هو السبب على الأرجح، فكرت.

قالت أيامي: "الشيء المثير للاهتمام. أن القواعد التي نشأنا عليها تبدو طبيعية، واضحة، بل وحتى منطقية. فقط حين نبدأ في رؤية سلوكنا خلال أعين ثقافة أخرى، عندها نبدأ في التشكك فيها والتساؤل حيالها.

أكملت: "فعلى سبيل المثال. كنت قد قرأت أن عرف مصافحة الأيدي نشأ كطريقة لتبين لشخص ما أنك لا تحمل أسلحة، وهكذا فإنك لا تنتوي ضررًا، أو أذى للشخص الذي حييته. لذا لماذا اليوم أذهب إلى مؤتمر بنيويورك وأخرج يدي؟ هل حقًا أقصد أن أظهر أنني لا أحمل خنجرًا؟".

جعلني ذلك أضحك.

"ولكن كيف أصبحت بعض التقاليد ليست حقًا بالشيء المهم للغاية. فأهمية آداب التعامل، والعادات، والقواعد هي أن تجعل تفاعلنا مع بعضنا البعض أسهل. فسلوكياتنا المشتركة تجعلنا في راحة؛ حيث إنها طرق لنبدي الاحترام لبعضنا البعض. فإنها جميعًا تدور حول كيف نجعل بعضنا البعض يشعر. سلوكياتنا اليومية تعلن عن أعمق معتقداتنا".

قلت: "ولكن في بعض الأحيان يصير ذلك مربكًا. خذي على سبيل المثال، فتح الباب لامرأة. كان هناك وقت لم يكن رجل ليعبر من باب أمام امرأة. كان عليك أن تبقي الباب مفتوحًا لها وتمر من خلاله فقط بعد أن تذهب هي. ولكنني لست واثقًا أنه من المفترض أن أقوم بذلك الآن".

قالت أيامي: "نعم، تلك هي إحدى القواعد التي تتغير في الغرب. كان

المقصود منها أن تكون بادرة تنم عن الاحترام، ألم تكن كذلك؟ ولكن بعد ذلك بدأت بعض النساء بالشعور بأن تلك العادة كانت تنم عن الحماية، وأنها تقترح أنهن ضعيفات، وأنهن في حاجة إلى المساعدة حتى مع شيء بسيط مثل الباب. فجأة، أصبح من غير الواضح إذا ما كان ذلك العرف مهذبًا أم لا".

قلت: "عادة ما أحاول أن أبقي الأبواب مفتوحة لكل شخص الآن. لذا فإنني لا أميز النساء".

قالت أيامي: "هذا أحد الحلول. في الحقيقة، آخر مرة كنت في لوس أنجلوس لاحظت أنه في بعض الأحيان يبقي الرجال على الأبواب مفتوحة من أجل النساء، وفي بعض الأحيان تبقي النساء الأبواب مفتوحة لنساء أو رجال آخرين. يبدو وكأن العديد من الأشخاص أعادوا التفكير في آداب فتح الباب".

كنا قد طفنا حول الحي الآن لحوالي نصف ساعة. بدت الشوارع نظيفة في الظلام، والأضواء تشع من خلال ستائر ورق الأرز على نوافذ بعض المنازل، ومصابيح ذهبية تتدلى خارج البعض الآخر، والقمر يتلألأ على أسطح البلاط المزجج لبضعة مبانٍ.

توجهنا نحو حارة صغيرة، وأدركت أننا دخلنا إلى الجهة الأخرى من شارع أيامي. كنت مرهقًا، ولكنني لست واثقًا تمامًا أنني سأكون قادرًا على النوم. وبرغم ذلك، كنت أتطلع للعودة إلى حجرتي الهادئة.

عندما دخلنا بهو الرويكان، قالت أيامي: "دعني أعطك الحزمة الخاصة بجوليان الليلة". قادتني خلال البهو إلى باب في طرفه البعيد. تبعتها ووجدت نفسي مرة أخرى في الشرفة الخشبية، التي تطل على الحديقة. بضعة مصابيح تتدلى من تحت الإفريز، وشعاع ضوء صغير سطع على النافورة التي تصدر صوت بقبقة، بضعة مصابيح أخرى ألقت أشعة ساطعة على مجموعة التماثيل.

"من فضلك، اجلس"، قالت أيامي مشيرة إلى مقعد صغير من خشب الساج. "سأعود سريعًا" ثم اختفت إلى داخل الفندق.

عادت بعد دقيقة وهي تمسك بحزمة صغيرة في يديها الاثنتين. كانت ملفوفة فيما بدا وكأنه ورق سميك صنع يدويًا ومربوطة بحبل حريري. عرضتها عليّ، وأخذتها منها بحرص بكلتا يديّ. ثم نظرت إليّ وابتسمت.

سألتها: "أنت تعرفين ما تقوله تلك الرسالة، أليس كذلك؟".

"بالطبع" قالت أيامي ضاحكة.

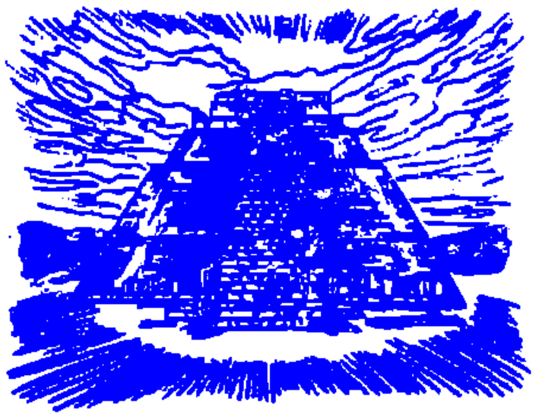
عندما عدت إلى غرفتي، فككت عقدة الرزمة وفضضت الورق السميك المنقط. كانت بالداخل رسالة قصيرة، بالإضافة إلى طائر كركي ذهبي صغير. أوقفت طائر الكركي منتصبًا على راحة يدي ونظرت إليه. الانحناء الطويل الرقيق في ظهره، ورأسه المائل، ومنقاره الدقيق. أطبقت يدي حوله، ثم أخذت الجراب الجلدي من حول عنقي. بعد أن أسقطت طائر الكركي بالداخل، فككت الرسالة وقرأتها.

عش بلطف ولين

من المهم أن تتذكر أنه فقط مثلما كلماتنا هي أفكارنا المصاغة في كلمات؛ فكذلك أفعالنا هي معتقداتنا تترجم إلى واقع. ليس هناك فعل غير مهم، مهما كان صغيرًا؛ كيف نعامل شخصًا ما يحدد كيف نعامل الجميع، بما في ذلك أنفسنا. إذا كنا نسيء الظن في الآخرين، فإننا قليلو الثقة بأنفسنا. إذا كنا قساة تجاه شخص آخر، فإننا سنصبح قساة تجاه أنفسنا. إذا لم يكن بإمكاننا أن نقدر أولئك الذين من حولنا، فإننا لن نقدر أنفسنا. مع كل شخص نتعامل معه، في كل شيء نقوم به، يجب علينا أن نكون ألطف مما هو متوقع، أكثر كرمًا مما هو مرتقب، إيجابيين أكثر مما اعتقدنا أنه ممكن. كل لحظة أمام إنسان آخر هي فرصة للتعبير عن أسمى قيمنا ولكي نؤثر في شخص آخر بإنسانيتنا. يمكننا أن نجعل العالم أفضل، من خلال تأثيرنا في شخص واحد كل مرة.

لم يكن هناك شك تجاه السبب الذي جعل جوليان يختار أيامي حارسة لهذه التميمة. نعم، قلت لنفسي، مبتسمًا.

الأربع والعشرون ساعة الماضية كانت سريعة الإيقاع للغاية بالنسبة لي. بدأ اليوم بصورة سيئة في باريس، أو على الأقل بدأته أنا بصورة سيئة. مشتكيًا، مستاءً، ثائرًا. أكملت على نفس الغرار بعد وصولي إلى أوساكا مباشرة، خلال جولتي بالقطار إلى كيوتو. ولكن كل تلك الشكاوى لم تجعلني أشعر بأنني أفضل ولو قليلًا: صب إحباطاتي على الآخرين لم يخفف حملي ولو قليلًا. عوضًا عن ذلك، كان لطف الآخرين هو ما ساعدني. أدبهم ورفقهم جعلني أكثر لطفًا. وبطريقة ما، جعلني ذلك أكثر ترفقًا بنفسي أيضًا. كتب جوليان بعض الكلمات الحكيمة؛ وبدا أن أيامي تعيش وفقًا لها.



الفصل السادس

"مسار الرحلة" الذي أرسله إليّ جوليان لم يغطِ الرحلة بأكملها، ولم يعطني إشارة دالة على الموعد الذي ستنتهي فيه رحلاتي. عوضًا عن ذلك، أدرج ببساطة الوجهتين التاليتين. بينما نظرت إلى التواريخ، شهقت بحدة. لم يبدُ أن جوليان ينقلني من حارس إلى حارس آخر بسرعة معينة.

"لا تقلق"، قالتها أيامي برفق. "أن تنطلق بسرعة كبيرة في رحلة مثل هذه لن يكون جيدًا لصحتك. أنت بحاجة إلى أن تكون قادرًا على أن تحظى بالقليل من النوم، وقليل من التمرينات الرياضية في كل مكان تتوقف فيه. أنا واثقة أن جوليان نظّم الرحلة بهذا الشكل، وهو يفكر في احتياجاتك أنت، لا احتياجاته هو".

مرة أخرى، كانت أيامي تجعلني أنظر إلى الأمور بصورة مختلفة. لقد بدا أنها تسلك في العالم بلطف بالغ. كان الأمر يكمن في كيفية استجابتها وكيفية توقعها لاستجابة الآخرين؛ تجاه كل شخص وكل شيء. لقد كانت على الأرجح محقة. كان جوليان يفكر فيّ. ولكنني لم أكن أفكر فيه. كنت متلهفًا للعودة من أجل احتياجاتي الخاصة. لم أكن قلقًا على السبب الذي يحتاج إليه لهذه التمائم ولا لمدى تعجله لذلك. إذا كان جوليان قد شعر أن في إمكانه تحمل الوقت الذي يقترحه هذا المسار للرحلة، إذًا فبإمكاني أنا أيضًا ذلك.

في اليوم التالي، اصطحبتني أيامي إلى ضريح كيوميزو، ومعبد ريوانجي، وفي المساء طفنا خلال حي جيون والذي لا تزال فتيات الجيشا يخرجن في الطرقات في طريقهن إلى مواعيد عمل. في الوقت الذي دخلت فيه فراشي هذه الليلة كنت أشعر بامتنان كبير تجاه جوليان، ومسار الرحلة الذي خططه. غدًا سأتوجه إلى أوشكوتسكاب، المكسيك، لأقابل شخصًا يدعى تشافا يوكان. لقد ذهبت إلى المكسيك مرة من قبل -إلى أكابولكو مع أنيشا- ولكنني لم أذهب مطلقًا إلى ميريده، حيث سأهبط بالطائرة، أو إلى أي مكان آخر في شبه جزيرة يوكاتان. لقد خطر لي أن هذا الوقت من السنة سيكون حارًا لزيارة المكسيك.

"أترى؟"، قالت أيامي في الصباح التالي بينما كانت تصافحني في مطار أوساكا إيتامي "ليس معي خنجرا"، ثم انحنى كل منا للآخر. وعندما اعتدلت أيامي، تغضن وجهها بتأثير القلق.

قالت: "جوناثان. أرجوك حاول أن تتذكر رسالة جوليان. الطريقة التي تفهم وتتفهم من خلالها مشاعر الآخرين وتصرفاتهم تكشف الطريقة التي تفهم بها نفسك. إنك رجل جيد، ولكنني أعتقد أنك لا تعامل نفسك دائمًا بهذه الطريقة".

قالت زوجة تشافا يوكان، سكينا، إنها ستدعني أنام لأطول فترة ممكنة. لم أكن متفائلًا، ولكن الآن ها أنا قد كنت أفتح عيني على الشمس المكسيكية التي تسطع بكل قوتها من خلال نافذة غرفة النوم، وتجثم الحرارة على صدري مما جعلني أعلم أن الصباح قد ولى منذ وقت طويل.

خلال اليومين اللذين قضيناهما سويًا، لم أخبر أيامي الكثير عن حياتي. ولكن بدا أنها تستشعر العديد من الأشياء. الآن، وأنا مستلق على فراشي في منزل تشافا، والحرارة تتصاعد من أرضية التراكوتا وتشع من الجدران، كنت أفكر في الطريقة التي عاملت بها الآخرين في حياتي. لم أكن فخورًا بانفجار مشاعري بمطار أوساكا، أو بالأوقات التي كنت فيها سريع الغضب مع صراف البنك أو موظف محل البقالة. ثم كان هناك أيضًا لحظات نفاد صبري مع آدم، وكلماتي الغاضبة مع أنيشا. لقد كانت تلك اللحظات أكثر تكرارًا بكثير من لحظات فقداني التهذيب مع الغرباء. لماذا نسمح لأنفسنا في كثير من الأحيان بمعاملة العائلة بطرق لن نعامل بها أصدقاءنا؛ بل وحتى أولئك الذين لا نعرفهم؟ على الأرجح لأننا نفترض أنهم سيغفرون لنا. ولكن هذا ليس بمبرر. كنت أتخذ قرارات لتغيير الطريقة التي كنت أتصرف بها مع كل شخص بحياتي. ولكن كان هناك بعض الأشياء التي لن أستطيع التعويض عنها؛ مثل الطريقة التي عاملت بها جوان.

التلميح الأول الذي وصل لي بأن الأمور ربما لن تسير بصورة جيدة بالنسبة لجوان في العمل كان خلال غداء العمل الذي تناولته مع ديفيد ورئيسه، سفين، بعد فترة قصيرة من تركي للعمل.

سألني سفين ماذا كان رأيي في رئيسي السابق. بدأت في الثناء على موهبته في القيادة، ولكن سفين رفع يده.

"لا، لا، ليس كرئيس. أعلم أنه رجل جيد. أقصد رؤيته. معرفته التقنية.

هل مهاراته الفنية جيدة؟ هل هو مطّلع على الجديد؟ هل نحن متقدمون، وشرسون في مجال التنمية كما يمكننا أن نكون؟

لقد كانت محادثة محرجة. في كل مرة كنت أقول فيها شيئًا جيدًا عن جوان، كان ديفيد وسفين يمبسان؛ كما لو أنني قد أجبتهما الإجابة الخاطئة. في النهاية، توقفت فقط عن الحديث.

قال ديفيد: "استمع. أنا لا أقول إن جوان ليس برجل بارع. وأنا واثق أنه في فترة ما كان قائدًا في مجاله. ولكنني فقط أفكر أن هنالك عقولًا أصغر، جيلًا جديدًا بأكمله من المهندسين ومصممي الأجهزة الذين قد يكونون يفكرون بطريقة غير اعتيادية. والذين قد يمتلكون نهجًا جديدًا".

أصغر، صحيح. ظننت أن ما كان ديفيد يقوله حقًا هو "أقل تكلفة". فلقد كان ديفيد دائمًا يبحث عن طريقة ليجعل الأرباح تبدو أفضل قليلًا.

عندما أتت النادلة لتنظف الطاولة، كان طبقي لا يزال ممتلئًا. وكنت أشعر بالغثيان. علمت أن جوان كان يمتلك أكثر عقل هندسي لمعانًا وابتكارًا صادفته على الإطلاق. والأهم من ذلك، كان عبقريًا في جعل الناس ينظرون إلى الأشياء بطرق جديدة، أن يكونوا بارعين في كل من حل المشكلات، والتقدم التقني. ولكن ديفيد وسفين لم يريا أيًا من هذا. لقد بدا أنهما قد اتخذا قرارهما، وكل شيء أقوله يعارضهما كان يقلل من تقديرهما لي. لقد كان من الواضح أنه إذا رغبت في تأمين وظيفتي، فسيتعين علي أن أتراجع عن حماية جوان. الآن، وأنا بعيدًا عن مكتبي بآلاف الأميال، تمكنت من رؤية أنني ذات لحظة ما في الغداء كنت قد اتخذت قرارًا جبانًا والذي انتهى به الأمر إلى تكليف كل منا أفدح الخسائر الممكنة.

استيقظت في المكسيك وأنا أفكر في مشهد الغداء ذلك. لقد كانت الحقيقة مع ذلك أنه قد خطر على ذهني أول مرة عندما قرأت رسالة اللطف؛ وكنت

أدفعه بعيدًا عن أفكاري خلال وقت رحلتي الطويلة بأكملها من أوساكا إلى ميريدا. لقد استغرقت الرحلة أكثر من أربع وعشرين ساعة، تخللتها محطات توقف في طوكيو، ولوس أنجلوس، ومكسيكو سيتي. خلال كل ذلك، حاولت أن أعتنق هدوء أيامي ورحابة صدرها، وكنت أرغم نفسي على ألا أقلق حيال الوقت. غفوت هنا وهناك، وسلمت نفسي إلى اضطرابات الرحلات الجوية الطويلة، والتشوش الذهني. نظرت إلى هاتفي أقل عدد ممكن من المرات. هابطًا في ميريدا في نهاية ما كان، وفقًا للتقويم الزمني، نفس اليوم الذي غادرت فيه اليابان، كان يتملكني شعور غريب بعدم الاهتمام. لذا عندما لمست امرأة في منتصف العمر مرفقي عندما خرجت من أبواب المطار، لم أبادر بالحديث.

اعتذرت سكينا يوكان عن غياب زوجها.

"يتعين عليه أن يستيقظ باكرًا جدًا في الغد ليذهب إلى العمل. أخبرته أنني سأحضرك. اعتقد كل منا أنك ستحتاج إلى النوم لفترة في صباح الغد؛ لذا فإن تشافا سيوصله صديق إلى الموقع، ثم سأحضرك إلى هناك بعد الظهيرة لتلقي التحية عليه".

في الجولة الطويلة الحالكة من ميريدا إلى أوشكوتسكاب، أخبرتني سكينا أن تشافا كان فنيًا ميدانيًا يعمل مع فريق ينقب في أطلال المايا خارج أوشكوتسكاب.

"إنه متحمس للغاية تجاه اصطحابك في جولة في موقع التنقيب الأثري وإخبارك القليل عن عمله. تحدثت سكينا أكثر قليلًا عن تشافا، وعن نفسها، وعن أطفالها. أخبرتني أنها وتشافا قد التقيا بجوليان منذ عدة سنوات ماضية عندما كان يقوم بجولة في أنحاء يوكاتان، ويزور أطلال المايا المختلفة دارسًا حضارتها.

"يا له من رجل رائع!" قالت سكينا وهي تدس جزءًا من شعرها الداكن الطويل خلف أذنها. "حكيم جدًا؛ ومرح للغاية". ولكنها لم تقل شيئًا عن التميمة أو عن سبب زيارتي.

كنت بدأت في تقدير أن جوليان اختار كل حارس بعناية فكل واحد بدا وكأنه يمتلك صلة معينة بالتميمة وبحكمتها. وفقًا لما قالته سكينا، فقد رغب تشافا في مشاركة بعض من حياته معي. وبينما كان في إمكاني السؤال عن التميمة في الحال، قررت أن أرى إذا كان في إمكاني اكتشاف ما قد تقوله الرسالة، ما الدرس الذي قد أتعلمه من تشافا. في الوقت الذي وصلنا فيه إلى أوشكوتسكاب، كانت الساعة حوالي الواحدة صباحًا. أوقفت سكينا الشاحنة أمام منزل صغير من الجبس ذي لون وردي باهت. بالداخل أشارت إلى باب في جانب من المساحة المخصصة للمعيشة التي تشمل المطبخ.

كانت غرفة النوم صغيرة ولكنها منظمة. أسقطت حقائبي على الأرض وتساقطت على الفراش. نمت حتى قبل أن أبدل ملابسي.

ربما كانت الحرارة هي ما أيقظني؛ ولكن كانت رائحة شيء غني وشهي هي ما جذبني خارج حجرتي إلى المطبخ.

"أوه، جيد"، قالت سكينا وهي تمسح يديها في مئزرها. "كنت آمل أن يوقظك الغداء. يجب علينا أن نتوجه إلى الخارج بعد قليل".

أشارت لي سكينا لكي أجلس على المنضدة الصغيرة الموضوعة في زاوية مطبخها المزدحم. كانت المنضدة مطلية بلون أصفر زاهٍ، وكل مقعد من المقاعد الأربعة كان مطليًا بلون مختلف عن الآخر. كانت أنيشا لتعجب بذلك، فكرت. سحبت المقعد ذا اللون الفيروزي وجلست، بينما وضعت سكينا طبقًا يتصاعد منه البخار أمامي.

قالت: "طبق كودزيتوس مكون من القليل من قطع التاكو مع اللحم وصلصة الطماطم. وعصير جوافة" أضافت وهي تشير إلى كوب أزرق طويل موضوع أمامي.

كان الطعام شهيًا، وكنت نادمًا على كم الطعام الذي تناولته بينما صعدت

إلى شاحنة سكينا بعد ساعة. كنت قد اغتسلت وبدلت ملابسي، ولكنني كنت لا أزال أشعر بامتلاء مؤلم.

حدثت رجة للشاحنة إلى الأمام عندما قامت سكينا بتشغيل المحرك. ألقت نظرة على وجهي الباهت وابتسمت:

قالت: "حسنًا. سأصطحبك في جولة قصيرة بمدينتنا حتى تتمكن معدتك من أن ترتاح قبل أن نتوجه إلى الطريق السريع".

قادت سكينا ببطء خلال شوارع أوشكوتسكاب. تنقلنا من بين أحياء ذات منازل مربعة منخفضة، بعضها له لون أبيض لامع والبعض الآخر مطلي بألوان متقنة متعددة، ولا يزال هناك مبانٍ أخرى مبنية من كتل الأسمنت غير المزينة. كانت الأسقف المسطحة من الصفيح أو القرميد، ولكن كان هناك أيضًا عدد من المنازل الصغيرة البيضوية المطلية بألوان زاهية وبأسطح ذات قمم من القش.

"هذا كوخ تقليدي لحضارة المايا"، قالت سكينا وهي تشير إلى واحد منها.

الشوارع السكنية كان لها منظر رائع غير معتاد. حوائط منخفضة من الحجر أو الأسمنت كانت تحد الباحات الأمامية للمنازل والتي كانت في بعض الأحيان مساحات جافة، ذات مظهر خاوٍ، وفي أحيان أخرى تحوي الكثير للغاية من نخيل نامٍ بإفراط، ونبات الخطمي، وكل أنواع النباتات والشجيرات التي لم أميزها. أسوار من حديد زهر فاخر وبوابات تتبادل مع صفوف من الملابس المغسولة التي تتطاير في النسيم. في مركز القرية كان هناك العديد من دور العبادة، والمطاعم الصغيرة، والفنادق، ومبانٍ أخرى مطلية بألوان زاهية من التراكوتا أو بالأزرق أو الأصفر. كانت الشوارع مغبرة وهادئة نسبيًا؛ حيث كانت هناك سيارات قليلة ولكن عددًا من الدراجات، والدراجات البخارية، والمارة، وعربات الطعام الصغيرة تتقدم في طريقها ببطء في الحرارة.

بينما كنا نقود الشاحنة على طول الطريق الأسفلتي، أفسحت المباني المجال للمزيد والمزيد من الأشجار والشجيرات إلى أن أصبحت المدينة خلفنا وامتدت تلال متموجة منخفضة عبر الأفق. "تلال بووك" أخبرتني

سكينا. "إنها زاخرة بأطلال حضارة المايا، الكبير منها والصغير. يود تشافا اصطحابك غدًا إلى أوكسمال. كانت تلك مدينة تضم ٢٠ ألف مواطن ذات يوم. ولكننا اليوم سنذهب إلى مكان أصغر، ومنسي بقدر أكبر".

بعد مرور نصف ساعة من انطلاقنا، التففنا إلى طريق رملي وعر، والذي بدا أنه يتبع قرية صغيرة. تقافزت الشاحنة في جزء منه، والغابات الكثيفة تعلو على جانبينا إلى أن مررنا تحت مدخل خشبي مقوس ذي اسم محفور عليه. في النهاية توقفنا في مساحة مفتوحة. كان هناك الكثير من الأشخاص يثرثرون بصوت عالٍ، فيما بينهم ما بدا وكأنه مجموعة مدرسية تتوجه إلى مبنى منخفض، ذات مظهر حديث. كان بإمكاني رؤية تشكيلة من أكواخ المايا ذات الأسطح المصنوعة من القش، ولكن حتى تلك الأكواخ بدت حديثة نسبيًا ومستخدمة بصورة كبيرة. لم يكن هذا ما توقعته من موقع أثري.

"أوه، هناك ما هو أكثر من ذلك يجري هنا"، قالت سكينا عندما أبديت رأيي. "فهذا الموقع هو أيضًا محمية طبيعية ومنشأة أبحاث. إن الموقع يقع على مساحة أربعة آلاف فدان".

لم يكن قد مر على ترجلنا من الشاحنة أكثر من بضع دقائق عندما أتى رجل قصير، ذو هيئة مربعة يرتدي قبعة وسروالًا قصيرًا وحذاءً عالي الرقبة ثقيلًا يهرول تجاهنا.

"أهلًا، جوناثان"، قال بالإسبانية.

ابتسمت وبسطت يدي. صافحني تشافا بحيوية كبيرة.

"كيف حالك؟"، قالها مرة بلغة المايا ثم أخرى بالإنجليزية.

عليك فقط أن تتحدث مع تشافا لدقيقة لتدرك أن التاريخ هو شغفه الأول. لقد سأل بالفعل عن رحلتي، وعن جوليان، وإن كانت سكينا أطعمتني جيدًا. ولكن صوته لم يصبح مفعمًا بالطاقة والحماس كلية إلى أن بدأ في التحدث عن المكان الذي كان يعمل فيه. مكثت سكينا في أحد المكاتب، حيث كانت تزور أصدقاء يعملون في المحمية الطبيعية. بينما كان تشافا يقودني أمام المنطقة المفتوحة وخلال جانب التل المليء بالأشجار؛ وشرح التركيز الحالي للتنقيب

في هذا الموقع. تساءلت ما قد تكون علاقة ذلك، إذا كان هناك أي علاقة، بالتميمة وإذا ما كنت في حاجة حقًّا إلى جولة، ولكنني كنت قد بدأت في رؤية أن تلك الرحلة سيكون لها إيقاعها الخاص، والذي لا يسعني القيام بشيء لتغييره.

"لقد عمل علماء الآثار هنا على فترات متقطعة لعقود"، أخبرني تشافا بينما كنا نشق طريقنا عبر أوراق الشجر والنبات. "ولكن فقط خلال السنوات القليلة الماضية أو ما يقرب من ذلك بدأنا ندرك أن هذا الموقع قد يقدم بعض الأدلة عن انهيار إمبراطورية المايا".

كان الأمر كما لو أن والدي قد ولد من جديد على هيئة عالم الآثار هذا المختص بحضارة المايا والذي يبلغ من العمر منتصفه. وجدت نفسي أبتسم بينما تشافا يكمل تعليقه المستمر.

قال إن الأشخاص الذين يتحدثون لغة المايا قد ظهروا في يوكاتان منذ ما يزيد على أربعة آلاف عام مضت. على مدار الثلاثة آلاف عام التالية، ظهرت مدن سكنية متطورة، ومكتظة للغاية في أنحاء عالم المايا. في ذروة مجد عالم المايا، معظم الأراضي بين تلك الدول المدنية كانت مغطاة بالمزارع والقرى. وجميع المراكز الرئيسية كانت متصلة بواسطة طرق الحجر الجيري الأبيض.

لم تدر الدول المدنية تحت أنظمة سياسية محكمة فقط؛ ولكنها كانت أعجوبة في فن المعمار أيضًا؛ فكانت هناك الأهرامات المدرجة والمعابد، ومساكن من عدة طوابق، وساحات مزخرفة، وميادين عامة. قال تشافا إن حضارة المايا صنعت أيضًا أعمالًا فنية تخلب الألباب وطورت واحدًا من الأنظمة الأولى للكتابة بالعالم. ومكنتهم مهاراتهم المتقدمة في الرياضيات من القيام بتطورات عظيمة في علم الفلك، والذي ربما قد يكون أدى إلى أشهر إنجاز لهم: وهو تقويم المايا. كانت خواطر تشافا تتدفق كمحاضرة مصاغة ببراعة، ولكن بدا أيضًا أنها قد تخللها فخر شخصي، كما لو أنه كان يتحدث عن أشخاص عرفهم وأحبهم.

ولكن بعد ذلك في فترة ما بين عام ٩٠٠ وعام ١٠٠٠، قبل وصول اللغة الأسبانية بستمائة عام، بدأت الحضارة في الانهيار. على مدار المائتي عام التالية أو ما يقرب من ذلك، أخبرني بنبرة حزينة أحاطت بكلماته، اختفت نسبة ٩٠٪ من تعداد السكان، وهجرت المدن، وأصبحت عظمة عالم المايا مجرد ذكرى. تطلب الأمر عامًا أو عامين فقط لتحل الغابات محل المدن، ولتنمو الخضرة لتخفي الآثار والطرقات، وليتبعثر السكان الباقون في الريف متشبثين بالقرى الصغيرة والزراعة كمورد رزق. أولئك الناجون، ذكر تشافا، كانوا أجداده.

أثناء حديثه، كان تشافا يقودني خلال الغابة، خلال جذور الأشجار والأحجار المتفتتة. على طول الطريق، رأيت العامل الميداني المؤقت يتقدم عبر المسارات، ولكن المكان كان هادئًا جدًا أو خاليًا. أطلقت الطيور صوتًا حادًا عاليًا أو غردت بينما كانت تتنقل خلال الأشجار. سمعت حفيف فروع الأشجار، وأصواتًا مخيفة من جميع الأنحاء حولنا. حاولت التركيز على الطيور وعدم التفكير في العناكب، أو العقارب، أو الأسد الأمريكي. كان تشافا يتوقف من حين لآخر ليشير إلى تكوينات حجرية اكتشفت لتوها أو مواقع تنقيب جديدة. كان قد سار بي حول هرم صغير. كان هرمًا مدرجًا، مثل الصور التي رأيتها للهرم الشهير تشيشن إتزا، ولكنه كان فقط على ارتفاع خمس وثلاثين قدمًا. ثم بعد ذلك وصلنا أمام ما بدا كبقايا مبانٍ موضوعة حول جانبي حجر ضخم مشيد. نهايات الجدران كانت تتشكل من مربعات حجرية، والأجزاء العلوية منها كانت مغطاة بما بدا كعمود حجري منقوش. "قصر نصف مكتمل هنا"، قال تشافا. "حول الساحة العمومية، مكان عام".

سرت حول قاعدة الأطلال وحدقت في كتل أحجار البناء.

"قلت إنهم لم يمتلكوا معدات معدنية؟".

قال تشافا: "هذا صحيح. كان لديهم فقط جرانيت، وصوان، وسبج. لا يوجد مواد لصنع معدن في هذه الأجزاء".

مررت يدي على الأساس. "مدهش".

"هل نأخذ راحة قصيرة؟" سأل تشافا، وهو يتحرك نحو حافة الحجر المشيد للساحة العمومية ويجلس. سحب زجاجة ماء من الحقيبة التي كان يحملها، وأعطاها لي. اقتربت وأخذتها منه بامتنان. أمدتنا الأشجار بالظل، ولكن بدا أن الحرارة تنبعث من أرض الغابة كما كانت تضرب بعنف من قمم الأشجار. كان قميصي عالقًا بظهري، وبنطالي ملتصقًا بساقي.

قال تشافا: "أتعرف، هذا هو ما أحبه في عملي. الغموض. نحن نعرف أن بعض المدن المهجورة التي رأيناها أصبحت خالية ببساطة بسبب الناس الذين انتقلوا منها. ولكن السكان لم ينتقلوا فقط؛ لقد اختفوا. وحتى السكان المتبقون لم يمكثوا في المدن الكبرى.

واصل تشافا ليشرح أن العلماء الذين درسوا الهياكل العظمية للمايا قالوا إن العظام، حتى العظام التي تنتمي للأسرة الملكية، أوحت بأنه في السنوات الأخيرة من الحضارة، كان الطعام نادرًا. قد يكون ذلك نتيجة الإفراط في الصيد. وهناك احتمالية أخرى أنه كان طاعونًا من الآفات، أو نوعًا ما من الكارثة الزراعية، ربما تسبب فيها التصحر. ولكن السبب الأكثر ترجيحًا في نقص الطعام كان جفافًا ممتدًا.

"فليس هناك الكثير من المياه في يوكاتان في أفضل الظروف" ضحك. "وبالطبع مرض، أو حروب، أو عنف من نوع آخر قد يكون أهلك السكان كذلك".

وقف تشافا وأعاد وضع زجاجة المياه في حقيبته.

قال: "ولكن هنا، في هذا الموقع نرى شيئًا لا نراه عادة في مواقع التنقيب. تعالَ". قادني تشافا إلى أحد جوانب الأطلال. أظهر المدخل الرئيسي

ممرات مقنطرة مربعة دعمتها عواميد قصيرة، دائرية. ولكن تشافا كان ينظر إلى الأرض أمام المبنى.

"الآن" قال تشافا مشيرًا إلى جمع من الأحجار موضوعة على الأرض. لم تكن تشكيلة منظمة، ولكنها لم تبدُ منظمة تنظيمًا عشوائيًا أيضًا. "ما هو تخمينك لما كان عليه ذلك؟".

"لا أعرف" قلت وأنا أقترب أكثر. كانت هناك باقات صغيرة من العشب بين الأحجار. أسرعت سحلية نحو إحدى الزوايا واختفت في نهاية جانب من الكومة. "هل هذا بداية تشييد بناء؟ أم شيء ما وقد انهار؟".

قال تشافا: "إن هذا، يا صديقي... جدار. ليس جدارًا منهارًا، ولكنه جدار شُكّل سلفًا ووضع هنا، منتظرًا أن يتم نقله بالأعلى هناك ليصنع طابقًا ثانيًا. لقد كان جاهزًا للنقل، ولكن العمل لم يكن قد انتهى. هذا أمر لا تراه في موقع هجر بسبب جفاف لمدة طويلة، أو مرض. هذا العمل لم يتم إيقافه؛ ولكن تمت *مقاطعته بشكل مفاجئ*".

عندما بدأنا تلك الجولة الصغيرة، كان شعوري تجاه الأمر كله أنه عشوائي بعض الشيء؛ أخذ حلقة دراسية مكثفة في علم الآثار، والانغماس في عمل شخص قابلته لتوي. ولكنني كنت قد بدأت في فهم لمَ قد يرغب تشافا في أن يري ذلك لكل شخص قابله؛ لمَ قد يرغب في مشاركة عمله مع شخص غريب، ولمَ وظيفة كوظيفته تلك قد تجذب اهتمام شخص ما. كان هناك الكثير للغاية من الأسئلة المطروحة للإجابة عنها.

سألته: "ماذا تظنه حدث في رأيك؟ هل تعرضوا للهجوم أو شيء من هذا القبيل؟".

قال تشافا: "الحرب أو العنف من الأمور المحتملة هنا، ألا تبدو كذلك؟ لقد وجدنا كمية من نصال الرماح. ولكن لم يكن هناك مبانٍ محترقة أو جدران أو متاريس تعمل كدفاع. وإذا كان ما حدث هو هجوم غير متوقع، حسنًا، عليك

أن ترى شيئًا آخر". أشار تشافا إلي لأتحرك بعيدًا عن الجدار. "هل يمكنك أن تتحمل القليل فقط من المزيد من الصعود؟".

قادني تشافا خلال الطريق، إلى أعلى سبيل متعرج وملتف. كانت توجد هنا وهناك بقايا درجات مهدمة؛ والتي كنا نصعد فوقها. توقف تشافا عن الصعود قرب قمة التل وتوجه إلى منطقة مسطحة من الأوتاد والأحجار. كان من الواضح أن التنقيب جارٍ. حيث كان واضحًا من بين الشجيرات، قواعد الأحجار لجدران تحيط بحفر من الوحل الجاف. في إحداها، كانت هناك امرأة شقراء شابة تجلس القرفصاء في ركن، تمسح التراب بحرص من على غرض مدفون بفرشاة صغيرة. في ركن آخر من الحفرة، كان هناك فتات مختلف لصخرة وخزف مكسور موضوع عليه أعلامًا مرقمة وملصقات.

قال تشافا بينما وقفت المرأة: "جوناثان، هذه هي إلين. إلين، هذا هو جوناثان".

كانت إلين فنية ميدانية أخرى، تعمل مع فريق من جامعة أمريكية.

"كنت أوضح لتوي لجوناثان الاكتشافات الأخيرة. ربما في إمكانك أن تخبريه عن تلك المنازل على قمم التل"، قال تشافا. أومأت إلين ومسحت جبينها بوشاح أخذته من جيب سروالها. مثل تشافا، بدا أنها لا تحتاج إلى أي تشجيع للحديث عن عملها.

أوضحت أن ما كنت أنظر إليه، كان بقايا لتحضير وجبة. الرحى التي كانت تطحن الذرة كانت مسنودة على إطار الباب ولكنها لم توضع جانبًا. أواني الطبخ الموضوعة بترتيب أوحت بأن العمل قد بدأ ثم توقف في منتصفه. كل شيء كان متروكًا بالطريقة التي يترك عليها الناس الأشياء إذا كان في اعتقادهم أنهم سيغادرون ويعودون سريعًا. لقد غادروا بسرعة، ولكن لم يبدُ أنهم قد هربوا في ذعر. كل شيء كان منظمًا، ولم تكن هناك علامات على فوضى أو هجوم.

تنهد تشافا: "آه. لدينا عمل كثير لنقوم به قبل أن نحل تلك الألغاز".

قالت إلين: "على ذكر العمل... آمل أن تعذروني بينما أعود إليه. فأنا أرغب في القيام بالمزيد من العمل قبل أن أغادر في نهاية اليوم".

وقفت أنا وتشافا لبضع دقائق إضافية على قمة التل، نحدق في ظل الأشجار. أعدت نظري إلى إلين وقد جثمت بالوحل. كانت الظلال أقل بالأعلى هنا، وعلى الرغم من أن الشمس لم تعد بنفس العلو التي كانت عليه في السماء عندما وصلت في البداية، كانت لا تزال حارة.

"هذا شيء لا أفهمه"، قلت لتشافا.

أمال تشافا رأسه.

قلت: "العمل. التنقيب. يبدو وأنه يتقدم ببطء شديد. كنت أعتقد أن الهندسة الكهربائية والتصميم الفني عمل مضنٍ، ولكن هذا..." لوحت بيدي في اتجاه إلين. "تلك الخطوات التي تقدر بكسور من البوصة. كيف تستطيع التعامل مع ذلك؟".

"آه نعم، أعلم ذلك"، قال تشافا مبتسمًا، "يمكنك أن تعمل طوال اليوم، وفي نهايته، ما الذي قمت به؟ حركت بضعة أرطال من الرمال، صحيح؟".

هززت كتفي.

"من السهل أن تستخف بالعمل الذي نقوم به. فالعاملون الميدانيون في بعض الأحيان يشيرون إلى أنفسهم على أنهم "رفش متنقل". ولكننا جميعًا علينا أن نستمر في تذكير أنفسنا بأنه ليس علينا استعجال عملنا، وأن علينا أن نكون صبورين. وفوق كل ذلك، يجب علينا أن نعمل بحرص، وبدقة وبأكبر قدر من الاحتراف، حتى إذا كنا نشعر بالسأم أو الضجر. فمن السهل للغاية أن ندمر تحفًا مهمة أو نفقد أشياء بمجملها".

بدأ تشافا في التوجه عائدًا نحو الدرجات الوعرة. نظر إليّ من فوق كتفه.

"كل مربع تم التنقيب فيه بعناية قد يبدو صغيرًا، يا جوناثان، ولكن في

إمكان كل تلك القطع الصغيرة من الأرض أن تتوصل إلى اكتشاف تاريخي مهم، تطور حقيقي في المعرفة. أحب أن أعتقد أننا نحن "الرُّفُوش المتنقلة" إذا أدينا عملنا جيدًا، فإسهاماتنا الصغيرة يمكنها أن تؤدي إلى شيء مهم حقًا. يمكننا حقًا أن نحل ألغازًا كبيرة".

في طريق العودة إلى المنزل أصرت سكينا أن أجلس بجانب النافذة في الشاحنة بينما حشرت نفسها بين تشافا وبيني في المنتصف. تركت النافذة مفتوحة طوال الطريق ومن حين لآخر كنت أخرج رأسي ككلب جولدن ريتريفر ساذج. كان الشعور بالهواء الجاف المندفع رائعًا. بمجرد أن أصبحنا نلتف بطريقنا عبر شوارع أوشكوتسكاب ذات المباني المصفوفة، كان هناك سبب آخر لأواصل جعل رأسي متدليًا خارج النافذة؛ الرائحة المغرية للطبخ. أدركت كم أنا جائع، ولكنه خطر لي أيضًا، أنه بما أننا جميعًا كنا في الخارج طوال اليوم، فمن غير المرجح أن يكون هناك عشاء ينتظرنا على الموقد عندما نعود.

قلت لتشافا وسكينا: "إنني أفكر فقط، لمَ لا أصطحبكما أنتما الاثنين للعشاء في المدينة؟ فلقد أمضيتما الكثير من وقتكما وأنتما ترفهان عني".

قالت سكينا: "أوه لا. لا يمكننا القيام بذلك، زاما تنتظرنا".

اتضح أننا نتوجه إلى منزل ابنة تشافا وسكينا المتزوجة. فهي وزوجها قد أعدا عشاءً كبيرًا من أجلنا.

لقد كان مساءً مزدحمًا ومليئًا بالضوضاء. فبالإضافة إلى زاما وزوجها وأطفالها الثلاثة الصغار، فقد مر علينا جيران متعددون ليلقوا التحية. اشتغلت الموسيقى، وكوبي كانت ممتلئة بالعصير وأعيد ملؤها، وكان طبقي مكدسًا بالطعام. بينما طارد الأطفال بعضهم البعض حول الفناء الخلفي، تبعت عيناي ابن زاما ذا الست سنوات؛ إيميه. لقد كان أصغر من آدم قليلًا، ولكن بضحكته المفعمة بالحياة والطريقة التي كان عليها جسده في حركة متواصلة، حتى عندما جلس، ذكرني إيميه بابني. بعد أن أنهيت تناول الطعام،

سرت حول المنزل، وفي الخارج في الطريق الموحل، حيث كان أهدأ قليلًا. حاولت الاتصال بالمنزل ولكن الاستقبال بهاتفي لم يكن جيدًا في بعض الأحيان، فمنذ أن وصلت إلى المكسيك، لم أتمكن من الاتصال. كتبت رسالة إلى آدم.

كتبت: *مرحبًا يا صديقي. إنني أرى أروع الأشياء هنا. عندما يكون لدي المزيد من الوقت، سأخبرك كل شيء عنها. ولكن الآن، رغبت فقط في قول إنني أحبك.*

سيتم إرسال رسالتي متى تلقى هاتفي إشارة استقبال. وفي هذه الأثناء، عدت إلى الحفلة، ولكنني لم أعد متحمسًا لها.

بدا أن تشافا لاحظ مدى الهدوء الذي أصبحت عليه بعد عودتي؛ وبعد حوالي ثلاثين دقيقة تالية اقترح أن نغادر. في الوقت الذي استلقيت فيه على فراشي فيما بعد في هذه الليلة، جعلت كتابتي في دفتر يومياتي عن مشاهدة عائلة تشافا السعيدة صدري يضيق من الاشتياق. لم أكن راغبًا في شيء أكثر من أن يكون ابني ممددًا بجواري. كيف لم أقدر تلك اللحظات عندما كان تحقيقها سهلًا للغاية؟

في الصباح التالي، تحركت أنا وتشافا في موقف السيارات في ظلام ما قبل الفجر. كانت قد راودتني فكرة أن أطلب من سكينا أن تعيدني إلى المطار بميريدا عوضًا عن ذلك لكي أرى إذا كان بإمكاني الحصول على رحلة مبكرة عن موعد رحلتي للخروج من المكسيك؛ ولكن كلمات أيامي عادت إلي. بدا أن جوليان يحدد السرعة التي تسير بها هذه الرحلة لسبب ما. والأهم من ذلك، أن تشافا بدا مصرًا على مواصلة تعريفي على حضارة المايا، وكنت سأشعر بالسوء إذا اقترحت أن علينا أن ننهي ذلك مبكرًا. لقد أصر على أن نخرج إلى هنا، إلى أوكسمال، قبل بزوغ الفجر.

كان قد قال لي: "عندما تبزغ الشمس سيظهر الناس، وأنت تحتاج إلى أن ترى ذلك بمفردك، أو شبه بمفردك".

كان لتشافا العديد من الاتصالات مع الأشخاص الذين يديرون الموقع، لذا فقد تلقى حارس أمن تعليمات لمقابلتنا في مدخل المبنى الذي كان بمثابة بوابة للمعابد والأطلال. كان في إمكاننا رؤية ظلال هيئته بالزي الرسمي على الباب الأمامي للمتحف.

عندما اقتربنا، تبادل هو وتشافا بضع كلمات بلغة المايا، وفتح الحارس الباب لنا. ثم أشار إلى البهو وقال شيئًا ما آخر.

قال تشافا: "أعرف الطريق. فقط اتبعني".

بعد عشر دقائق كنا نقف في الخارج. في الضوء الخافت، ارتفع هرم رائع أمامنا على ارتفاع مائة قدم وعلى اتساع مائتي قدم على الأقل. بعكس الهرم الصغير الذي رأيته بالأمس، أو الصور التي رأيتها لأهرام المايا الأخرى، بدا أن هذا الهرم له قاعدة بيضاوية. "معبد الساحر"، قال تشافا.

بينما وقفنا، ارتفعت الشمس من ورائنا. وبينما فعلت، ضرب ضوؤها أحجار المعبد، جاعلًا إياها تتوهج باللون الذهبي، كما لو أن حريقًا هائلًا أشعل داخل الهرم.

مال تشافا بجانبه تجاهي وقال بصوت خافت: "مدهش، أليس كذلك؟ أن تفكر أن رجالًا قد شيدوا ذلك. رجالًا عاديين مثلي ومثلك، قادرين على إنجازات كتلك، ذلك الإتقان"، أومأت مأخوذًا بما كان أمامي.

شاهدنا الهرم بينما أضاءت السماء من حوله. ثم بدأ تشافا في السير. كان متجهًا نحو البناء.

"لم يعد مسموحًا للسائحين بصعود الدرجات، ولكننا نمتلك تصريحًا خاصًا بذلك". وبدلًا من البدء في صعود الدرجات التي هي أمامنا مباشرة، سار تشافا حول القاعدة. فكرة صعود الهرم أثارت حماسي. أصبحت فجأة مسرورًا أن تشافا كان يأخذ تعليمي على هذا النحو الجاد للغاية.

"الجانب الآخر أفضل للصعود"، شرح لي بينما قادني للوجه المقابل

للهرم.

بينما وقفت عند أسفل الهرم، والحجر يرتفع عاليًا من فوقي، أصبح الارتفاع المدهش واضحًا. سيكون صعودًا صعبًا. بدأ تشافا الصعود، وتبعته. تقدمنا ببطء أعلى الدرجات الملساء الشاقة. لقد كانت منحدرة وضيقة، وإحساس صعود درج مفتوح هائل كان مربكًا. أخبرني تشافا أن العديد من الأهرامات لها سلاسل معدنية لتمسك بها بينما تصعد. كان في إمكاني رؤية السبب. عند وصولنا القمة، كنت أتعرق كما لو أنني أنهيت سباق عدو.

قال تشافا: "هذا أفضل مشهد لأوكسمال. اجلس، استرح، انظر".

أسقط تشافا حقيبة ظهره القماشية على الأرض وجلس القرفصاء مستندًا على كعبيه. فعلت مثله.

امتد موقع أوكسمال حولنا لمئات الفدادين. الكثير من بقايا المدينة القديمة كان لا يزال مغطى بالنباتات. الأثر الوحيد للعديد من الطرقات والمباني كان عبارة عن امتدادات مسطحة تخللتها تلال رباعية. تحتنا مباشرة، على الرغم من ذلك، كانت هناك سلسلة من أطلال حجرية هائلة شاسعة.

أخبرني تشافا أنه عندما كانت أوكسمال مأهولة، كانت المنازل تمتد لفدادين إضافية أكثر بكثير مما أراه أمامي الآن. أشار إلى هرم آخر، مغطى نصفه بالنباتات؛ كان هذا يدعى بالهرم الكبير، وحدثني عن أطلال المباني الأخرى التي كان في إمكاننا رؤيتها في كل مكان من حولنا.

"هل سبق لك أن سمعت عن أسطورة هذا الهرم؟"، سألني تشافا بعد وصفه للمدينة من تحتنا. هززت رأسي نفيًا.

"هناك العديد من الروايات المختلفة للقصة"، قال تشافا.

الأسطورة التي حكاها تشافا كانت تصف كيف أنه منذ زمن طويل، أُنذر ملك أوكسمال أنه عندما يُقرع جرس معين في مدينته، فإن إمبراطوريته

ستصبح ملك رجل لم تلده امرأة. ذات يوم، بالفعل قرع الجرس، وفزع الملك لاكتشاف أن من قرعه كان صبيًا قزمًا فقس من بيضة لامرأة مسنة بلا أطفال. طلب الملك القزم ليحضر إلى قصره وكان عازمًا على إعدامه، عندما بدل رأيه. بدلًا من قتل الصبي في الحال، قرر أن يكلف القزم بمهمة مستحيلة. إذا استطاع أن يبني القزم للملك معبدًا مذهلًا، أطول من أي مبنى آخر في المدينة وكان في إمكانه القيام بذلك في ليلة واحدة، فسيتم إنقاذ حياته.

عندما استيقظ الملك في الصباح التالي، كان مذهولًا لرؤيته هرمًا مهيبًا شاهقًا أمامه. أبقى على روح القزم، وأصبح الهرم معروفًا باسم معبد الساحر.

قال تشافا: "في بعض روايات القصة، أوجد القزم نفسه من قبل المرأة المسنة خلال ليلة. وفي روايات أخرى، كلف بالعديد من الإنجازات العظيمة والاختبارات، فيما بينها بناء الهرم. ولكن الشيء المشترك في كل رواية للقصة فكرة أن هذا البناء الرائع قد صنع خلال ليلة واحدة فقط".

أخرج تشافا زجاجتي مياه من حقيبته. مرر واحدة لي وشرب جرعة كبيرة من الأخرى، ثم مسح فمه بظهر يده.

واصل: "ربما كان السبب وراء ذلك هو العمل الذي أقوم به. ولكن هذه القصة تمتعني. إنها تخبرنا بالكثير جدًا عن أحلامنا، وعن رغباتنا. ما الذي تمناه الملك؟ لا، لم يكن الأمر متعلقًا كثيرًا برغبته في معبد كبير. فقد كان في إمكانه جعل تابعيه يبنونه له في أي وقت. ما يرغب فيه هو أن يحدث ذلك البناء المميز بين عشية وضحاها".

قلت وأنا أضحك: "أعتقد أن شيئًا لم يتغير. كل شخص يرغب في كل شيء بسرعة".

قال تشافا: "نعم، بالضبط. ولكن ذلك فقط ليس ممكنًا، أليس كذلك؟

ففي النهاية، إنجاز مهمة الملك يثبت أن القزم، في الواقع، ساحر. فإنها ليست بقدرة محض بشر أن يصنع شيئًا مذهلًا حقًا في الحال. الناس يحتاجون إلى الصبر. يحتاج الناس إلى تشييد الأشياء ببطء، طوبة واحدة في كل مرة. بقدر ما نحب أن نحقق أشياء عظيمة بسرعة، فليست تلك هي الطريقة التي يسير بها العالم. العبقرية هي عملية مستمرة".

وضع تشافا حقيبة ظهره القماشية على حجره وكان يبحث بداخلها عن شيء ما. بعد بضع ثوانٍ، أخرج كيسًا قماشيًا صغيرًا وأعطاه لي.

"هل أفتح هذا الآن؟"، سألت. فأومأ تشافا.

أعلى الكيس الأحمر المنسوج كان مربوطًا بقطعة من الحبل. عملت على حل العقدة إلى أن انفتح، ثم رفعت الكيس وأفرغت محتوياته في حجري. كانت هناك رسالة قصيرة وغرض صغير من الخزف الأحمر. التقطته ونظرت إليه. بدا كنموذج مصغر لهرم.

فتحت الورقة وقرأت الكلمات المكتوبة عليها.

اصنع تقدمًا يوميًا بسيطًا

الطريقة التي نؤدي بها الأشياء الصغيرة تحدد الطريقة التي نؤدي بها كل شيء. إذا نفذنا مهامنا الصغيرة بطريقة جيدة، فإننا سنبرع أيضًا في جهودنا الأكبر. الإتقان إذن يصبح طريقتنا في الوجود. ولكن هناك ما هو أكثر من ذلك؛ فكل مجهود صغير يضيف لما بعده، وهكذا من خلال وضع طوبة وراء طوبة؛ أشياء رائعة يمكن أن توجد، وثقة كبيرة يمكن أن تنمو، وأحلام استثنائية يمكن أن تتحقق. الحكيم حقًا هو من يدرك أن التقدم اليومي الصغير دائمًا ما يقود إلى نتائج استثنائية بمرور الوقت.

كانت الشمس أكثر ارتفاعًا في السماء بشكل ملحوظ عما كانت عليه في بداية تسلقنا للهرم. وكانت حرارتها قد بدأت في الضغط علي. رفعت جانب

قميصي ومسحت بعض العرق عن جبيني.

ألقى تشافا نظرة عليّ وبدأ في الوقوف على الفور.

قال: "آسف لجعلك تمكث لكل هذه الفترة الطويلة بالأعلى هنا. أعرف أنك لست معتادًا على الحرارة. دعنا نتخذ طريقنا. في طريق نزولنا، أود أن أريك شيئًا آخر إضافيًا".

بدأنا هبوطنا، والذي وجدته أصعب من الصعود. فنزول الدرجات المنحدرة، الضيقة والتي تواجه الساحة العمومية، جعلني أدرك الارتفاع الذي صعدته وعدم وجود ما يمنع إمكانية أن أتعثر وأنهار أسفل هذه الدرجات الحجرية الملساء. شعرت بالارتياح عندما أشار إليّ تشافا بأن أتوقف عن خفض نفسي وأن أبدأ، عوضًا عن ذلك، في التقدم جانبيًا. كان تشافا يتقدمني، ولكنه في النهاية توقف أمام مدخل كبير مقنطر والذي كان مفتوحًا على طول جانب من الهرم.

قال تشافا بتلويحة من يديه تجاه المدخل: "هذا، هو المفارقة التي تكمن في الأسطورة، من وجهة نظري".

قلت: "حقًا؟".

قال تشافا: "من المزعوم أن هذا الهرم بني بين عشية وضحاها، ولكن هذا بعيد كل البعد عن الحقيقة. فعوضًا عن ذلك، فإنه شيد على مدار مئات الأعوام. في الواقع، لقد أعيد بناؤه أكثر من مرة. خمس مرات! وفي كل مرة، كان الهرم الجديد يبنى أعلى القديم. اعتقد أجدادي أن هذا أضفى على المعبد كل القوى المتراكمة وعظمة سابقيه. هذا المدخل هو مجرد بقايا أحد الأهرامات السابقة التي كانت هنا. ما تراه حوله أضيف فيما بعد".

"واو" قلتها وأنا أرفع بصري ناظرًا إلى نقوش مخلوقات غامضة أو ربما عظماء المايا التي نقشت على طول إطار الباب. لقد كانت مهارة فنية متشابكة ومفصلة. كان ليصبح سحرًا حقًا، إذا كان شيئًا مثل ذلك حدث خلال أشهر، فما بالك بين عشية وضحاها.

قال تشافا: "بالأمس كنت أخبرك أنني أتمنى أن يكشف عملي عن تفسير حول نهاية إمبراطورية المايا. ولكن البدايات هي ما يثير اهتمامي حقًا؛ كيف نشأ كل ذلك؟ أنت تتحدث عن أن التنقيب عن الآثار عمل مضن، ولكن نشأة حضارة، وبناء مدن شاسعة، وتلك الأهرامات هنا، هذا هو العمل البطيء المضني".

أومأت، وصمت كلانا لدقيقة.

قال تشافا بهدوء: "من الجيد تذكر ذلك. تذكر أن كل حلم كبير يبدأ صغيرًا".

لقد كان تشافا هو من اصطحبني إلى مطار ميريدا في اليوم التالي. كانت الرحلة بالسيارة تمتد إلى ساعتين تقريبًا، وبعد أن ثرثرنا بود في النصف ساعة الأولى، التزمنا الصمت. أخرجت هاتفي، ولكنني كنت لا أزال غير قادر على الحصول على إشارة استقبال. بدأت أتصفح بعض صوري على الهاتف. توقفت عند لقطة لآدم في زيه لكرة القدم، وقدمه تردد فوق الكرة.

نظر إلي تشافا. قال: "تشعر قليلًا بالحنين الى الوطن".

قلت: "نعم".

"أنت في طريقك الى الوطن، يا جوناثان" أجاب بعد دقيقة. "أنت في طريقك إلى الوطن".

كنا قد مررنا خلال مدينة تيكول، من أمام أراضٍ زراعية متسخة ومراعٍ صخرية. جلسنا دون حديث لفترة لبعض الوقت قبل أن أسحب دفتر يومياتي من حقيبة ظهري وأخرج آخر رسالة. كنت أكتب أفكاري عن الرحلة، عن التمائم، والرسائل في دفتر اليوميات كما طلب مني جوليان. لم أكن واثقًا تمامًا مما فكرت فيه بشأن تلك الرسالة الأخيرة.

في النهاية، نظر تشافا إلى دفتر اليوميات على حجري، وقال: "جوناثان، هل أخبرتك سكينا عن ابننا، أفالي؟".

"فقط أنه يعيش في مكسيكو سيتي وأنها تفتقده"، أجبت.

جعل هذا تشافا يضحك بصوت عالٍ. نظرت إليه بتساؤل.

قال تشافا: "آسف. لا أستطيع تصديق أنها اكتفت بذلك. أفالي طبيب. سكينا فخورة للغاية به. في العادة، هذه من أول الأشياء التي تخبر الناس بها".

قلت: "يمكنني فهم لمَ هي فخورة به".

كانت هناك لحظة صمت ثم واصل تشافا حديثه.

"عندما كان أفالي في الثامنة من عمره، أتى إليّ وقال: 'أبي، أرغب في أن أصبح طبيبًا وأساعد المرضى. كيف أفعل ذلك؟' الآن، يا جوناثان، ما الذي يمكنني قوله؟ لم يذهب أحد منا، أنا أو سكينا، إلى الجامعة. معظم عائلتي لم تكمل تعليمها بعد المدرسة الإبتدائية. لم يغادر أحد منا يوكاتان مطلقًا. لم يكن لدي أدنى فكرة كيف يصبح شخصًا ما طبيبًا. ولكن كان هناك أفالي الصغير بكل الأمل الذي يمتلكه طفل، وأدركت أنني أعلم بالفعل شيئًا واحدًا. سحبته ليجلس على حجري، وقلت: 'يا بني، إليك كيف تبدأ. غدًا، اذهب إلى المدرسة واستمع إلى كل ما يقوله المعلم. واعمل بجد أكثر مما عملت في أي وقت مضى. ثم تعالَ إلى المنزل وأخبرني ما تعلمته'".

كان تشافا يبتسم بحنو، كما لو كان في إمكانه رؤية ابنه أمامه. أومأ برأسه قليلًا، ثم أكمل.

"وهكذا بدأ. كل اختيار، كل فرض، أخبرته: 'أبلِ بلاءً جيدًا في ذلك، وستكون في طريقك لكي تصبح طبيبًا'. لم يعرف أي منا الطريق الذي ينتظرنا، لذا فقد ركزنا فقط على الخطوة التي أمامنا. عندما صار أكبر، تحدثنا إلى كل شخص نعرفه؛ علماء الآثار والباحثين في المواقع التي كنت أعمل بها، الممرضات والأطباء في المستشفى، بل وحتى السائحين الذين كنا نلتقاهم في الأطلال أو في المدينة. ببطء ولكن بثقة، اكتشفنا، أفالي وسكينا وأنا، الخطوات التالية. وبسرعة بالغة، كان أفالي يتخرج في الجامعة في مكسيكو سيتي".

قلت: "تقدم يومي صغير في إمكانه أن يقود إلى أشياء عظيمة، صحيح؟".

قال تشافا: "أصغر الأفعال أفضل دائمًا من أجرأ النوايا. والنتائج دائمًا أبلغ من الكلمات".

مثله مثل الحراس الآخرين، فهم تشافا بوضوح، وعاش حكمة التميمة التي حرسها. رآها في عمله، ورآها في ابنه. ولكن كيف ستسهم في حياتي؟ لم أكن واثقًا ما هو الإنجاز القيم الذي يجب أن أسعى إليه، ما الإنجازات، والأحلام، التي يجب أن أتخذ خطولتي الصغيرة نحوها. كنت أعتقد أنها وظيفة المدير التنفيذي تلك، أو المنزل الضخم، أو حتى سيارة فيراري، مثل التي كان يمتلكها جوليان. ولكني الآن لم أعد متأكدًا. لم أبدأ في تدوين شيء في عجالة إلى أن وصلنا إلى المطار. كتبت: *تمارين الضغط*. سأبدأ يومي في الغد بعشرين تمرين ضغط. سأبدأ من هناك.

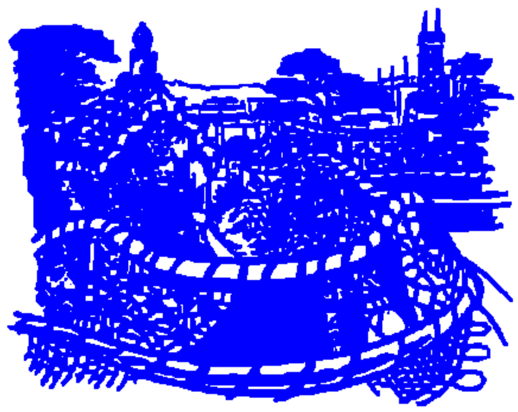
وجدت صعوبة، على نحو مثير للدهشة، في توديع تشافا. لقد ذكرني هو وسكينا كثيرًا بوالديّ. ووجدت نفسي أرغب في تمضية وقت أطول مع عائلته. ربما لو أنني ذاهب إلى المنزل، لم أكن لأشعر على هذا النحو. ولكنني كنت متوجهًا مرة أخرى نحو المجهول؛ إلى برشلونة هذه المرة. في المطار، تمكنت من تلقي إشارة استقبال على هاتفي. اتصلت بأنيشا، ولكن أجابني بريدها الصوتي. قررت أن أكتب لأنيشا وآدم رسالة أخرى، أخبرهما فيها عما جرى خلال إقامتي بالمكسيك، ولكن عندما فتحت بريدي الوارد، لاحظت رسالة من تيسا. كان ذلك غريبًا. لم نكن نعمل على أي شيء معًا.

بدأت الرسالة: مرحبًا جوناثان،

كنت أتحدث إلى ناوانج اليوم، سائلة إياها متى ستعود. قالت إنها لا تعلم.

إنها تعتقد أنك قد لا تعود على الإطلاق. لم يكن في إمكاني أن أصدق كم ضايقني ذلك. وجعلني ذلك أفكر. لا أعرف تمامًا كيف أقول ذلك، لذا فإنني سأقوله مباشرة. الشائعة المنتشرة في المكتب أنك تسير في خطوات الحصول على الطلاق. ربما الأمر مبكر للغاية بالنسبة لك، ولكنني دائمًا ما شعرت أن هناك شيئًا ما يجري بيننا. إذا لم تعد إلى العمل هنا، فلا أرغب في أن أفكر أننا قد أضعنا فرصة لأن نكون معًا. أعتقد أننا قد نكون مناسبين لبعضنا البعض. على أي حال، أنا أثرثر. رغبت فقط أن أعلمك أنني أفكر فيك.

تيسا



الفصل السابع

عندما كنت في الخامسة، أخذني والدي إلى أول مباراة كرة سلة بالنسبة لي. لم تكن ضمن الدوري الأمريكي لكرة السلة للمحترفين، ولكنها كانت المباراة الأكثر إثارة التي رأيتها في حياتي.

كانت المباراة في الدور نصف النهائيّ في المدرسة الابتدائية، المُقام في مدرسة بارك فيو العامة، حيث كان والدي يدرّس للصف السادس. كنت هناك في فصل الصيف السابق، عندما كان والدي يقوم بتهيئة فصله الدراسي لليوم الأول في الدراسة. كنت أنا وأختي نقوم بالتلوين على ورقة رسم، بينما كان والدنا يضع ملصقات لحيوانات وأشخاص غريبة. كانت جميع الملصقات مكتوبًا عليها، ولم تكن لديّ أدنى فكرة عن محتوى هذه الكتابات وما تدور حوله. ولكن كان من الواضح لي أن والدي يجب أن يكون بارعًا حقًا في تدريس الرياضيات، والقراءة، وأي شيء آخر للفتيان والفتيات في سن الحادية عشرة في المرحلة المتقدمة.

مع ذلك، كانت مباراة كرة السلة هذه أول دلالة على أن والدي كانت لديه مهارات ومسئوليات تجاوزت هدايا فصله الدراسي. جلست على نهاية مقعد خشبي طويل في صالة رياضية ضخمة. الفتيان الذين كانوا يبدون كبارًا وفارعين لدرجة كافية لكي يكونوا مراهقين -في نظري على الأقل- تمددوا على طول المقعد. كان والدي يتحدث إليهم، ويعطيهم تعليمات. وكان كل فتى من هؤلاء الفتيان يركز نظره على والدي؛ مستوعبًا كل كلمة قالها كما لو كان يشارك معهم أسرار الكون.

أنا لا أتذكر أي شيء عن المباراة. الشيء الوحيد الذي علق في ذهني هو طريقة اعتزازي في كل مرة تحدث فيها والدي إلى فريقه، وفي كل مرة نظر فيها نحوي وابتسم.

في المرحلة الرابعة، مع ذلك، كانت هذه المباراة في الماضي البعيد، وحلّ القلق محلّ اعتزازي. كانت مدرستي في هذه السنة السيدة هيجينبوتوم؛ وهي سيدة كانت تأتي في بعض الأحيان إلى العمل تعلق في مؤخرة شعرها بكرة شعر منسية. كانت ترتدي ملابس شديدة التنافر لاحظها الجميع حتى الفتيان في سن التاسعة. نجحت السيدة هيجينبوتوم في إبقاء السيطرة على الفصل فقط بمساعدة السيدة دورمان، من الفصل الدراسي المجاور، وزيارات مدير المدرسة المتكررة. ولكن حتى التهديد الدائم بالحبس وفرض واجبات منزلية إضافية لم يمنعنا من التجمع في فناء المدرسة في وقت الفسحة للتوصل إلى ألقاب وقحة لها. كانت السيدة هيجينبوتوم توضّح لي أن المدرسين ليسوا بالضرورة شخصيات تستحق الاحترام؛ أن المدرسين قد يكونون غالبًا محل سخرية.

كنت متأكدًا تمامًا من أن والدي لم يكن شبيهًا أبدًا بالسيدة هيجينبوتوم؛ حيث إن الأطفال لم ينقلوا من أوراق اختبار بعضهم البعض في اللحظات التي يدير ظهره فيها لهم، أو يحاولوا خداعه باعتقاد أنه ضيّع جميع الفروض التي لم يكلفوا أنفسهم عناء تسليمها. إلا أنني لم أستطع التوقف عن طرح

السؤال: إذا أتاحوا للسيدة هيجينبوتوم أن تكون مدرسة، فماذا قالوا عن والدي؟

في المرحلة السابعة، تلاشت نظرتي لوالدي على أنه منزه عن العيوب التي امتلكتها في مرحلة رياض الأطفال. والآن جميع ما يمكنني التفكير فيه هو أن والدي فضّل قضاء حياته مع أطفال صغار. كان آباء أصدقائي أطباء ومحامين، ومشغلي رافعات شوكية، ورجال أعمال. كانوا يستقلون سياراتهم إلى المنزل في نهاية اليوم حاملين محافظ أوراق باهظة الثمن مملوءة بملفات، أو خوذ حماية بيضاء تطل من النوافذ الخلفية لشاحناتهم. فيما كان والدي يعود إلى المنزل حاملًا كومات من كتيبات مجموعة مع بعضها بصورة خرقاء حول "مصر القديمة" ورزم استمارات عمل حول الكسور والأرقام العشرية.

عندما صرت في المدرسة الثانوية، أصبحت متأكدًا. كان السبب وراء كون والدي مدرسًا للمرحلة الابتدائية، والسبب وراء تعلقه بهذه الوظيفة، أنه لم يكن لديه طموح؛ وهو عيب بارز جدًا لدرجة أنه فشل في إدراك الإحراج الذي تسببه وظيفته أو الاعتراف به. لقد اكتشفت أنه عُرض عليه للعديد من المرات أن يُصبح نائب مدير أو مديرًا، ولكنه رفض جميع العروض. كانت خطته تكمن في أنه أحب الفصل الدراسي؛ وإذا لم يكن بمقدوره التدريس، فإنه سيفضل أن يقوم بشيء مختلف تمامًا. ولكنني عرفت الحقيقة: كان والدي كسولًا نوعًا ما.

وعند عملي بوظيفة دوام كامل، توصلت إلى إدراك أن والدي، بالطبع، لم يكن شبيهًا بالسيدة هيجينبوتوم. يمكنني إدراك أنه أحب ما كان يفعله حقًا، وأنه كان جيدًا في القيام به. بيد أن قضية الطموح ظلت تلح عليّ.

هذا ما كنت أفكر فيه عندما أخبرني لويس كوستا هذه القصة.

قابلني لويس في مطار برشلونة. مثله مثل أحمد، كان يحمل لافتة صغيرة مكتوبًا عليها اسمي. كان على الأرجح في بداية الثلاثينات من عمره، ولكن مظهره كان صبيانيًا، كانت ضفائر شعره ذات اللون البني الداكن تتسدل بالقرب من رأسه. وكان يرتدي سترة بحرية نظيفة وبنطالًا رماديًا غامقًا. انعكس لمعان رابطة عنقه الحمراء الزاهية مع بياض قميصه.

قال: "أهلًا، أهلاً. مرحبًا بك يا جوناثان. لويس كوستا في خدمتك. لمن دواعي سروري أن أقابل فردًا من عائلة جوليان".

قبل أن أتمكن حتى من الرد، وضع لويس يديه على عضدي، وانحنى للأمام، وقبّلني على وجنتي.

قال، واضعًا ذراعه حول كتفي: "الآن، دعنا نتعرف على بعضنا البعض بصورة أفضل أثناء تناولنا وجبة عشاء لطيفة وزجاجة عصير جيدة".

جعلتني ألفة لويس أشعر بعدم الارتياح قليلًا. لقد تمتعت بالوقت الذي قضيته مع أحمد، وأيامي، وتشافا، وسكينا، ولكنني لم أكن في مهمة لاكتساب أصدقاء جدد. لقد أردت في الحقيقة فقط الحصول على التمائم. والرجوع إلى المنزل.

قادني لويس إلى خارج صالة الوصول، ثم إلى موقف سيارات الأجرة بالخارج. وبدلًا من التوجه نحو أول سيارة أجرة في الصف، اتجه مباشرة إلى آخر سيارة. فتح لويس الباب الخلفي بتباهٍ، وأشار بيده نحو المقعد الشاغر كما لو كان يقول: "بعدك". لم أتحرك، على الرغم من ذلك. كان من الواضح أن سيارة الأجرة شاغرة. شاغرة تمامًا.

قلت: "يا لويس، ليس هناك سائق. سائق سيارة الأجرة ليس في السيارة".

قال لويس: "لا، بالطبع لا. إنه سيلقاك بالداخل. أنا السائق يا جوناثان. هذه هي سيارة الأجرة الخاصة بي".

بدا من الغريب أن أجلس في المقعد الخلفي بينما رفيقي، سواء أكان سائق سيارة الأجرة أم لا، يجلس في مقعد السائق، ولكن لويس كان يوجّهني باستمرار تجاه سيارته. وبمجرد أن أجلسني، فتح صندوق السيارة الخلفي

ووضع متاعي بالداخل. كان بإمكاني رؤيته وهو يلوّح لبعض السائقين الآخرين عندما شقّ طريقه حول السيارة تجاه جانب السائق. كان لويس يتمتع بروح مرحة لا تجدها غالبًا عند سائقي سيارات الأجرة، أو على الأقل ليست عند أولئك الموجودين في مدينتي. وبعد أن ركب خلف عجلة القيادة، استدار نحوي.

"إذن يا جوناثان. هل أتيت إلى برشلونة من قبل؟".

عندما هززت رأسي نافيًا، أومأ لويس برأسه. "آه، إذن، أنت محظوظ. لقد حظيت بالسائق المناسب لأخذك في جولة. ولكن أولًا - أنت بالتأكيد متعب. لقد حجزت لك في فندق ممتاز في حي إيكزامبل. سوف أقلك إلى هناك لكي تتمكن من استعادة نشاطك والاستراحة. ثم سأقلك عائدًا في حوالي التاسعة مساءً، لكي نتمكن من تناول عشائنا على ضفة الماء. هل هذا مقبول؟".

كان عليّ الاعتراف بأن لويس سائق جيد. كان يتحرك دخولًا في الحركة المرورية وخروجًا منها بسهولة. كان الهواء داخل سيارة الأجرة منعشًا، ولكن ليس باردًا. وكانت الموسيقى الكلاسيكية تعزف بهدوء. لاحظت وجود علبة صغيرة على ظهر مقعد السائق. موجود بداخلها علبة مناديل ورقية، وزجاجة معقم لليد، وبعض علب المناديل المبللة. احتوت حافظة معلقة على ظهر مقعد الراكب على دفترين من النشرات الملونة. نزعت نشرة من كل دفتر؛ خريطة سياحية لبرشلونة ودليل معارض. تساءلت إذا ما كانت جميع سيارات الأجرة في برشلونة مجهزة جيدًا هكذا.

وعند وصولنا إلى وسط المدينة، بدأ لويس يسلك طريقه خلال الشوارع الضيقة.

"هذا قد لا يكون أقصر الطرق، ولكنه أكثرها احتواءً على المناظر الخلابة. اعتقدت أنك قد تود أخذ نظرة على بعض الفنون المعمارية التي ترجع إلى القرن التاسع عشر في هذا الجزء من المدينة. إنها خلابة جدًا".

كان لويس محقًا. ذكرتني العديد من البنايات بهياكل الفن الحديث الخاصة بباريس ونيويورك، بواجهاتها ذات الأحجار المنمقة، وشرفاتها المصنوعة من حديد الزهر، ونوافذها الطويلة المقسومة نصفين.

قلت لاهثًا عند مرورنا على دار عبادة مزخرفة؛ جميعها يحتوي على قمم مدببة وشرفات ناعمة: "واو".

"آه، نعم، دار عبادة سيجرادا فاميليا التي صممها أنتوني جاودي. وهو أشهر مهندس معماري في برشلونة. غدًا، إذا كنت مهتمًا، فسنرجع إلى هنا. لا ينبغي لأحد مغادرة برشلونة قبل التعرف على عمل جاودي عن كثب".

واصلنا طريقنا بعد دار العبادة، وانعطفنا عند مفترق طرق، ثم توقفنا عند إشارة حمراء. وعندما تغيّر لون الإشارة إلى الأخضر، زاد لويس من سرعته رويدًا رويدًا. لم نكن وصلنا حتى إلى منتصف مفترق الطريق عندما جعلني هدير محرك يتسارع رأسي فجأة. كانت هناك سيارة أجرة أخرى في الشارع المتقاطع تكسر الإشارة الحمراء بسرعة البرق. لم تُبدِ أي إشارة تدل على أنها تبطئ حيث اتجهت مسرعة نحونا. كنت متأكدًا من أنها على وشك أن ترتطم بالباب المجاور لمقعدي مباشرة. قفز قلبي عندما اندفعت إلى الجانب الآخر وغطيت رأسي بذراعي. ثم سمعت صوت صرير إطارات وصوت احتكاك جزء معدني مع جزء معدني آخر. ولكن، ويا للعجب، سيارتنا كانت لا تزال تتحرك بسلاسة، وإن كانت أصبحت أبطأ الآن. رفعت رأسي ونظرت حولي. كان لويس يقود سيارة الأجرة التي نستقلها إلى جانب الشارع على الجانب المقابل للتقاطع. لقد نجح بشق الأنفس في الاندفاع بعيدًا عن السيارة المسرعة لكي يتفادى الارتطام. وبعد التوقف، شغّل لويس أضواء التنبيه ثم استدار إليّ.

سألني: "هل أنت بخير، يا جوناثان؟".

أومأت. نظر كلانا عبر نافذة الرؤية الخلفية. كانت السيارة الأخرى قد ارتطمت بشدة في شبكة السيارة الموجودة على الجانب المقابل من الشارع المتقاطع. كانت هناك آثار انزلاق صنعتها الإطارات ملتوية في منتصف التقاطع حيث كانت بالتأكيد سيارة الأجرة قد انزلقت وانحرفت بعد أن سحب السائق الفرامل بشدة.

قبل أن أتمكن من تمالك نفسي، كان لويس قد قفز خارج السيارة واندفع نحو الحادثة. وبمجرد أن وصل إلى مسرح الحادثة، ساعد سيدة ترتسم

عليها ملامح الذهول وفتاة صغيرة خائفة في الخروج من المقعد الخلفي لسيارة الأجرة الأخرى. كانت السيدة تمسك برأسها، وكان لويس ينحني للأسفل لكي يتحدث إلى الطفلة. نجح سائق السيارة التي صدمتها سيارة الأجرة في فتح الباب وكان يقف غير متزن في الشارع. كان يبدو مذعورًا ولكنه لم يصب بأذى.

اتكأت على نافذة الراكب في المقعد الأمامي من سيارة الأجرة التي انحرفت عن الطريق. كان السائق منحنيًا للأمام، وكان وجهه مستقرًا على عجلة القيادة. كانت الدماء تتساقط من جبهته.

وصلت الشرطة وسيارة إسعاف بعد عدة دقائق. وعند هذا الوقت، كان سائق سيارة الأجرة قد استعاد وعيه وكان يحاول إخبار لويس عما حدث. كان يبدو صغيرًا جدًا ومستاءً جدًا. في النهاية، اقترب المسعفون وبدءوا في فحص جروح سائق سيارة الأجرة. تحركت أنا ولويس نحو سيارة الدورية للإدلاء بشهادتنا إلى الشرطة. ترجم لويس لي، ثم انتظرنا راكبة سيارة الأجرة لكي توضح ما رأته. عرض المسعفون إرسال سيارة إسعاف أخرى لأخذ الأم إلى المستشفى، لكي يتم فحصها، ولكنها قالت إنها وابنتها تشعران بأنهما على ما يرام. بمجرد أن انطلقت سيارة الإسعاف مبتعدة ومضى المسئولون، اقترب لويس من السيدة مرة أخرى، متحدثًا بلطف. وفي النهاية، أومأت برأسها واستدار لويس إليّ.

قال لويس: "لقد أقنعتها بأن تدعني أقلها إلى المستشفى، فقط لكي تكون في أمان. آمل ألا تمانع التأخر لفترة قصيرة أخرى يا جوناثان".

أجبته، قائلًا: "بالطبع لا".

توجه لويس عائدًا إلى سيارة الأجرة بعد مرافقة السيدة وابنتها داخل جناح الطوارئ.

قال: "أنا متأسف لكونك مرغمًا على بدء زيارتك لبرشلونة على هذا النحو يا جوناثان".

قلت: "من فضلك لا تقلق بشأني". كان عليّ الاعتراف بأن الحادثة أثارت أعصابي، ولكن لو لم يكن لويس سائقي، كان من الممكن أن يزداد الأمر سوءًا عن ذلك بكثير. كنت أشعر أنني محظوظ، لا سيئ الحظ.

بعد عشرين دقيقة، توجهنا ناحية مبنى حجري أبيض به نوافذ مقوسة وأحواض زرع من الحديد. كان هناك حامل حقائب مرتدٍ ملابس رسمية أمام باب دوار نحاسي كبير. ركن لويس سيارته في المنطقة المخصصة لسيارات الأجرة، ولوّح لحمّال الفندق قبل أن يقفز خارج سيارته. رأيته يسرع لفتح بابي، ولكنني خرجت من السيارة قبله. سحب لويس متاعي من صندوق السيارة الخلفي. وعندما اقتربنا من الفندق، ألقى حمّال الفندق عليه التحية باسمه، وتبادلا بضع كلمات في حين قام حامل الحقائب بفتح باب زجاجي ثقيل أمام الباب الدوار. وبمجرد دخول الرواق، لوّح لويس لأحد الحمّالين المتجهين نحونا وذهب مباشرة إلى مكتب خدمات الاستقبال. كان يقف خلف المكتب رجل طويل ورفيع، وكان يقرأ شيئًا ما. عندما رفع عينيه ورأى لويس متجهًا نحوه، توقف عن جميع ما كان يفعله وصاح قائلًا: "يوم سعيد، يا لويس!".

خرج من خلف مكتبه لمعانقة لويس قبل التوجه نحوي.

قال لويس: "هذا هو ضيف الشرف الذي كنت أحدثك عنه. جوناثان لاندري، أحد أقارب جوليان".

كان موظف الاستقبال منفتح القلب. قال: "لديّ غرفة رائعة لك. ولكن إذا كان هناك أي شيء آخر يمكننا فعله من أجلك، ينبغي عليك أن تخبرني به".

سلّمني مفتاح غرفة ولوّح لحامل الحقائب. وقمت بتوديع لويس، ثم اتبعت حامل الحقائب نحو المصاعد. كانت غرفتي في الطابق الثامن.

أخذت نفسًا عميقًا عندما انفتحت الأبواب، ودخلت بسرعة قبل أن أغيّر رأيي.

عندما وصلنا إلى أعلى الدرَج، فتح حامل الحقائب الباب، ووضع حقائبي، ثم غادر. كانت غرفة أنيقة: كبيرة وذات تهوية جيدة، وبها نوافذ كبيرة تطل على الشارع وحديقة في الأفق. كما توجد زهرية كبيرة بداخلها زهور توبوليب بيضاء اللون على منضدة بجوار النافذة، وتوجد سلة فاكهة وشيكولاتة على خزانة الأطباق. ركلت حذائي، وغطست في السرير ذي الحجم الكبير، وسحبت هاتفي.

عندما تسلمت رسالة تيسا، كتبت ردًا على الرسالة فورًا. لم أرسلها إلى تيسا، ولكن إلى ناوانج. ما الذي كانت تقوله للجميع؟ كتبت: *بالطبع أنا آت. ليس لدي استقبال جيد دائمًا في هاتفي الخلوي، ولكنني أفحص رسائلي الواردة كلما استطعت ذلك. يُرجى إخباري بأي مشاكل أو تطورات. سوف أبذل قصارى جهدي للرد في أسرع وقت ممكن.*

أثناء الرحلة من المكسيك، كنت كثيرًا ما أرجع إلى رسالة تيسا. كانت تحررني فجأة من حنيني إلى الوطن. أولًا، جعلتني قلقًا مرة أخرى حيال وظيفتي. هل كانت ناوانج تستغل غيابي للاستيلاء على منصبي؟ كنت أشعر دومًا أن بإمكاني الثقة بها، ولكن هل كنت ساذجًا؟ أو هل كانت هذه هي طريقة ديفيد لمعاقبتي على مضايقته؟ هل كان يقترح على عملائي أن ناوانج أصبحت هي المسئولة الآن؟

بينما كان ذهني محاصرًا بجميع أنواع الأفكار القلقة، ما زال بإمكاني سماع صدى الصوت الخافت لكلمات جوليان: *إذا كنا عديمي الثقة في الآخرين، فإننا نرتاب في ذاتنا*. ربما كان يجب عليّ أن أكون حذرًا، ولكن هذا القلق الشديد لن يسفر عن خير على الإطلاق. وأنا بالتأكيد لم أكن أحب ما كنت أشعر به نتيجة لذلك.

ومع هذا، كانت رسالة تيسا الشخصية أكثر إحباطًا من مخاوفي المتعلقة بمستقبلي المهني. وبالطبع، كان هناك شيء ما بيني وبين تيسا طوال الأشهر

القليلة الماضية. إنه كان أحد الأشياء التي رفعت من معنوياتي في الأوقات العصيبة. بعد جدال مع أنيشا أو ليلة قضيتها وحدي في الشقة، كنت أدلف إلى المكتب وأرى وجه تيسا المبتسم. ولكنه كان دومًا شيئًا من النوع المعنوي. والآن، مع ذلك، جعلته تيسا عينيًا، حقيقيًا.

عندما رجعت إلى الرواق عند الساعة التاسعة، لاحظت على الفور قامة لويس المشوقة. كان واقفًا بالقرب من أحد جوانب الأبواب، واضعًا يديه خلف ظهره، ويتأرجح للأمام وللخلف برفق على عقبيه. كان بالتأكيد ينتظرني، ولكن الابتسامة اللطيفة المرتسمة على وجهه أوحت بأنه لم يكن يمانع الانتظار.

كانت سيارة الأجرة الخاصة به تقف في الشارع خارج الفندق. في هذه المرة، تركني أجلس على المقعد الأمامي معه. وفي طريقنا، تحدث لويس بشكل ودي.

قال: "لمن السيئ جدًا أنك لديك وقت قصير للغاية لتقضيه في هذه المدينة الرائعة. هناك الكثير جدًا لتراه. إنني دومًا ما أقول إن هذه المدينة هي مدينة التألق الفني".

كان من الواضح أننا نتجه نحو جزء أقدم من المدينة. كانت الشوارع تزداد ضيقًا وظلمة.

قلت: "حقًا؟".

"أوه، أنا أعلم، عندما يفكر الناس في فنانين استثنائيين، فإنهم يفكرون في فلورانس، وروما، وباريس. يفكرون في معرض أوفيزي أو دار عبادة سيستين أو متحف اللوفر. ولكن برشلونة؛ برشلونة هي موطن لعدد كبير جدًا من فناني القرن الماضي. خوان ميرو، سالفادور دالي، بابلو بيكاسو. وبالطبع، المهندس المعماري البارع أنتوني جاودي. جميعهم عباقرة".

يمكنني الشعور بأن لويس يعرف ما يقوله. كنا في ذلك الوقت فيما ينبغي أن يكون منطقة المدينة القديمة؛ غشاء القرون عالق بكل مبنى وزقاق مرصوف.

كانت بعض الشوارع ضيقة جدًا لدرجة أنني اعتقدت أن السيارة لن تستطيع السير فيها، ولكن لويس، الذي كان يتحدث طوال الوقت، والذي كان يلوح بيده اليسرى في الهواء، شق طريقه خلالها بسهولة. كان من الواضح أن الحادثة الوشيكة التي واجهناها لم تؤثر على أعصابه.

"نعم، هناك عدد كبير جدًا من الأماكن في العالم يمكنك فيها رؤية أعمال بيكاسو العظيمة. هناك ما يقرب من خمسين ألفًا منها على أية حال. ولكن في أي مكان آخر في العالم يمكنك رؤية بدايات سمته المميزة؟ متحف بيكاسو الذي لدينا يحتوي على أول أعماله؛ الرسومات واللوحات من فترة طفولته في أسبانيا. يمكنك أن ترى لوحات جسم الإنسان التي رسمها بتوجيه من والده. يمكنك أن ترى مدى براعة عينه، حتى في ذلك الوقت. إنه شيء ذو قيمة أن تستمتع بتلك البدايات الأولية لروائع أعماله اللاحقة".

مررنا على دور عبادة ومبانٍ قصيرة ذات شرفات حديدية مزخرفة في الأعلى ومداخل مقوسة في الأسفل. كانت هناك محلات مقفلة بأبواب معدنية مضلعة، ومزينة بكتابات على الجدران. ولكن في النهاية، غادرنا الشوارع الضيقة، ودخلنا مرة أخرى في طرق رئيسية. تراءى المحيط في المشهد. يمكنني رؤية يخوت راسية في المرفأ، تتلألأ أضواؤها في المياه السوداء. وأشجار النخيل مرصوصة بطول الشارع، وملوحة البحر المنعشة عالقة في الهواء.

قال لويس، بعد أن تجاوزنا منطقة الميناء: "برشلونة أمامك". وصلنا إلى شارع جانبي بعيدًا عن المياه. دخل لويس شوارع صغيرة وخرج منها وفي النهاية دخل في زقاق. وقال: "يجب علينا المشي بدءًا من هنا".

بدا المطعم الصغير والحميم مليئًا بسكان محليين. قال لويس: "إنه بعيد جدًا عن المياه بالنسبة للسياح".

ألقيت نظرة على القائمة. كانت مكتوبة بلغتين، وهما كما وضح لويس لي

الإسبانية والكاتالانية. أمكنني التوصل إلى معنى القليل من الأشياء، ولكنها لم تكن كافية لمعرفة ما أردت طلبه. رفعت عيني من على القائمة، وكان لويس يبتسم لي. سألني: "هل تحب السمك والمحار؟".

أومأت برأسي.

قال: "جيد. لمن المخجل أن تتناول طعامك في مطعم كاتالوني ولا تتذوق فواكه البحر. هل يمكنني الطلب لكلينا؟".

بدأت وجبتنا بحساء أسماك ذي مذاق جيد، ثم طبق من الخضراوات المشوية، متبوعًا بجمبري بالثوم، وحبّار مقرمش، وسمكة هامور مطبوخة على البخار. طلب لويس مشروبًا، وملأ كأسي كلما انخفض منسوب المشروب فيه.

قبل أن يبدأ الطعام في الوصول، مدّ يده داخل جيبه.

"سوف أعطيك هذا أيضًا الآن. إنني أخشى أن أفقدها". أعطاني لويس علبة جلدية بنية اللون. كان طولها حوالي أربع بوصات وعرضها بوصتين، وكان بها غطاء مثبت بمفصّلة. رفعت القفل النحاسي وفتحت الغطاء العلوي. كان موجودًا على الجزء العلوي من إحدى المخطوطات المطوية فرشاة رسم رفيعة وملساء. كان المقبض مصنوعًا من خشب أملس غامق اللون ويعتليه خصل من شعيرات ناعمة. التقطت فرشاة الرسم وبرمتها بلطف بين إبهامي وسبابتي. ثم وضعتها بحرص على المنضدة وسحبت الرسالة.

كانت الرسالة تحتوي على كتابات بحبر أسود. كانت الكتابات المنمقة التي تحتوي عليها تقول:

لكي تحظى بأفضل حياة لك، ابذل قصارى ما لديك في العمل

ليس هناك عمل تافه أبدًا. فجميع الأعمال تُعد فرصة لإظهار مهارة شخصية، وإنشاء فننا، وإدراك العبقرية التي خُلقنا لنمتلكها. يجب علينا العمل مثلما كان يرسم بيكاسو: بتفانٍ وحماس وطاقة وتميز. وبهذه الطريقة، لن تصبح قدرتنا الإنتاجية مصدر إلهام للآخرين فقط، ولكنها ستترك أثرًا

وتحدث فرقًا في حياة الأشخاص المحيطين بنا. ومن أعظم الأسرار لامتلاك حياة تعيشها بجمال أن تقوم بعمل له أهمية. والارتقاء إلى مثل هذه الحالة من البراعة فيها لدرجة أن الناس لا يستطيعون رفع أنظارهم عنك.

أعدت وضع فرشاة الرسم في الصندوق وأدخلته بخفة في جيبي. سوف أنقل فرشاة الرسم إلى جرابي، وأضع النوتة داخل دفتر يومياتي عندما أرجع إلى غرفتي في الفندق.

قال لويس: "إنه تفكير مثير للاهتمام، أليس كذلك؟".

قلت: "نعم. بيكاسو. عمل من المستوى العبقري. افترض أن هذا هو السبب وراء كونك حارس هذه التميمة على وجه الخصوص. اهتمامك بجميع هؤلاء الفنانين المبدعين، أليس كذلك؟".

ضحك لويس.

قال: "ربما. ولكنني أعتقد أن هناك أكثر من ذلك".

وضح لويس لي أنه قابل جوليان منذ سنوات، عندما كان جوليان، بالصدفة، أحد ركابه من المطار. كان لويس حينها يقود سيارة أجرة لكي يتكفل بمصاريف كليته. كان جوليان في زيارة قصيرة، لذلك فلم يكن يخطط للمكوث لوقت طويل في برشلونة. سأل لويس عما ينبغي عليه فعله، وما ينبغي عليه رؤيته إذا كان سيقضي يومًا واحدًا فقط في المدينة. كان لويس لديه الكثير ليقوله، وعدد كبير جدًا من الأفكار، وعدد كبير جدًا من المعلومات لتبادلها لدرجة أنهما تحدثا لفترة طويلة بعد وصولهما إلى الفندق. وفي النهاية سأل جوليان لويس إذا كان يود الانضمام إليه على العشاء.

قال لويس: "جلبت جوليان لهذا المطعم ذاته. وبقينا على اتصال منذ ذلك الحين. أعتقد أن كل ما حدث لي منذ هذا اللقاء الأول هو ما جعل جوليان يفكر فيّ عندما كان يبحث عن حراس للتمائم".

بينما كنا ننتقل من طبق إلى آخر، أخبرني لويس قصته.

لقد قضى فترة طفولته في قرية صغيرة تقع في جنوب برشلونة على طول

ساحل البحر المتوسط. وعندما كان في الرابعة عشرة من عمره، انتقلت أسرته إلى المدينة.

"كان هذا بمثابة مغامرة بالنسبة لي. من قرية صغيرة هادئة إلى هذا". مد لويس يده أمامه. "أعلم أن هذا ليس بمثابة شيء عادي بالنسبة لفتى صغير، ولكنني أحببت المعارض. والتاريخ. إلا أن الأهم من كل ذلك، أنني أحببت الشوارع. لكي أتمكن من التمشية في شارع لا رامبلا ورؤية أحد أعمال الفسيفساء الخاصة بميرو، هنا بالتحديد، على الأرض أمامك. أو مصادفة تمثال لبيكاسو، أو إحدى دور عبادة القرون الوسطى أو جزء من جدار روماني كما تجولت في باري جوتيك. كنت أستقل دراجتي وأقضي وقت فراغي متجولاً في المدينة، لرؤية ما يمكنني رؤيته".

عندما تخرج لويس من المدرسة الثانوية، كان هناك نقاش كثير في أسرته حول الاتجاه الذي عليه أن يسلكه. كان والده، أحد رجال الأعمال، يريده أن يصبح محاميًا. أما والدته، التي لم تلتحق عائلتها بالجامعة أبدًا، مثل عائلة تشافا، فإنها لم تهتم طالما أنه التحق بالمدرسة.

وفي النهاية، اقترحت إحدى خالاته أنه ينبغي أن يركز معرفته وحبه للمدينة في برنامج جامعي عن السياحة والضيافة.

"والدي كان مصابًا بخيبة أمل. قال: 'لا طموح'. لقد أرادني في الحقيقة أن أصبح محاميًا، أو على الأقل صاحب مهنة راقية من أي نوع. ربما جراح أعصاب. أو أخصائي تقويم أسنان".

قلت: "مهندسًا كهربائيًا؟".

"هذا قد يفي بالغرض. ولكن مدير فندق؟ بالنسبة لوالدي، فإن هذا لم يكن نجاحًا تمامًا. امتلاك الفندق، نعم. العمل في فندق، لا".

حاول لويس تجاهل والده. قام بالتسجيل، وحضر الفصول، وقاد سيارة أجرة لدفع مصاريف جميع ذلك. وعندما فرغ، تسلم وظيفة في الفندق الذي كنت أقيم فيه حينها. عمل كمساعد مدير مكتب. ثم كمساعد موظف استقبال. ثم كرئيس موظفي الاستقبال.

"لم يمضِ وقت طويل حتى انتقلت إلى الإدارة العليا. كنت أصغر مدير فندق في المدينة".

ولكن بعد ذلك، في نهاية يوم طويل جدًا، خرج لويس من الفندق ورأى صديقًا قديمًا، يعرفه منذ أيام قيادة سيارة الأجرة، يفتح باب سيارة الأجرة الخاصة به لأحد زوار الفندق. ابتسم ولوّح له، ثم قفز داخل سيارة الأجرة وانطلق مبتعدًا. شاهده لويس بأسى عندما اختفت الأضواء الخلفية في نهاية الشارع. كان على لويس العمل في هذا الصباح قبل شروق الشمس. وكان يغادر فور زوال الشمس من الأفق. كان بالكاد يغادر مكتبه طوال اليوم؛ لم يخرج منه قط. كان يشعر كما لو كان يقضي ساعات عمله في حالة من فقدان الوعي. وفي جميع الأوقات، كانت الدنيا تدور به. كانت السحب تتحرك في السماء، والطيور تصيح، والناس يتحركون ذهابًا وإيابًا في أنحاء المدينة. كان المكان بأكمله مفعمًا بالحياة، بينما كان هو دون نبض.

"لم أشعر مطلقًا بهذا الشعور عندما كنت أقود سيارة الأجرة هذه. كنت أشعر دومًا بالنشاط والحيوية وبأنني جزء من العالم. في هذه اللحظة، على هذا الرصيف، أثناء وقوفي مرتديًا بدلتي باهظة الثمن وحذائي الملمّع حديثًا، اتخذت قرارًا. أن أستقيل من الفندق. أن أرجع إلى الوظيفة الوحيدة التي لطالما أحببتها حقًا. أن أقود سيارة الأجرة".

توقف لويس لبرهة وارتشف رشفة من مشروبه.

سألته: "وهل أنت سعيد؟ هل كان هذا هو القرار الصحيح؟".

"بالتأكيد".

سألته: "هل ما زال والدك محبطًا؟".

قال لويس: "أوه نعم. إننا لم نعد نتحدث عن ذلك، ولكنه يعاملني كما لو كنت أقضي فترة عقوبة في السجن. وهل تعلم أين تكمن المفارقة، يا جوناثان؟ ما يحزنني حقًا؟ إنه رجل يكره ما يفعله. أجبره والده على العمل في العمل التجاري الخاص بالأسرة، حيث جعله يتولى مسئولية العمل عندما تقاعد

جدي. وكل يوم أدار والدي فيه هذا العمل التجاري كان معاناة له. لقد أقسم ألا يجعل أيًا من أطفاله يلتحق بالشركة أبدًا. إنه لا يفعل شيئًا سوى عد الأيام حتى يستطيع التقاعد وبيع المكان".

كان لويس يحدق في سطح الطاولة، ويهز رأسه. وحينها فقط أتى النادل ووضع الحلويات أمامنا. وعندما غادر، وجهت نظري مرة أخرى إلى لويس.

سألته: "لماذا لا يتركها والدك في الوقت الحالي؟".

قال لويس: "حسنًا، كما قد تتصور، لأنه يكرهها جدًا، إنه ليس جيدًا جدًا فيها. إن ذلك بمثابة مزحة قالها لي أحد زبائني: كيف يمكنك عمل ثروة صغيرة في ظل اقتصاد سيئ؟".

هززت رأسي.

قال لويس: "ابدأ بثروة كبيرة". ضحكنا سويًا. ثم تلاشت ابتسامة لويس.

"لم تعد الشركة تساوي الكثير، ولكن والدي يظل يكدح كل يوم، على أمل أن يستطيع إعادة بنائها والتقاعد عندما يكون ثريًا. ولكن عند هذه النقطة، فإنني لديَّ فرصة ثراء أكبر مما لديه".

ظللنا صامتين لبرهة. أخذ لويس ثمرة فراولة من سلطة الفواكه الخاصة به، ولكنه بعد ذلك تركها تسقط مرة أخرى في وعائه.

سألته: "إذن، جوليان أعطاك هذه التميمة لأنك اخترت فعل شيء تحبه؟". لم يبدُ ذلك تناسبًا مثاليًا: هل فعل ما تحبه هو بالضرورة نفس الشيء مثل فعل "أفضل ما تقوم به"؟

قال لويس: "لا، إنني لا أعتقد أن هذا هو السبب على وجه التحديد وراء إعطائه هذه التميمة لي على وجه الخصوص. أعتقد أن جوليان أعطاني هذه التميمة بسبب وعد قطعته على نفسي في هذا اليوم على الرصيف. كنت أعرف أن أصدقائي وأسرتي سيعترضون على قراري. وقررت أنني لن أريد أبدًا أن أشعر بالأسف حيال عملي. أردت دومًا أن أشعر بالفخر بنفسي. وتتمثل

الطريقة الوحيدة لفعل ذلك في القيام بأفضل وظيفة يمكنني القيام بها على الإطلاق".

وجه لويس نظره إليّ وابتسم.

"سائق سيارة الأجرة الصغير هذا الذي كاد أن يصدمنا اليوم؛ إنه لا يدرك كيفية القيادة بصورة جيدة. هو يعتقد أنه لكي توصل ركابك إلى المكان الذي يذهبون إليه بأقصى سرعة ممكنة، يجب عليك الإسراع، وأخذ فرص حمقاء. إنه لا يعي أن أسرع طريق للانتقال بين النقطة أ والنقطة ب هو معرفة المدينة واختيار أفضل طريق لتفادي المناطق التي توجد بها تكتلات مرورية. وهذا هو ما أفعله. ليس هناك شارع أو زقاق لا أعرفه. ولكن كوني أفضل سائق سيارة أجرة يمكنني أن أكونه يتعلق بأكثر من مجرد القيادة بكفاءة. عندما أُقِل زوارًا في جولة حول برشلونة، يمكنني الإجابة عن أي سؤال يطرحونه عليّ - أي مطعم يقدم أفضل مكرونة fideuà، وما هي ساعات عمل متحف الفن الحديث، وأين يوجد أفضل مكان لشراء تحف؟ وإذا نزل أحد الزبائن من الطائرة في الساعة الثانية عشرة منتصف الليل، مشتهيًا تناول نقانق مقلية على الطريقة الأمريكية، أعلم أين أذهب به".

"أعطاني جوليان التميمة لأنني أؤمن من أعماق قلبي بأن الوظيفة هي مجرد وظيفة فقط إذا اعتبرتها مجرد وظيفة. قد يقول البعض إنني 'مجرد سائق سيارة أجرة'. ولكن بالنسبة لي، فإنني أساعد الزوار على خلق ذكريات تثري حياتهم. لدي الفرصة لإظهار بعض اللباقة للناس في عالم يتوق فيه العديد منا لكم أكبر من الارتباطات البشرية. إنني أرسم بسمة على وجوه زبائني، وأتركهم بحال أفضل مما وجدتهم عليه. في رأيي، العمل هو وسيلة لاكتشاف المزيد من نعمنا، واستعراض المزيد من إمكانياتنا، وأن نكون ذوي فائدة للكائنات البشرية الأخرى".

كانت قهوتنا قد وصلت في ذلك الحين، وساد الصمت بين كلينا عند ارتشاف أول رشفاتنا. لا أعلم ما الذي كان يفكر فيه لويس، إلا أن ذهني كان سارحًا مع والدي، في السابق في الفصل الدراسي منذ سنوات عديدة.

قبل أن نفترق في هذه الليلة، عرض لويس عليّ مشاركة المزيد من عبقريته. قال إنه سيقلني في الصباح ويأخذني في جولة في مدينته. اتفقنا على أن نتقابل في الساعة الثامنة.

عندما رن المنبه في الساعة السادسة من صباح اليوم التالي، تقلبت تقريبًا ورَجعت للنوم، ولكنني فكرت في تلك الكلمة التي كتبتها في دفتر يومياتي: تمارين الضغط. تحركت بثقل خروجًا من السرير ومشيت مترنحًا نحو متاعي. كنت قد حزمت مجموعة من ملابس التدريب. كما أفعل كلما سافرت في رحلة عمل - حيث يظل الشورت والتيشيرت والحذاء الرياضي والشراب في حالة استعداد دون تغيير حتى أقوم بتفريغ الحقائب مرة أخرى في المنزل. ولكن في هذا الصباح، بدلًا من الاستلقاء على السرير وإيجاد أسباب لعدم الذهاب إلى الصالة الرياضية التابعة للفندق، نهضت وارتديت ملابسي قبل أن تَسنح الفرصة لجسدي ليرفض ذلك. كنت أكبر من ڤيودي، كنت أتعلم. وكان يبدو لي أن جميع المبررات التي اعتدت على التبرير بها لم تكن أكثر من أكاذيب كانت مخاوفي تحاول ترويجها لي. جررت قدمي نحو الحمام، وغسلت أسناني، ورششت بعض الماء البارد على وجهي، ثم نزعت مفتاحي الخاص بالفندق وخرجت من الباب. لم تمر عشرون دقيقة بعد ذلك -حيث كنت أركض على جهاز الجري في المكان وعيناي تبحلقان بقوة في نشرة إخبارية تليفزيونية لا أستطيع فهمها- حتى استيقظ عقلي وأصبحت على وعي تام بما كنت أفعله. كان أول شيء فعله عقلي اليقظ أن هنأ نفسي.

بعد الركض الذي قمت به، قمت بعمل تمارين الضغط التي وعدت بها في دفتر يومياتي والقليل من تمارين شد البطن على اللوح المائل. ثم توجهت عائدًا إلى غرفتي للاستعداد.

بعد أخذ دش طويل، ارتديت ملابسي وتوجهت نحو الرواق. لم يكن رئيس موظفي الاستقبال قد استلم ورديته بعد، ولكن مساعد موظف الاستقبال

أرشدني إلى مقهى على الناصية كان من المفترض أنه يقدم أفضل قهوة في المكان.

بينما تناولت فطوري، وقلبت في رسائلي، كانت هناك ملاحظة استرضائية واردة من ناوانج تؤكد لي أنها ستبقيني على اطلاع بما هو جديد وتوضح مدى تطلعها لعودتي. كانت هناك مجموعة من ملاحظات أخرى معاد إرسالها ومرسلة بنسخة كربونية، جعلتني أتساءل فيما إذا كانت ناوانج قد أدركت في وقت متأخر أنها قد أسقطتني من مجموعة المراسلات. رددت على معظمها، حتى وإن كان ذلك لجعل الجميع يعرفون أنني لازلت موجودًا ونشطًا. ثم رجعت إلى ملاحظة تيسا.

قرأتها وأعدت قراءتها، ولكن لم يكن بإمكان أي عدد من مرات إعادة القراءة أن يجدي نفعًا. لم أكن أعلم فقط كيف أرد. بدلًا من ذلك، سحبت دفتر اليوميات الذي أعطاه جوليان لي. ربما قد يساعد تدوين أفكاري في إيضاح الأشياء. كانت الحقيقة تكمن في أن تيسا كانت في خاطري - كثيرًا. ولكن كان من الحقيقي أيضًا أن فكرة تشجيعها -فكرة الشروع في علاقة جديدة- أخافتني وملأتني شعورًا بالذنب. كنت لا أزال متزوجًا، على أي حال. ولكن إلى أي مدى سيستمر هذا؟ بالتأكيد خلال الشهور التي تلت طلب أنيشا مني الرحيل، علمت أنها كانت تحاول إجباري على إعادة النظر في أولوياتي، ولكنني كنت قد افترضت أن الانفصال سوف يجبرها على قبول أن ما حدث بيننا معًا كان أفضل من العيش بعيدًا عن بعضنا البعض. الآن، لم أكن متأكدًا جدًا من أن أنيشا ستلاحظ ذلك أبدًا. انخفضت حدة إحباطها وغضبها، ولكن كان يبدو أنهما تبدلا بحزن واستسلام - وليس بأسى. هل كان هذا يعني أنها تخطت ذلك؟ هل انتهى الأمر؟

وإذا كان انتهى، فما الخطأ في رؤية تيسا؟ قد يكون هو الرومانسية في مكان العمل. لم يوصِ أحد بذلك مطلقًا. أو هل كان ذلك مجرد الخوف من شيء

جديد، من التغيير أو المجهول؟ ما الذي قاله جوليان في هذه الملاحظة التي كتبها عن تميمة الجمجمة المبتسمة - عانق مخاوفك؟ ربما كان ذلك هو ما ينبغي عليّ فعله هنا - مواجهة المعاناة المثيرة للأعصاب التي تكمن في طلب مواعدة شخص ما. على أي حال، أجدى ذلك نفعًا معي قبل ذلك. أغلقت دفتر اليوميات وأعدت وضع قلمي في جيبي، غارقًا فجأة في تيار من الذكريات.

لاحظت أنيشا لأول مرة في دورة التاريخ القديم الاختيارية التي كنت أتلقاها. لقد اخترت هذه الدورة بسبب أنها كانت الدورة الوحيدة ذات الفصل الدراسي الواحد التي وجدت أنها تناسب جدولي الزمني لمواد الهندسة. لم يكن فصلًا دراسيًا مملًا، ولكن ما جعلني أواظب على حضور المحاضرات كانت الفتاة التي جلست بالقرب من مقدمة القاعة، على الجانب الأيمن. حاولت الجلوس في أقرب مكان ممكن لها وفي الوقت نفسه بعيدًا بقدر كافٍ بحيث يمكنني النظر عن كثب إلى صورتها الجانبية إذا استدارت برأسها. كانت لديها عينان لوزيتا الشكل وشعر طويل لونه أسود لامع. وحتى عندما كانت لا تبتسم، كان يعتلي وجهها تعبير يدل على البهجة. لم تتحدث كثيرًا في الفصل، ولكن عندما كانت تتحدث، كانت دومًا ما تستحق الإنصات إليها. قضيت السنة بأكملها أتساءل كيف يمكنني إقامة محادثة معها، دون نجاح. وعندما حان وقت الامتحان النهائي، أدركت أنني ضيعت فرصتي. وحيث إنها كانت في قسم الفنون وأنا في قسم الهندسة، كانت احتمالات وجودنا في فصل دراسي آخر سويًا مرة أخرى، أو حتى مقابلتنا في الطريق، لا تذكر. قضيت فترة صيفي غارقًا في كيل الاتهامات وكراهية الذات.

بدأت السنة الثالثة دون أي ظهور لأنيشا. كنت قد أقمت علاقتين غير ناجحتين وقضيت صيفًا آخر وحيدًا. ثم، في سنتي الأخيرة، ابتسم لي القدر.

خلال الأسبوع الأول بعد رجوعنا للدراسة، توجهت أنا ورفاقي في السكن إلى مقهى الحرم الجامعي في ليلة الجمعة. كان نوع ما من الطقوس - التحقق

من النادلات الجدد. ولخيبة أملنا، انتهى بنا المطاف على طاولة يقوم على خدمتها رجل. كان هناك القليل من الوجوه المألوفة بين طاقم الندّل، مع قليل من الفتيات الجدد، ولكنني لم أكد أتوجه إلى الحمام حتى لاحظت السيدة القائمة على الخدمة في الركن الخلفي. كانت أنيشا. عندما رجعت إلى طاولتي، انحنيت نحو إيفان وطلبت منه النظر نحو الفتاة القائمة على الخدمة بالقرب من البار. نهض من على كرسيه وأطلّ عبر الغرفة في نفس اللحظة التي استدارت فيها أنيشا نحونا.

قال: "إمم، ما ... الذي ... أفكر ... فيه؟" استقر مرة ثانية في كرسيه. "ما أفكر فيه هو... أنها ليست مناسبة لك على الإطلاق".

لم يكن هذا هو الرد الذي كنت أبحث عنه، كنت آمل أن يقول شيئًا حماسيًا جدًا لكي أتخطى حاجز خوفي، أو شيئًا يوضح أنه ينبغي عليّ التحرك قبل أن يتحرك هو. ولكنه انخفض أمام مشروبه وابتسم لي بتكلف. قال على نحو مثبط للعزيمة: "بكل صراحة يا جوناثان. انسَ الأمر".

قضيت الليل أتناول مشروبي بروية وأستجمع شجاعتي. وعند نهوض رفاقي في السكن استعدادًا للمغادرة، أخبرتهم أنني يجب أن أذهب إلى الحمام وأن عليهم التوجه للمنزل بدوني. نظر إيفان إليّ بتمعن ورفع حاجبه.

قال وهو يسحب معطفه: "نعم، حظ سعيد في هذا". أوحت نبرته أن الحظ بعيد عن هذا – إنني لم أكن أحتاج شيئًا أقل من معجزة.

كان يمكنني رؤية أنيشا جالسة على طاولة بالقرب من البار. كان الجزء الخاص بها خاويًا. كان يبدو أنها تحصي البقشيش الذي حصلت عليه. سرت نحوها وبدأت أحوم بالقرب من الطاولة، ولكن يبدو أنها لم تلاحظ وجودي.

في النهاية قلت: "مرحبًا".

"أوه، مرحبًا" ابتسمت عندما رفعت عينيها، وظلت مبتسمة عندما

رأت أنه أنا. إما أنها كانت لطيفة جدًا وإما كانت تلك إشارة جيدة. ربما كلتاهما.

قلت: "آسف على إزعاجك... إمم. أعتقد أنكِ كنتِ في فصل التاريخ القديم الذي كنت به في السنة الثانية؟".

أمالت أنيشا رأسها على أحد جنبيها وتوقفت لبرهة، كما لو كانت تفكر. وبعد دقيقة، قالت: "المهندس، أليس كذلك؟" قالتها ببطء، كما لو كانت لا تزال تبحث في ذاكرتها وهي تتحدث.

قلت: "صحيح، صحيح. إنها كانت مادتي الاختيارية".

أدركت أنني قد بدأت أتأرجح من جانب لآخر. أجبرت نفسي على الوقوف بثبات. ثم أفصحت عما بداخلي دون تفكير.

"كنت أتساءل فقط إن كنت تريدين الخروج لتناول قهوة في أحد الأوقات؟".

كانت لا تزال مبتسمة، ولكنها لم ترد على الفور. كان من الواضح أنها كانت تتمعن في الفكرة.

قالت: "هذا الأسبوع هو أحد الأسابيع المزدحمة. سألتقي المديد من الأصدقاء الذين لم أرهم منذ السنة الماضية".

بدأت أومئ برأسي، مفكرًا في رد، ومحاولًا التفكير في شيء أقوله من شأنه أن يجعل الأمر يبدو كما لو كنت لا أكترث حقًا بأنها لم ترد رؤيتي.

"ولكن الأسبوع المقبل أرجو أن يكون لديّ وقت". كانت تقطع قطعًا صغيرة من الورق من الإيصالات المكوّمة أمامها. كتبت رقم هاتف عليها وأعطتها لي.

قالت: "اسمي أنيشا، بالمناسبة. أنا متأسفة. نسيت اسمك".

وصل لويس أمام الفندق في تمام الثامنة صباحًا. لم يكن يستقل سيارة الأجرة الخاصة به.

قال: "اعتقدت أنه يمكننا البدء بالمشي. إنني أحب القيادة، ولكن المشي هو أفضل طريقة لرؤية المدينة".

كان لويس قد أقنعني في الليلة الماضية بأنه ينبغي عليّ قضاء القليل من الوقت المتوفر لديّ في برشلونة في مشاهدة الهندسة المعمارية. قال إنها من أعظم إسهامات برشلونة لعالم الفن.

"نحن نمتلك تسع مبانٍ تعد مواقع تراث تابعة لليونسكو. كما أن هناك جاودي وجميع الهندسة المعمارية الكاتالانية الحديثة الرائعة التي رأيتها بعد ظهيرة أمس. ولكن الهندسة المعمارية ليست بعض القطع الأثرية الباقية من الماضي في برشلونة. إننا نهتم اهتمامًا شديدًا بمبانينا حتى اليوم".

أوضح لويس أن المدينة كانت موطنًا لما يزيد على خمسة آلاف مهندس معماري عامل. قال: "أتحداك أن تجد عددًا أكبر من المهندسين المعماريين بالنسبة لكل فرد في أي مكان آخر في العالم". لم أقبل تحديه في هذا. أخبرني عن مبانٍ شيدها جان نوفيل، وزاها هديد، وفرانك جيري، وريتشارد روجرز. كان جيري هو الاسم الوحيد الذي كنت أعرفه، ولكنني لم أحب الاعتراف بذلك.

مع استراحة قصيرة واحدة فقط لتناول وجبة غداء مبكرة، قضينا فترتي الصباح وبعد الظهيرة في المشي ثم المشي. كنا بين حين وآخر نستقل حافلة، ولكن في معظم الأوقات كنا نتجول جنبًا إلى جنب، رافعين رقبتنا للأعلى، ورءوسنا تتحرك للأمام وللخلف لتأمل المباني المحيطة بنا.

رأينا شقق مبنى لا بيدريرا التي شيدها جاودي. بجدرانها المموجة، ومظهر الحجارة التي شكلتها المياه، والشرفات الحديدية المشكلة على هيئة عشب البحر، جعلتني أفكر في مدينة أطلانتس المفقودة. بالتأكيد، مدينة في أعماق المحيط ستبدو مثل هذا. تجولنا خلال البوابات التي تعتليها قبب على شكل فطر عيش الغراب، وتمثال السحلية المصنوع من الفسيفساء، والساحة المزينة بالبلاط بشكل دائري في مجمع حدائق بارك جويل. واختتمنا يومنا بالرجوع إلى المكان الذي كنا فيه البارحة، أمام دار عبادة سيجرادا فاميليا، دليل جاودي الذي لم يكتمل على بصيرته وإيمانه، وفقًا للويس.

قال لويس بتمعّن، محدقًا لأعلى نحو الأبراج الأربعة المرتفعة: "أنا أحب هذا المكان. هل أخبرتك أن جدي الأكبر عمل به؟".

قلت: "حقًا؟ هل كان بنّاء؟".

قال لويس: "لا. مجرد عامل، أعتقد. أظن أنه قضى وقتًا كبيرًا في دفع عربات الجر اليدوية ونقل الطوب بالعربة اليدوية. ولكن هل تعلم، كما هو مكتوب في ملاحظة جوليان، ليس هناك عمل تافه. إنني أحب التفكير فيه غارقًا في عرقه ومتسخًا، ينظر لأعلى في نهاية يوم طويل، مشاهدًا هذا المبنى العظيم مرتفعًا فوقه ومدركًا أنه دون قوته ووقته، لن يتواجد ببساطة شيء مثل هذا".

كنا في أواخر ما بعد الظهيرة عندما سرت أنا ولويس رجوعًا إلى الفندق. كانت لديه بعض المهام لأدائها، وأراد كلانا الرجوع في وقت مبكر من الليل. كانت رحلتي الجوية ستقلع في الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي، وأصر لويس على أن يقلني الساعة الخامسة إلى هناك.

وأنا في جناحي بالفندق، طلبت وجبة عشاء من خدمة الغرف. كتبت ملاحظتين في دفتر يومياتي، ثم أخرجت هاتفي وكتبت رسالة قصيرة إلى آدم. خف الاشتياق الذي كنت أشعر به تجاهه في المكسيك. تساءلت كيف مرت عليّ العديد من السنوات دون الاتصال به أو زيارته عندما كنت في المنزل. افتتحت ملاحظتي بجملة حزينة "افتقدتك كثيرًا جدًا، يا صديقي". ولكنني بعد ذلك فكّرت في عيني آدم الحزينتين عندما قبلته قبلة الوداع قبل السفر جوًا إلى اسطنبول. مسحت الجملة. أردت أن أكون هناك من أجله، حتى ولو كان وجودي عبارة عن مجرد ملاحظة أكتبها، بدلًا من التقليل من أهمية غيابي. وبدلًا من ذلك كتبت عن معبد الساحر وعن أطلال حضارة المايا اللذين كنت قد رأيتهما. كتبت عن أصوات الطيور بين الأشجار وعن الأسد الأمريكي الذي يطوف في غابات جزيرة يوكاتان - ومدى سعادتي الهائلة لعدم

مقابلة أحد هذه الأسود. ثم أخبرته أنني قضيت اليوم في برشلونة. *هل تذكر الصيف الماضي عندما صنعنا قصورًا على الشاطئ ووضعنا قدرًا ضئيلًا من الرمال المبللة لجعل قممها طويلة ومدببة؟ هذا كان شكل دار العبادة التي رأيتها أمس. كانت مغطاة بأبراج ذات قمم مدببة. إنها من تصميم شاب يسمى أنتوني جاودي، وأراهن على أنه عندما كان صبيًا، كان يصنع قصورًا رملية مثلك تمامًا.*

توقفت لبرهة، متفكرًا في جملتي التالية. ثم كتبت: *عندما أرجع، سوف أصطحبك لقضاء عطلة أسبوعية على الشاطئ.* كنت على دراية بمخاطر قطع وعود، إلا أنني عقدت العزم على الوفاء بهذا الوعد. سوف ينكسر قلبي، كما سينكسر قلب آدم إن لم أفِ به.

كان ضوء الصباح الباكر لا زال يتراءى في الأفق عندما أنزلني لويس من سيارة الأجرة عند صالة السفر في اليوم التالي. كان باسمًا ومرحًا كالعادة، ولكنه بالتأكيد لاحظ أنني كنت لا أزال منغمسًا في حالة الارتباك الصباحية الباكرة التي أصابتني. عندما سحب متاعي من صندوق السيارة الخلفي، نظر إليّ بقلق. وقال: "هل أنت متأكد من أن معك كل شيء يا جوناثان؟"

وضعت يدي علي جيبي لأتأكد من وجود محفظتي وجواز سفري، ثم انتابتني لحظة من الذعر. التمائم. هل كان الجراب حول عنقي؟ إنني لم أكن أشعر به. فتحت سترتي ووضعت يدي على الجزء الأمامي من قميصي، وتأكدت بما فيه الكفاية، أنه كان موجودًا - كيس ثقيل صغير موجود أمام بشرتي. كيف كنت سأنساه؟ كنت مندهشًا من أنه في حين ما كان أثقل من وزنه المعتاد، لم يعد يبدو الشريط الجلدي يترك أثرًا في عنقي. أخرجت الجراب من أسفل قميصي وحشوته في جيبي. سيكون عليّ وضعه في أحدى الصناديق البلاستيكية عند الأمن.

بمجرد تسجيل دخولي ووصولي إلى صالة المغادرة، عثرت على ركن هادئ واتصلت بأنيشا. قد يكون الوقت متأخرًا -منتصف الليل، على ما أعتقد- ولكنني كنت مشتاقًا للتحدث معها، لسماع بعض الأخبار عن آدم.

عندما ردت أنيشا على الهاتف، اعتذرت عن اتصالي في هذا الوقت، ولكن يبدو أنها ارتاحت لسماع أخبار عني، حيث قالت: "أنا في غاية السعادة لاتصالك. كان هناك حادث في المدرسة اليوم أردت التحدث معكِ عنه. من الواضح ـــ".

توقفت أنيشا. يمكنني سماع صوت صغير في الخلفية.

كان آدم يقول: "يا أمي، لا أستطيع النوم".

وسمعت رد أنيشا: "أوه، يا عزيزي. تعالَ هنا واجلس مع أمك. هل تريد التحدث إلى أبيك حول ما يبعد النوم عن عينيك؟".

عندما التقط آدم الهاتف، سألته عن حاله.

قال بصوت منخفض: "بخير".

حاولت ثانية: "ما الجديد؟"،

قال: "لا شيء". ثم سمعت أنيشا في الخلفية.

"أنت كنت تريد أن تخبر أباك بما حدث في المدرسة اليوم، هل تتذكر ذلك؟".

مع القليل من الملاطفة من جانبي، وقليل من التحفيز من جانب أنيشا، أخبرني آدم أن أحد طلاب المرحلة الثانية عرقله، وأسقطه، وأخذ حلوى الجرانولا الخاصة به على الغداء.

سألته: "ماذا فعلت؟"، قال آدم إنه أخبر مدرسته الآنسة فانديرويس، التي كانت تشرف على الفناء. أرسلت الآنسة فانديرويس الفتى الأكبر سنًا إلى المكتب.

سألني آدم: "هل حدث ذلك لك من قبل مطلقًا؟ عندما كنت صغيرًا، هل كان الأطفال الآخرون يتنمرون عليك مطلقًا؟".

أخبرت آدم كل شيء عن فيل ستيفاك، الذي سرق جميع بطاقات كرة

السلة الخاصة بي وسخر من نظارتي. أخبرته عن كيف اعتاد فيل المشي ورائي من المدرسة حتى المنزل والصياح بسلسلة من الشتائم. وضّحت له أنني كنت أخشى إخبار أي أحد، ولكن في النهاية عندما نزع فيل في الحقيقة نظارتي من على وجهي وداس عليها، أخبرت مدرسي. لم أكتشف ما حدث مطلقًا في الحقيقة. ولكن بعد ذلك، كان فيل يحلق فيّ فقط. لم يمسني بعدها مطلقًا. تحدثنا لفترة طويلة قبل أن تأخذ أنيشا الهاتف ثانية من آدم. نظرت في ساعة يدي.

قلت لأنيشا: "آسف. يجب أن يكون كلاكما متعبًا".

قالت أنيشا: "لا عليك. إنه أراد حقًا التحدث إليك. ولكن ينبغي عليّ محاولة إعادته للنوم الآن".

قلت: "بالتأكيد. شيء واحد آخر - هل تعلمين ما الإجراءات التي تتخذها المدرسة حيال هذا الطفل؟".

طلبت أنيشا من آدم أن يتوجه عائدًا إلى غرفته، وأنها سوف تلحق به خلال دقيقة. ثم أخبرتني أن الآنسة فانديرويس هاتفتها بعد الغداء. لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تتمر فيها هذا الفتى على طلاب آخرين. اتصل المدير بوالديه وطلب منهما الحضور للتحدث. كما قالت الآنسة فانديرويس أيضًا إنها سوف تتولى الإشراف على الفناء بقدر الإمكان في الأسبوع المقبل لكي تتمكن من مراقبة ما يحدث. وتحدثت إلى الفصل بأكمله عن أن يكونوا متفرجين مفيدين عندما يرون طفلًا آخر يتعرض للأذى في فناء المدرسة.

قالت أنيشا: "إنها تأخذ الأمر على محمل الجدية في الحقيقة. شعرت بتحسن كبير بعد حديثي معها".

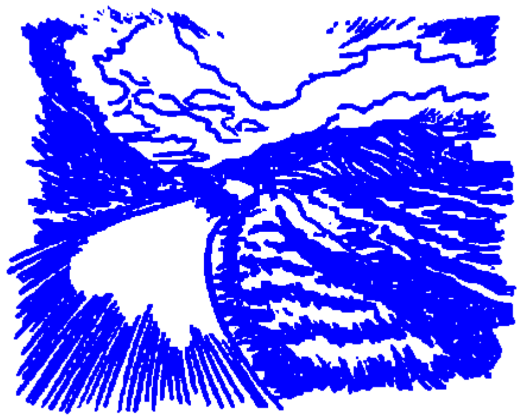
تحدثت أنا وأنيشا أكثر قليلًا عن آدم والمدرسة ثم تمنيت لها ليلة سعيدة.

كانت صالة المغادرة مزدحمة تمامًا الآن. كانت معظم المقاعد ممتلئة. رجال ونساء معهم محافظ أوراق وأجهزة كمبيوتر محمولة. القليل من الآباء

معهم أطفال صغار. وفي الجانب المقابل لي، كانت هناك فتاة في سن المراهقة، تضع سماعات أذن على رأسها، ومسترخية في مقعدها، وتبحلق في والدتها التي كانت تقدم لها قطعة من العلكة.

فكرت كيف كنت عابسًا عندما كنت في سن المراهقة. صبر والداي معي. شعرت بألم مألوف أسفل ضلوعي. اشتقت إلى والدي.

بجلوسي هنا في مطار برشلونة، وتفكيري في ابني الذي تراقبه الآنسة فانديرويس، وتذكر والدي وطفولتي الخاصة، اندهشت من أنني في سن الخامسة من عمري كنت قد تصرفت بشكل صحيح. كان والدي نابغة الفصل الدراسي، حيث كان يعمل في مهنة نبيلة حقًا. لقد حقق العظمة التي طمح إليها لويس. كان لدي الكثير من العمل للقيام به إذا أردت الاقتراب من أن أصبح الرجل الذي حققه هو.



الفصل الثامن

بينما كنت في أسبانيا، أرسل جوليان إلي بعض المعلومات حول وجهتيّ التاليتين. ستكون الأولى رجوعي إلى أمريكا الشمالية، إرسالي إلى جزيرة كيب بريتون، على الساحل الشرقي لكندا.

إذن، بعد الانتقال إلى لندن ومنها إلى هاليفاكس، وقضاء أكثر من ست عشرة ساعة بعد ترك لويس لي في المطار في برشلونة، هبطت في سيدني، في كيب بريتون، نوفا سكوشيا، كندا. كان الوقت مبكرًا في المساء. وكما وعد جوليان، كانت هناك سيارة مستأجرة تنتظرني. أحسست بالراحة عندما اكتشفت أن بها نظام تحديد المواقع GPS. أدركت أنني ليس لدي أي فكرة حقيقية حيال كيفية الذهاب من سيدني إلى سانت آن.

قال الرجل في وكالة التأجير: "المسافة ستستغرق ساعة تقريبًا".

كانت حارسة التميمة هنا سيدة تسمى ماري ماكنيل. أرسلت إليها رسالة لإخبارها أنني في طريقي.

عندما خرجت بسرعة من سيدني وصرت على الطريق السريع، تذكرت ما رأيته في شبه جزيرة يوكاتان. ليس الطقس، ولا المنازل، ولا الخضرة. لا، هنا كان الهواء منعشًا وباردًا؛ كان شجر التنوب والبلسم والبتولا كثيفًا وذا لون أخضر غامق. والماء. كان الماء في كل مكان. التوى الطريق وانحرف - يمكنني الرؤية عبر نظام تحديد المواقع أن طريقي كان دائريًا تقريبًا، ولكن بعد كل مجموعة أميال قليلة من الأشجار والغابات، تتراءى في المشهد رقعة من الماء - خليج أو بحيرة ما. ما ذكرني بيوكاتان كان قلة عدد السكان في كيب بريتون. مثلما حدث عند مغادرة ميريدا، حالما خرجت من سيدني، شعرت كما لو كنت تركت الناس ورائي. مررت على مساحات شاسعة لا يكاد يعيش فيها أحد. قد يظهر منزل أو اثنان على جانب الطريق فقط لينزلق في مرآة الرؤية الخلفية، مختفيًا في وسط بحر من الأشجار. كان هناك شيء ما، مع ذلك، يتعلق بالسفر عبر هذا المكان المتطرف لمقابلة شخص ما، حتى إذا كان هذا الشخص غريبًا، كان ذلك الشيء مريحًا. في نهاية هذه الرحلة، اعتقدت أن هناك شخصًا ينتظرني.

كانت ماري ماكنيل وأنجوس ماكدونالد يعيشان مباشرة أمام طريق سريع مليء بالمناظر الخلابة يطلق عليه كابوت تريل، وهو يتقاطع مع الطريق القادم من خليج سانت آن. في إحدى الرسائل، كانت ماري قد قالت إنني سأرى صندوق بريد على جانب الطريق، وعمودًا يحمل رقمًا، ولكنني لن أستطيع رؤية المنزل حتى أقطع مسافة ما على الممر. لحسن الحظ، أجدى نظام تحديد المواقع نفعًا معي، وسرعان ما كنت أصعد طريقًا مرصوفًا بالحصى، به أشجار متشابكة على كلا الجانبين، وكان ميل السقف يظهر أعلى الأشجار أمامي. يجب أنها كانت تنظر من النافذة لأنه حالما أوقفت السيارة بين الشاحنتين الموجودتين على جانب المنزل، كانت سيدة طويلة القامة ذات شعر يجمع بين اللونين الأسود والأبيض موجودة على درجات السلم الأمامية ملوحة لي. يجب أن تكون ماري، اعتقدت ذلك.

عند خروجي من السيارة، كانت ماري بجانبي، كما كان هناك رجل افترضت أنه زوجها، أنجوس. كان أقصر قليلًا من ماري، وبالتأكيد أكثر بدانة، وذا ابتسامة دافئة تتشابه مع ابتسامتها. لم يمسك بي أي منهما كما فعل لويس، ولكن أنجوس ربت على كتفي وأمسكت ماري يدي بكلتا يديها عندما قامت بتقديم نفسها. كانا يبدوان سعداء لرؤيتي، ولكن عيني ماري كانتا متورمتين، كما لو كان ذلك بسبب القلق. قالت: "يجب أن تكون متعبًا جدًا". تابعت مع قليل من الفزع، مشيرة إلى المقعد الخلفي من السيارة، قائلة: "أنجوس، أنجوس". في اللحظة التالية، كنت أنا وأنجوس نتصارع على حمل متاعي فيما كان بالتأكيد يبدو مثل صراع كارتوني. رضخت في النهاية وتركته يحمل كل شيء إلى داخل المنزل من أجلي.

قالت ماري: "فهمت من جوليان أنك كنت في رحلة طويلة جدًا. لذلك أعددنا لك وجبة عشاء صغيرة، ثم يمكنك الاختفاء في السرير إذا أحببت ذلك. افترض أن الوقت الآن هو منتصف الليل تقريبًا في أسبانيا".

قادتني ماري وأنجوس إلى غرفة المعيشة. كانت مؤثثة بأفضل الأثاث، وكانت هناك لوحتان زيتيتان ضخمتان على الحائط. إحداهما كانت تبدو مثل مشهد مائي غامض - لون فيروزي رائع ولون أخضر مع ظلال داكنة تتراقص عبره. فيما كانت الأخرى مجموعة من الكتل الملونة التي بدت وكأنها تعيد ترتيب نفسها أمام عيني. أشارت لي ماري نحو كرسي عميق في مواجهة سلسلة من النوافذ. عندما جلست، لاحظت على الفور أكثر الأشياء روعة في الغرفة. اجتاحت موجة هائلة من اللون الأخضر المشهد أمامي وفي نهايتها يوجد شريط رقيق من اللون الأزرق - خليج سانت آن، ومياه المحيط الأطلنطي.

قال أنجوس: "اجلس، اجلس. سوف أضع الأشياء على الطاولة ثم سأناديكما".

أحضرت لي ماري مشروبًا ثم جلست أمامي. طرحت عليّ القليل من الأسئلة حول سفرياتي.

"يبدو وكأنك كنت مشغولًا جدًا. إنك قد تريد فقط الاستراحة غدًا، ولكنني أنا وأنجوس كنا نفكر في القيام بالقليل من الأشياء معك".

لم أندهش. كان أنتوني في باريس، حتى الآن، هو الحارس الوحيد الذي تركني أفعل ما شئت. كانت لديّ مشاعر متضاربة. بعد بقائي على متن العديد من الرحلات الجوية الطويلة، ربما كان من الجيد أن أكون مشغولًا. ولكنني لم أكن متأكدًا إذا كنت أميل إلى العديد من الأنشطة المخطط لها.

قالت ماري إنه إذا كان ذلك يناسبني، فإنها تأمل أن تتناول وجبة عشاء صغيرة على شرفي في الليلة المقبلة.

أكدت لي: "ليس هناك تكلّف. فقط القليل من الأصدقاء والأقارب. وسرطانات البحر. إنه فصل سرطانات البحر، لذلك اعتقدت أنك ستستمتع بذلك".

ابتسمت وقلت إن هذا يبدو مبهجًا، ولكن في أعماق قلبي، لم أكن متأكدًا. قالت ماري أيضًا إنها كانت تخطط لقضاء اليوم في التحضير للحفلة، بينما أنجوس اصطحبني حول طريق كابوت تريل السريع - وهو طريق سريع دائري يدور حول جبال مرتفعات كيب بريتون على الطرف الشمالي من الجزيرة.

قالت ماري: "إنه جميل. لقد عشت هنا طوال حياتي تقريبًا، ولم أشعر مطلقًا بالضجر منه".

قلت إنني لم أفعل هذا من قبل وإنني أود رؤية هذا الجزء من العالم. قلت: "لقد سمعت أنه يذكّر الناس بتلال أيرلندا الخضراء".

أومأت ماري، قائلة: "نعم، ولكنه برّي أكثر. على الأقل هذا ما يجعله يدهشني".

كنت قد سافرت حتى ذلك الوقت لمدة أسبوعين تقريبًا، ولكنني في الحقيقة فقدت أي إحساس فعلي بالوقت. كنت متعبًا وأشعر بالحنين إلى الوطن، ولكن قلقي حيال العمل وجميع الإلحاح الذي شعرت به حيال الرجوع إليه كانا يأخذان في الإخفات على نحو غريب. كنت أعلم أنني ينبغي أن أكون قلقًا، ولكن كان ذلك كما لو كنت لم أعد أمتلك الطاقة. قد أكون أصررت على العودة

جوًا في اليوم التالي، قد أكون حاولت استعجال الرحلة دومًا، ولكنني لم أعد أريد فعل ذلك. قد تكون رحلة طويلة بالسيارة هي المطلوب الآن.

بعد دقائق قليلة فقط سمعت صوت أنجوس قادمًا من المطبخ.

صاح قائلًا: "حان وقت تناول الطعام بشراهة". حملت ماري زجاجتي وتقدمتني في طريقنا.

كان المطبخ ضخمًا، ولكنه ليس فاخرًا. امتدت منضدة مصنوعة من خشب الصنوبر في أحد جوانب الغرفة - محاطة دائريًا بثمانية كراسي مرتفعة الظهر. كان هناك بوفيه من الطراز القديم مكدس بكمية قليلة من أوان خزفية أثرية وسلطانيات زجاجية براقة ومصنوعة يدويًا. كانت هناك بعض المطبوعات كثيرة الألوان على الحوائط المحيطة بالمنضدة.

وضع أنجوس مقلاة ينبعث منها بخار بها مكرونة لازانيا على حامل ثلاثي القوائم في منتصف المنضدة. كانت هناك بالفعل سلطة خضراء، وسلة خبز.

قال: "لا أعرف مدى جوعك، يا جوناثان، لذلك سوف أتركك تخدم نفسك فقط".

لم أكن في حالة مزاجية جيدة للتحدث عن نفسي، وكنت أعلم أن أفضل طريقة لصرف النظر عن أي طلب هي طرح الأسئلة. علمت أن أنجوس كان طبيب أسنان يزاول المهنة في قرية باديك. لقد ترعرع في خليج جليس، وكان ابن عامل منجم فحم. في الحقيقة، عمل جميع الرجال في أسرته في المناجم، حتى توجه أصغر إخوة والده إلى مونكتون في نيو برونزويك، حيث أصبح في النهاية محاسبًا. كان أنجوس قد قابل ماري عندما كان كلاهما في الجامعة، ولكنهما لم يتواعدا حتى أصبحا في الثلاثينات من عمرهما. كانت ماري فنانة وعملت في استوديو في أعلى التل، خلف المنزل.

قالت ماري: "إنه يحوز على أجمل ضوء".

سألتهما عن كيف تعرفا على جوليان. أخبرتني ماري أنها قد قابلته منذ عدد كبير جدًا من السنوات، عندما كانت فتاة صغيرة تعمل في مدينة نيويورك.

قالت: "اشترى جوليان عددًا من تحفي الفنية. كان ذلك عندما كان محامي فض نزاعات وكان يصرف المال ببذخ شديد". ضحكت ماري على هذا. "فقدنا الاتصال ببعضنا لفترة ما، ثم بعد رجوعي إلى هنا، وجدني".

قلت: "لا بد أنه كان أحد أكبر المعجبين بأعمالك حيث إنه تتبعك إلى هنا".

قالت ماري: "لا. كان ذلك بعد عودته من سيفانا. لقد تواصل معي فقط لكي يتحدث".

فكرت في أصدقاء المدرسة الثانوية القدامى، رفاقي في السكن الجامعي، جميع الأشخاص الذين فقدت الاتصال بهم عن غير قصد على مر السنوات. ثم كان هناك الأشخاص الذين تجاهلتهم عن قصد. شعرت بوخز في صدري. كان جوان يقع ضمن هذه الفئة الثانية. بعد تناول غدائي مع ديفيد وسفين، أتى جوان لرؤيتي للقليل من المرات. كان مرتبكًا. فاتحه ديفيد وسفين بكم هائل من الطلبات. وضعا أهدافًا مستحيلة تقريبًا مع مواعيد نهائية غير واقعية تمامًا لتحقيقها. طلبا تقارير ومحاسبة في كثير من الأحيان لدرجة أنها كانت بمثابة مزحة تقريبًا. باستثناء أن جوان لم يضحك. ولكن أصبح قلقًا، ومضطربًا، ومتوترًا. في كل مرة تحدث فيها معي، ادعيت الجهل التام بالموضوع. وعندما طلب مني التدخل، للعمل كوسيط غير رسمي بين قسم التصميم والإدارة العليا، تهربت. وفي نهاية المطاف، بدأت أتجنبه.

لم يكن جوان رجلاً غبيًا. استطاع ملاحظة أنني ليس لدي رغبة للتورط في ذلك الأمر. توقف عن المرور على مكتبي. ولكنني كنت أراه في الممرات، يبدو مضطربًا ومنهكًا، وارتسمت على وجهه خطوط عميقة، وعيناه كانتا متجعدتين وحزينتين. وفي إحدى المرات الأخيرة التي تحدثت معه فيها، كان قد فاجأني على حين غرة في ساحة انتظار السيارات الخاصة بالشركة.

قال بأسى: "آه، يا جوناثان، أنا أعلم أنك تعرف ما يحدث. كما أعلم أنه ليس بيد أحد شيء يفعله للمساعدة. ولكنني رجل في الخامسة والخمسين من

عمري. لا أستطيع التقاعد بعد، ولكني إذا استقلت... حسنًا، من سيوظف رجلًا مسنًا مثلي؟ ثم دلف إلى سيارته وخرج من الساحة.

مر شهر منذ انتقال الأخبار إلى المكتب. كانت سيارة جوان قد انحرفت عن الطريق في الليلة السابقة في طريقه إلى المنزل عائدًا من العمل. ومات بمجرد وصول سيارة الإسعاف.

كانت لازانيا لذيذة، ولكن اجتماع الطعام الغني مع اختلاف التوقيت كان يجعل عيني ثقيلتين. رفع أنجوس الأطباق من على المنضدة، ولكن ماري ظلت جالسة.

قالت: "أنا أعلم أنك تحتاج إلى الذهاب للسرير الآن. ولكنني أود إعطاءك التميمة الليلة. في الحقيقة، كنت أنوي إعطاءها لك غدًا قبل الحفل مباشرة. قررت إقامة الحفل بسبب التميمة. اعتقدت أن ذلك سيكون ملائمًا – النوع الصحيح من الطرق للاحتفال بالتسليم. ولكنني أعرف نفسي. سوف أحوم في جميع الاتجاهات في آن واحد غدًا، لتحضير العشاء، لذلك فالآن قد يكون وقتًا أفضل".

أخذت ماري ظرفًا مبطنًا من جيبها ووضعته في منتصف المنضدة. ولكنها ظلت واضعة يدها عليه.

قالت ماري: "قبل أن تفتح هذا، هل لي أن أرى التمائم الأخرى؟".

كنت قد اعتدت جدًا على ملمس جلد الغزال الناعم على بشرتي، والوزن الخفيف الذي يعتلي صدري. أصابتني الدهشة من مدى ترددي في فقدان الراحة التي يعطيها لي الجراب عند نزعه. ولكنني شددته من أسفل قميصي ورفعته من على عنقي. فتحت الغطاء وفردت التمائم على المنضدة.

أمعنت ماري النظر في التشكيلة الصغيرة.

قالت: "من المؤكد أن جوليان مُعجب جدًا بك، ومهتم بك جدًا، لكي يعهد إليك بهذه المهمة".

قلت: "حسنًا، لا أعرف. إنه هو وأمي مقربان من بعضهما البعض. ولكنني لا أعرفه في الحقيقة".

قالت ماري: "ولكن من الواضح أنه يعرفك". كانت تبتسم بهدوء.

مدت يدها نحو منتصف المنضدة والتقطت الجمجمة المبتسمة.

قالت: "عانق مخاوفك". وأومأت برأسي.

وضعت الجمجمة ومدت يدها نحو طائر الكركي.

"اللطف". وضعت طائر الكركي أمامها، بجوار الجمجمة.

"تحسنات يومية طفيفة". كانت تمرر أصابعها على الهرم الصغير.

وضعت قطعة الخزف الأحمر على المنضدة والتقطت فرشاة الرسم. ومثلما فعلت عندما حصلت عليها لأول مرة برمت الخشب الداكن بين أصابعها.

قالت: "كل العمل قد يكون وسيلة للتعبير عن الذات بصورة إبداعية".

سألتها: "كيف تعرفين كل هذا؟".

رفعت ماري نظرها نحوي وأمالت رأسها، كما لو كانت تحاول تقرير شيء ما.

قالت في النهاية، ملوحة بيدها على الكومة الصغيرة الموجودة على المنضدة: "هذه التمائم. هناك واحدة فقط من كل من هذه الأشياء. ولكنها رموز، على أي حال. تحدث جوليان عن حكمتها لسنوات. وكنت أستمع إليه".

وأخيرًا، التقطت ماري تميمة الشمس والقمر.

قالت: "آه. عش حياتك الأصيلة. هذه واحدة جيدة جدًا. إنها مهمة جدًا، ولكن القليل من الناس يستفيدون من هذه الحقيقة".

وضعت القطعة على المنضدة، ونظرت إليّ.

"هل أستطيع سؤالك عن شيء، يا جوناثان؟ شيء شخصي؟". لم أشعر حقيقة بأنني أستطيع قول لا.

"هل تعتقد أنك صادق مع نفسك؟ هل تعتقد أنك تحظى بالحياة التي تهدف إلى عيشها، الحياة التي تضفي احترامًا لأبعد الحدود على نفسك الأصيلة، وتحتفل بأعمق قيمك، وتحترم أكبر أحلامك؟".

شحب وجهي، ورفعت كوب الشاي الخزفي الخاص بي إلى فمي لاكتساب القليل من الوقت. كانت ماري تنظر إليّ بتمعن. لم أستطع إدراك السبب وراء كونها مهتمة جدًا بي أو بالإجابة عن ذلك السؤال. أخذت رشفة من الشاي، ثم وضعت كوبي.

تلعثمت، قائلًا: "أنا... أنا لا أعرف. لقد كنت أحاول استكشاف ذلك خلال هذه الرحلة".

قالت ماري: "أنا أفهم ذلك. إنه أمر صعب".

اقترحت، قائلًا: "أعني أنني أعتقد أنني قد لا أكون كذلك. ولكنني لست متأكدًا فقط مما ستبدو عليه حياتي الأصيلة. إنني أبدأ في إعادة التفكير في عملي، ولكنني لست متأكدًا من بقية الأمور".

أومأت ماري برأسها.

"حيث إنني تدخلت في حياتك، ينبغي عليّ إخبارك أكثر قليلًا عن حياتي".

قلت: "بالتأكيد". أي شيء لكي لا أضطر إلى التحدث عن نفسي أكثر من ذلك.

كانت ماري قد أخبرتني في وقت سابق أنها كانت رسامة، ولكنها قالت إن قصتها لم تكن تدور حول التمرد. إنها لم تصبح فنانة لأن أسرتها قد أرادت لها أن تصبح محاسبة. ولا جاءتها لحظة إلهام في يوم ما أثناء عملها في وظيفة روتينية دوامها من الساعة التاسعة حتى الخامسة بأن شغفها الحقيقي هو الفن. إنها لطالما كانت على علم بأنها أرادت أن تصبح فنانة، حتى عندما كانت طفلة. وهذا ما جعلها سعيدة. الرسم، التلوين، النحت، صنع أشياء، كان هذا هو ما كانت تريد دومًا فعله.

قلت: "مثل بيكاسو". كنت أتذكر ما أخبرني لويس به عن طفولته. ولكن والد بيكاسو كان فنانًا، أيضًا. لقد شجّع بيكاسو الصغير. سألت ماري فيما إذا كان والداها فنانين.

قالت ماري: "يا إلهي، لا. كان والدي يمتلك قارب صيد، وكانت والدتي تعمل بوظيفة دوام جزئي في محل بقالة. إلا أنهما شخصان مذهلان، كما أنهما اعتقدا أنها كانت هبة عظيمة أن أمتلك شيئًا أحبه حبًا جمًا. إنهما أراداني فقط أن أستمر في فعل ذلك".

سألتها: "ولم يكونا مهتمين بكيف ستكسبين لقمة عيشك؟".

ضحكت ماري. "اعتاد والدي دومًا على قول: 'حسنًا، ستواجهين صعوبة كبيرة لكونك تجنين مالًا أقل من والدتك أو مني - ولكن امضي قدمًا وحاولي!'".

لم تكن أسرتها موسرة أبدًا، ولكنهم كانوا سعداء. إن احتمالية كونها فنانة متضورة جوعًا لم تُخف ماري. حصلت على منحة دراسية لدراسة الفنون الجميلة في جامعة بهاليفاكس. ثم تخرجت وانتقلت إلى مانهاتن. قامت بالعمل كنادلة في مطاعم، ورسمت. شقت طريقها في الساحة الفنية هناك. وبدأت تقيم معارض. وفي النهاية، تمكنت من ترك العمل كنادلة، والعمل رسامة بدوام كامل. عملت بجد لكسب لقمة عيشها من خلال الرسم وفن الطباعة، ولكنها كانت محظوظة، أيضًا.

قالت ماري: "كنت في المكان الصحيح والوقت المناسب، أعتقد ذلك".

قلت: "إذن، كنتِ تعيشين حياتك الأصيلة، وكنت صادقة مع نفسك وجميع ذلك".

أمعنت ماري النظر في كوبها الخزفي لبضع ثوانٍ قبل أن تتحدث. "حسنًا، هذا هو الشيء المثير للاهتمام. اعتقدت حقًا أنني كذلك، طوال تلك السنوات التي قضيتها في مانهاتن. لقد كنت صغيرة، وناجحة. كان لديّ أصدقاء، وحياة اجتماعية نشطة. كانت حياة مثيرة".

قلت: "إذن، ما الذي لم يكن صادقًا في ذلك؟ ما العيب؟". الآن جعلتني فضوليًا.

"ما لا يدركه العديد من الناس هو أن الساحة الفنية قد تكون تنافسية جدًا. كما تعلم، تحديد من يدخل في أي المعارض، ومن يحوز اهتمام النقاد، ومن يحظى بالاستحسان ومن لا يحظى به. قد يكون هناك العديد من التغييرات في المراكز، والكثير من التناحر والغيبة".

بالتأكيد كانت تبدو عليّ ملامح الدهشة لأن ماري أومأت برأسها وقالت: "حقًا".

أوضحت ماري أن فنانًا شابًا آخر، كان أسلوبه وطريقته مشابهين لأسلوب ماري وطريقتها، وصل إلى مانهاتن من لوس أنجلوس. وفجأة تواجد في كل افتتاح لمعرض، وكل حفل، وكل حدث فني. وأينما كان، كان يتجه مباشرة نحو هنري، الرجل الذي أدار المعارض التي كانت تعرض عمل ماري وتبيعه. عرفت ماري أن هنري لن يتبنى الفنان الجديد طالما أنه يمثلها لأن أسلوبه كان شديد التشابه مع أسلوب ماري. ولكن هذا لم يكن يعني أنه لن يستطيع أن يلغي ماري ويتبنى الوجه الجديد.

قالت ماري: "كان هذا يعني تدهور حالي ببساطة".

كان هنري قد أتاح لها التوقف عن العمل كنادلة. وبمساعدته، أصبحت المفضلة لدى النقاد الفنيين لفترة من الوقت. ولكنها قد تنزلق مرة أخرى إلى عالم المجهول. أدركت ماري حينها أنه بينما تدين لهنري بالكثير، فإنها لم تثق به. كان رجل أعمال ماكرًا، لم يهتم مطلقًا بولاء أو يشعر بالذنب. استطاعت ملاحظة أنها كانت تخسر تأييده. وكان باستطاعتها ملاحظة أن هنري لم يكن الرجل الوحيد الذي اعتقد أن نجومية ماري تتلاشى. توقف بعض أصدقاء ماري عن الاتصال في أحيان كثيرة. كانت هناك مأدبات عشاء لم تكن مدعوة إليها. شُطبت من قائمة الدرجة الأولى لبعض افتتاحات المعارض. في إحدى الليالي أثناء العرض الأول لأحد الأفلام، وجدت نفسها تنشر إشاعة سمعتها عن رسام لوس أنجلس مع كاتب يعمل لصالح مجلة للفنون المحلية.

"كان شيئًا يتعلق بوقته في كاليفورنيا، شيئًا انعكس بشدة على سلامته الفنية. أخبرت الكاتب لأنني اعتقدت أن ذلك قد يجعله يبدو كزوبعة في فنجان. متباهيًا لم يكن ليستمر في عالم الفن لفترة طويلة. اعتقدت أن ذلك سيجعلني أبدو موهبة أكثر أهمية بالمقارنة".

عادت ماري إلى المنزل في تلك الليلة مشمئزة من نفسها. إنها لم تسئ إلى أحد مطلقًا، وجعلها سلوكها هذا تشعر بالضعف، والحقارة، والتهور.

قالت ماري: "ظللت أسأل نفسي لماذا فعلت ذلك. ما الذي جاء بي إلى هذا المكان. وهذا أدى بي إلى إلقاء نظرة طويلة ومتمعنة على الأشخاص الموجودين في حياتي".

أدركت أن الناس ينقسمون إلى فئتين، تقريبًا. الناس الذين وثقت بهم وأحبتهم، الذين كانوا أصدقاء حقيقيين، الذين جعلوها تشعر بالأمان والسعادة، الذين دومًا ما أخرجوا أفضل ما لديها. ثم هناك مجموعة أخرى. أناس قد يثيرون اهتمامها أو يسلونها - الذين قد تكون منجذبة نحوهم لجميع الأسباب ولكنهم كانوا أيضًا سلبيين على نحو ما. بعضهم كانوا مرحين ولكن نفوسهم ضعيفة (خطر على ذهني رفيق غرفتي القديم إيفان، وقوله لي "حظًا سعيدًا مع هذا" عندما كنت أهم بالتحدث مع أنيشا لأول مرة). بعضهم مسليون ولكن غاضبون. بعضهم رأوا بوضوح كل شيء على أنه منافسة - وبسبب أنهم كانوا دومًا يقارنون أنفسهم بها، قارنت نفسها بهم. ثم هناك البعض الذين، دون أي خطأ من جانبهم، في الحقيقة، لديهم فقط تأثير عام سيئ عليها. كلما خرجت مع امرأة ما دومًا ما كانت تفرط في تناول الطعام. شاب آخر كان متشائمًا مما جعلها تشعر بالإحباط لأيام بعد أن تحدثت معه. شاب آخر كان مسترخيًا جدًا لدرجة أنها كانت تجد نفسها تفرط في النوم حتى الظهيرة إذا قضت وقتًا كبيرًا جدًا معه.

قالت ماري مع قليل من الأسى: "هل تعلم أن جوليان كان أحد أفراد المجموعة الثانية حينها".

قررت ماري أنها احتاجت إلى قضاء كم أكبر من الوقت مع المجموعة الأولى وكم أقل من الوقت مع الأخيرة. ولكنها بعد ذلك أدركت شيئًا آخر. كان هناك العديد من الناس غير موجودين في كلتا القائمتين.

"كانت أسرتي مهمة جدًا بالنسبة لي، ولكنني نادرًا ما كنت أراهم".

علمت أنه عندما تكون مع والدتها ووالدها، وإخوتها وأخواتها، وعماتها وأعمامها، كانت تشعر بنفسها أكثر. لقد أخرجوا أفضل ما لديها.

"أدركت أن حياتي الأصيلة كانت في الفن، ولكنها كانت أيضًا مع أسرتي. إن عيش حياة بطريقة صحيحة بالنسبة لك هو شيء يتعلق بإيجاد جميع العناصر المختلفة التي تحتاجها".

قررت ماري الرجوع إلى كيب بريتون ولكن ليس إلى مابو، وهي المدينة الصغيرة التي كان والداها يعيشان فيها. وبدلًا من ذلك استقرت خارج باديك، في سانت آن، لأنه في أحد المعارض الفنية فيها قابلت كريستين وأقامت صداقة معها، وهي نحاتة رائعة عاشت هناك. كانت المدينة موطنًا لكلية جايلك للفنون والحرف، وكانت كريستين قد أخبرتها أن ذلك المجتمع الصغير قدم عددًا من الفنانين والحرفيين البارعين.

"علمت أنه كان من المهم أيضًا بالنسبة لي أن أكون محاطة بأناس يشاركونني في إحساسي، ويلهمون حسي الإبداعي، ويحفزونني قليلًا. وهذا هو السبب وراء أن جوليان طلب مني الاعتناء بهذه التميمة على وجه الخصوص".

دفعت ماري بالظرف المبطن نحوي. قطعت الجزء العلوي وسحبت قطعة من الورق. خرجت معها قطعة صغيرة من الخشب المنقوش. كانت بعرض بوصة واحدة فقط وارتفاع نصف بوصة. وكانت على شكل يدين، تمسكان ببعضهما البعض.

بسطت المخطوطة اليدوية قشدية اللون.

تخيّر تأثيراتك جيدًا

نحن لا نمضي أيامنا بمفردنا أو منعزلين عن العالم المحيط بنا. ولهذا يجب علينا دومًا أن نكون على دراية بالأشياء والأشخاص الذين نسمح لهم بالدخول في حياتنا. إنه لمن الحكمة أن تختار قضاء وقت في تلك الأماكن التي تُلهمك وتمنحك نشاطًا وفي مرافقة أولئك الأشخاص الذين يرتقون بك ويرفعون من معنوياتك. سواء في عملنا أو داخل حياتنا الشخصية، سيلهمنا هؤلاء الأصدقاء والأقران الأكثر إيجابية لكي نصبح أنفسنا العظيمة ولكي نعيش حياتنا الأكبر.

طويت الورقة ودسستها في جيبي.

قلت: "أفترض أنني في مساء الغد سوف أقابل بعضًا من الأشخاص الإيجابيين في حياتك".

قالت ماري: "بالضبط". كانت تضع التمائم برفق داخل الجراب. "جوليان هو واحد منهم الآن. أنا أتمنى فقط أن يستطيع التواجد هنا".

كانت الساعة لا تزال العاشرة، ولكنها كانت الثالثة صباحًا بتوقيت برشلونة. أعطتني ماري الجراب، ثم أوصلتني إلى غرفة نوم في الطابق الثاني.

قالت: "الحمام أسفل الصالة مباشرة، وضعت مناشف على طرف سريرك. نم جيدًا، وسوف أراك غدًا".

عندما استيقظت في صباح اليوم التالي، شعرت كما لو كنت أزحف للعودة إلى العالم. ظللت أضطجع في السرير لعدة دقائق محاولًا اكتشاف أين كنت. تسربت رائحة القهوة والقرفة من باب غرفة النوم. وعندها تذكرت - كيب بريتون.

عندما دخلت إلى المطبخ، كان كلٌّ من أنجوس وماري مشغولين عند

المناضد. قالت ماري: "إذا سمحت ساعد نفسك في تحضير القهوة. الفطائر المقلية أصبحت جاهزة تقريبًا - فطائر التفاح بالزبدة".

كانت هناك أكواب خزفية زرقاء بجانب إبريق القهوة. أخذت واحدًا وملأته. كانت القهوة غنية وثقيلة وهي ما أردته بالضبط. هذا هو أحد الأشياء التي افتقدتها في الفندق في برشلونة وفي النُزل في كيوتو. غمرت رائحة الإفطار الدافئة أرجاء المنزل.

بمجرد أن وضعت ماري طبقًا مليئًا بالفطائر المقلية في وسط المنضدة، رن جرس الهاتف. التقط أنجوس الهاتف، وعلى الفور تقريبًا قطب جبينه.

"كم عددهم؟ حسنًا. هل هناك أي إصابات أخرى؟ هل أنت متأكد؟ حسنًا، وماذا بعد. أبقِ كيس الثلج على فمه، وسوف أقابلك في المكتب خلال نصف ساعة".

وضع أنجوس الهاتف وأمعن النظر في ماري. "كونور أشتون. سقط من على دراجته وكسر أسنانه الأمامية".

ثم وجّه أنجوس نظره نحوي: "أنا في غاية الأسف، يا جوناثان. إنها حالة طارئة - يجب عليّ الإسراع".

أخبرته أنني أتفهم الأمر تمامًا، ولكن كلماتي تعقبته حيث اختفى أثره خلف الباب.

عندما سمعت أنا وماري صوت شاحنته وهي تنثر الحصى، وضعت ماري بعض الفطائر المقلية في طبقي.

تنهدت، قائلة: "أوه يا عزيزي. الآن أنا لا أعرف ما عليّ فعله. ينبغي أن أصطحبك للخارج، ولكنني لست متأكدة من كيفية فعل ذلك والاستعداد للعشاء".

خطر لي أن هذا التحول في مسار الأحداث، بغض النظر عن سوئها بالنسبة لكونور أشتون الصغير، قد تكون جيدة جدًا بالنسبة لي. كانت لديّ سيارة مستأجرة؛ كان بإمكاني القيادة في أنحاء كابوت تريل بنفسي، بينما تقوم ماري بما عليها القيام به. أومأت ماري موافقة على اقتراحي.

قالت ماري: "طالما أنك لا تخشى المرتفعات، وتحب القيادة، فإنك ستكون بخير. لن تستطيع في الحقيقة أن تتوه. إنه مسار دائري وبطول مائتي ميل تقريبًا. فقط ابقَ على الطريق الرئيسي، وأخيرًا ستعود في النهاية إلى هنا. ولكنك ستريد التوقف في كثير من الأحيان– عند نقاط المراقبة وفي بعض من المدن على طول الطريق".

بعد الإفطار، وجدت ماري خريطة للطريق، وجلسنا سويًا. رسمت دوائر حول أماكن على الخريطة، وعلى جزء منفصل من الورقة كتبت أسماء مواقع لزيارتها وأشياء لرؤيتها. تحول ما كتبته إلى قائمة طويلة جدًا.

"أوه، أنا أعلم، لا يمكنك القيام بكل ذلك في يوم واحد. انتقِ واختر. واتصل بي إذا كانت لديك أي أسئلة". كانت ماري تملأ زجاجة ماء لي وتقوم بوضع بعض الفاكهة وساندوتش في كيس. أخبرتها ألا تقلق حيال الغداء. فأنا سأتوقف في مكان ما.

قالت: "حسنًا، حالما تدخل في هذه المرتفعات، ستقود لفترة طويلة دون العثور على أي مكان لتناول طعام. ليس عليك تناول هذا، ولكنه موجود إذا احتجت إليه".

كان الوقت ما زال مبكرًا في الصباح عندما شقت سيارتي طريقها عبر وادي مارجاري. كانت ماري قد اقترحت أن أتبع طريق كابوت تريل في اتجاه عقارب الساعة لكي أكون في الحارة الداخلية عندما بدأت القيادة ارتفاعًا وهبوطًا خارج الجبال. الآن، كنت محاطًا بتلال لونها أخضر غامق على كلا الجانبين. كنت قد ظللت أقود لمدة عشرين دقيقة ورأيت سيارتين فقط. انقض صقر على الجانب الآخر من الطريق، وبطرف عيني، لمحت حركة عرضية في الأشجار. ربما مجرد سنجاب أو طائر، ولكنني تساءلت إذا كان بإمكاني مصادفة ثعلب أو غزال.

بدأت أفكر في ملاحظة جوليان المتعلقة بالتأثيرات والناس. وفي قرار

ماري حيال أولئك الذين أرادت إبقاءهم في حياتها. جعلتني قصصها أفكر في صداقات أود تجديدها. وأود أن أرى أختي، كيرا، ووالدتي لمرات أكثر. كانت كيرا على وجه الخصوص دومًا ما تخرج أفضل ما لديّ. كان الأمر كما لو كنت، في وجودها، تذكرت كيف يمكن أن أكون شخصًا قد تحترمه أخت أصغر. ووالدتي - سلّمت بها، كنت أعلم ذلك. عادتها المتمثلة في إخباري أن أرتدي سترة أو أن أنهي البازلاء الخاصة بي -حتي بعد أن كبرت وصرت أبًا- كانت تجعلني في بعض الأوقات أنطلق بسرعة للخارج بعد عشاء الأحد كما لو كنت أهرب من زنزانة تعذيب. ولكنني لاحظت أيضًا مدى النعمة الكامنة في تربيتي في منزلها. كنت بدأت أشعر بالامتنان لذلك. عندما دخلت من الباب بعد مباراة بيسبول، كانت دومًا ما تسألني: "هل استمتعت؟" بدلًا من "هل فزت؟" ونجحت في إيجاد شيء جيد لتقوله عن كل شخص - بما فيهم العم تيدي، وهو ما كان مفخرة من الإبداع لمنافسة أي شيء قد نجح فيه بيكاسو. وعندما توفي والدي، أظهرت قوة وشجاعة لم أكن لأتخيل امتلاكها لها من ذي قبل. وحتى في الأيام الأولى بعد وفاته، أظهرت اهتمامًا أكبر بالبلية التي واجهتني أنا وكيرا أكثر من بليتها هي. كان تأثيرها بالتأكيد هو أحد التأثيرات التي ينبغي عليّ الرَجوع إليها، اعتقدت ذلك.

ولكن هل كان هناك أشخاص يثبطون من عزيمتي؟ أشخاص لم يمثلوا عناصر إيجابية بطريقة أو بأخرى؟ تبادر إلى ذهني مباشرة ديفيد وسفين، ولكنني لم أستطع التفكير في أي شخص في حياتي الشخصية. حتى عندما تشاجرت أنا وأنيشا... ربما لم يكن سلوكي حسنًا، ولكن هل كان هذا تأثيرها؟ أو هل كنت أبذل قصارى جهدي لأفوز في مجادلة؟ أنيشا هي واحدة من أكثر الناس الذين أعرفهم تفاؤلًا - وهو ربما السبب وراء تمسكها به لفترة طويلة جدًا، بينما عارضت رغباتها في كل مناسبة. ماذا عن تيسا؟ كانت مفعمة بالحيوية، ومرحة، وجميلة. لقد ذكرتني في الحقيقة بأنيشا بطرق

عديدة. أود الإبقاء عليها في حياتي، ولكن بأي أسلوب؟ قررت عندما أوقف السيارة في المرة القادمة أن أرد على رسالتها بشكل متأخر. سوف أخبرها الحقيقة: كنت في مرحلة انتقالية؛ كنت أحاول استكشاف حياتي على العديد من الجبهات. استحسنت ملاحظتها، وأفكارها، ولكن سيتعين عليّ التحدث إليها عن اقتراحها عندما أرجع. احتجت بعض الوقت لكي أكتشف ما يدور بنفسي.

كان الوقت قبل الظهيرة عندما دخلت حديقة مرتفعات كيب بريتون الوطنية. في الستين ميلًا القادمة، انحنى الطريق عند حافة الحديقة حيث أحاط بالساحل. كانت ماري قد اقترحت أنني قد أترجل لمسافة قصيرة في نهاية الحديقة. كنت أتطلع إلى الخروج من السيارة، وتمديد رجلي، وتناول غدائي.

اتبعت اللافتات حتى ممر تشيمين دو بوتيريو، وفي نهاية المطاف دخلت في ساحة صغيرة لركن السيارات ممهدة بالحصى. كانت اللافتة الموجودة عند أسفل الممر تفيد أن المشي سيستغرق حوالي تسعين دقيقة. نظرت حولي. كان يومًا ربيعيًا دافئًا، الشمس مرتفعة في سماء صافية من الغيوم تقريبًا، ولكن ساحة الركن كانت خاوية ولم تكن هناك أي إشارة على وجود أي شخص آخر على مقربة. كانت ماري قد نبهتني أن أكون حذرًا من الذئاب البرية. إنها عادة لم تكن تأتي على مقربة من الناس، ولكن حدث هجوم مؤخرًا على أحد المتجولين. قررت أن أتناول غدائي في السيارة بعد نزهتي الخلوية. كانت ماري قد أعطتني عكاز مشي ثقيلًا، فقط لكي أكون في أمان. أحضرتها هي وزجاجة الماء فقط معي.

كان الطريق الترابي ضيقًا وملتويًا، وبدأ يرتفع تقريبًا على الفور. وعند بعض المناطق، عندما كنت أخطو إلى جذر الشجرة التالي أو الصخرة التالية، كنت أشعر أنني كنت أصعد سلالم مسطحة. كانت أشجار الصنوبر الموجودة

على الجانبين كثيفة وتركت رائحة العصارة الحارة عالقة في الهواء الرطب. صاحت الطيور في كل مكان حولي، ولكن فيما عدا ذلك، كانت الغابة صامتة.

كانت ماري قد أخبرتني أنني سأتسلق ما يقرب من مائتي قدم على مدى ميل وربع قبل الوصول إلى تجويف يدور حول قمة التل. قالت: "المشهد مذهل من هناك".

ما لم تخبرني به أنني سأصادف تاريخًا كذلك. بعد ما يقرب من عشرين دقيقة من تسلقي، ظهرت لافتة على جانب الممر. كانت تشير إلى أنه على يساري سوف أرى بقايا منزل من آخر خمسة منازل تابعة للو بوتيريو - وهي مستوطنة زراعية فرنسية كندية. نظرت بتمعّن على الجانب السفلي من التل، وكما توقعت، كان هناك بين الأشجار والزراعات الكثيفة فناء حجري صلد - أسس منزل صغير.

عرفت أنني كنت في منطقة فرنسية كندية - كانت ماري قد اقترحت عليّ أيضًا أن أتوقف عند قرية صيد الأسماك الأكادية الصغيرة التي تسمى تشيتيكامب قبل دخول الحديقة لرؤيتها عن كثب.

لذلك، قبل بدئي هذه النزهة الخلوية، كنت قد اتجهت إلى جانب الطريق وأوقفت سيارتي بالقرب من مطعم عند الجانب المطل على الماء من الطريق. كانت هناك القليل من المحلات ومبانٍ أخرى متكدسة في قطعة أرض ضيقة بين الطريق وخليج تشيتيكامب. اعتقدت ماري أنني قد أود تفحّص السجاد المعلّق، وهو كان إحدى خصائص المنطقة، أو تذوق بعض الحساء، يخنة السمك المحلية، إلا أنني لم أكن أشعر بأنني في المنزل. ولم أكن جائعًا بما فيه الكفاية كي أتوقف لتناول وجبة. وبدلًا من ذلك، نزلت على السلالم الخشبية التي امتدت بين المحلات وسلكت ممرًا نحو سلسلة من المراسي الصغيرة. اصطفت قوارب صيد تجارية بسيطة، لا تختلف عن القارب الذي امتلكه أحمد، على طول رصيف الميناء. كان أحد المراسي فيه لافتة كبيرة تنص على جولات مشاهدة الحيتان. كانت هناك مراكب صيد صغيرة أخرى مربوطة

أسفل اللافتة، بالقرب من قارب استطلاع الأبراج. كانت ماري قد اقترحت عليّ أخذ جولة لمشاهدة الحيتان في أحد القوارب القديمة - حيث تُصدر قوارب استطلاع الأبراج ضجيجًا واهتزازات تُزعج الحياة البحرية. ولكنني قد قررت أنني سأقضي وقتي لاحقًا في نزهة خلوية بدلًا من ذلك.

قبل عودتي إلى سيارتي، سرت رجوعًا بطول الطريق السريع، إلى أن حلت مجموعة من المنازل البسيطة ذات الإطار الخشبي محل المطاعم والمحلات. امتدت مساحة صغيرة من الرصيف أمامها حيث أسرعت حركة مرور الطريق السريع على الجانب الآخر - تقريبًا عند عتبات أبوابها. وخلفها يمكنني رؤية شريط ضيق من الحشيش الأخضر، ثم مياه خليج سانت لورانس.

كان كابوت تريل ذات مرة طريقًا ترابيًا. لربما كان يمكن أن يكون أضيق بكثير مما كان عليه حينها، ولربما كان يمكن أن تجثم هذه المنازل دون ثبات على حافته، حيث ترتطم المياه المالحة المتجمدة بأبوابها الخلفية. كانت ماري قد قالت إن تشيتيكامب والمنطقة المحيطة كانتا مازالتا تتحدثان الفرنسية. كان الناس ينحدرون من أصول الأكاديين الذين، في منتصف القرن السابع عشر، قد طُردوا على يد البريطانيين من وادي أنابوليس من البر الرئيسي نوفا سكوتيا. وبعد استيلاء البريطانيين على المستوطنة الفرنسية أكاديا في ١٧١٠، طالبوا أن يقسم الأكاديون يمين الولاء لبريطانيا. لم يكن معظم الأكاديين، الذين كانت لديهم مستوطنة زراعية مزدهرة، سياسيين، أكثر من أي شيء، إنهم أرادوا البقاء بعيدًا عن الصراع بين الإمبراطوريتين الفرنسية والبريطانية في أمريكا الشمالية. ساعد القليل، مع ذلك، في تموين الحصون العسكرية الفرنسية في نوفا سكوتيا الحالية ونيو برونزويك. لذلك، على الرغم من أن الأغلبية العظمى من الأكاديين قد عاشوا بسلام تحت الحكم الإنجليزي لعقود، فإن البريطانيين قرروا أن وجودهم شكّل تهديدًا خطيرًا، وبدءوا في ترحيل الأكاديين إلى أوروبا، وإلى مستعمرات بريطانية أخرى. هاجر العديد من الأكاديين الذين تم إرجاعهم إلى فرنسا فيما بعد إلى مستعمرات فرنسية

في أمريكا الشمالية. توجّه الجزء الأكبر إلى لويزيانا، حيث أصبحت سلالتهم معروفة بالكاجونس. علمت ذلك، ولكن ماري أخبرتني أيضًا بأن عددًا قليلًا شقوا طريقهم نحو جزيرة كيب بريتون واستقروا على طول ساحلها الشمالي الغربي. أثناء سيري مرورًا أمام هذه المنازل الصغيرة، أدهشني مدى العزلة التي يجب أن يكون المستوطنون الأكاديون في تشيتيكامب قد عانوا منها - ربما بضع مئات فقط من النفوس متعلقة بالبحر والمساحات الصخرية في هذه الجزيرة الجبلية. كيف كان يبدو هذا؟ بقدوم هذا العدد القليل من الأسر من مجتمع ريفي يحوي الآلاف، فإنهم كان يمكن أن يعتمدوا على بعضهم البعض في كل شيء. ولكن إذا كانت تشيتيكامب منعزلة، فماذا كان يمكن أن تبدو بوتيريو؟

أثناء سيري حول أسس لو بوتيريو، التي كانت منهارة ومتدهورة لدرجة أنها كانت تبدو مثل بروز حجرية، حاولت تصوّر كيف بقيت الأسر الكبيرة على قيد الحياة في تلك المباني الصغيرة. كانت توجد تحت المنازل مساحات مكشوفة -بقايا الحقول الزراعية- التي امتدت للأسفل نحو نهر تشيتيكامب. كان من الصعب تخيّل الزراعة في هذه التضاريس الوعرة، فضاء أيام وسط المياه في قوارب صيد واهية، وهو ما فعله رجال هذه الأسر. أخبرتني اللافتات الموجودة على طول الممر أنه عندما كانت المياه مفتوحة، كان يقضي الرجال يوم الأحد في المنزل في لو بوتيريو، ولكنهم يعودون إلى أكواخ صيد في تشيتيكامب أو لا بلوك خلال الأسبوع. وفي الشتاء، تعبر الأسر النهر المتجمد للوصول إلى المدينة بهدف شراء مؤن أو، في سنوات لاحقة، للذهاب إلى المدرسة. وفي الأشهر الأكثر دفئًا، يسلكون ممر العربات، الذي كنت أسير فيما تبقى منه، للوصول إلى المدينة.

لم يكن ليصبح هناك العديد من الأسر على هذا الطرف من الأرض. في ١٩٦٣، كانت هناك عائلتان يسميان ليبلانك، بالإضافة إلى تشياسونز،

على الأبـواب الخشبية الكبيرة التي كانت تفصل بين مناطق التنقيب وبئر المصعد. "كنت أقوم بإدخال عمال المنجم. وأقوم بإخراجهم مع عرباتهم الممتلئة".

قال دون إنه حالما تكبر في السن لدرجة كافية للتنقيب عن الفحم ونقله بالعربة، لم تكن الأيام موحشة جدًا. حيث وجد الرجال معًا طرقًا لجعل الوقت يمر بصورة أسرع. إنهم كانوا يطلقون مزحات ويـروون قصصًا. كانوا يغنون سويًا، أغاني شعبية وقصائد قصصية. ولكن الأيام كانت لا تزال طويلة. في الشتاء، كان عمال المناجم ينزلون في الظلام ويخرجون في الظلام.

قال دون ضاحكًا: "نرى الشمس في أيام الأحد فقط، لشهور عديدة".

ثم كانت هناك "الاهتزازات".

قـال دون، مـارًا يـده على جبهته: "نجوت من ست عشرة هزّة". أودت انفجارات غبار الفحم والغازات التي ملأت المناجم بحياة العديد، العديد من أصدقائه وأقاربه.

"كيف فعلت هذا؟" كنت أهز رأسي، مندهشًا من الرعب الذي يسببه العمل في المناجم.

قال دون: "لا تخطئ فهمي، يا فتى". ظهرت آثار من تراثه السلتي على صوته. "إنه كان عملًا شاقًا. ولكنها كانت حياة جيدة".

سألته: "ماذا تقصد؟ كيف تستطيع قول ذلك؟".

ظلّ دون صامتًا لبضع ثوانٍ. ثم نقر بيده الأخرى على يد الكرسي، وقال: "لا أعلم إذا كنت ستستطيع فهم ذلك. هناك شيء ما فقط يتعلق بالعمل مع مجموعة من الرفاق، رفاق تكون حياتك بين يديهم كل يوم. تنجو من ذلك الانفجار الأول، تُخرج أصدقاءك للأعلى، تدفن آخرين. ينقب شخص ما بين الفحم للعثور عليك، لسحبك للخارج. أو تجلس محاصرًا هناك في الأسفل لساعات. ربما احتشد عشرة منكم سويًا. عندما تعود للنزول بعد الهزّة،

لا تنظر أبدًا إلى هؤلاء الرجال بنفس الطريقة ثانية. أنت تعلم أن لديك وثاقًا لن ينفك أبدًا. أنت تشعر أنك محظوظ. مبارك".

قلت، وما زلت في ذهول: "واو. بالرغم من ذلك، أعتقد أنني كنت أفضل أن أصبح صائد سمك".

انفجر دون، قائلًا: "يا إلهي! إنك لن تجعلني أصعد على متن أحد هذه القوارب تحت أي ظرف من الظروف. أنت تريد التحدث عن عمل خطير. تحدث إلى جو، والد ماري".

كان دون يهز رأسه. "الآن هذه مجموعة من الرفاق الشجعان، سوف أقول هذا لك".

كنت قد قدت السيارة طوال اليوم مرورًا بقرى صيد أسماك صغيرة. التعدين وصيد السمك - كانا بصورة أساسية هما الاختياران الوظيفيان الوحيدان لأجيال من الرجال في هذا الركن من العالم. وكانا نشاطين مجتمعيين، يتسمان بالخطورة تقوم بهما مجموعات صغيرة من البشر. في اليابان، في إحدى أكثر الجزر ازدحامًا في العالم، كنت قد تذكرت أهمية معاملة الآخرين جيدًا. وهنا، يمكنني ملاحظة عظمة العلاقات البشرية. هنا، الأشخاص الذين عشت وعملت معهم ذوو أهمية. هنا، قد يعني الأمر حياة وموتًا.

للوهلة الأولى، بدا ذلك مختلفًا جدًا عن حياتي. فيما عدا آدم، من اعتمد عليّ بنفس الطريقة التي قد اعتمد بها دون على الرجال الآخرين في المناجم؟ ولكنني بعد ذلك فكرت في جوان. ربما لم يكن عالمي مختلفًا كثيرًا على أي حال. كانت هناك دقيقة، وربما أكثر من دقيقة، كانت فيها حياة جوان بين يدي. ولم أرفعه نحو السطح.

وليبرنز، وديفيوز. كانت كل منها تمتلك ما بين تسعة إلى أحد عشر طفلًا. إذن فهم خمسون شخصًا.

ما مدى اختلاف عالمي! مئات من زملاء العمل، مئات من الأصدقاء، حي امتد بلا انقطاع لمسافة أميال وأميال. كان هناك ثمانون طالب مرحلة أولى في مدرسة آدمز. عدد كبير جدًا من الناس. فكرت في ملاحظة جوليان: اختر الأشخاص في حياتك جيدًا. يمكنني الاختيار. العديد من الناس في الماضي لم يكن لديهم هذه النعمة. عدم وجود اختيار حقيقي، ومع ذلك اعتمد الكثير جدًا على ذلك العدد الضئيل من الناس الذين يعيشون بينهم.

كان المشهد من أعلى قمة لوتشيمي دو بوتيريو جميلًا حقًا - يلتوي الشاطئ والسواحل في الأسفل، وتمتد المياه الزرقاء في الأفق. ولكن المنظر الخلاب كان مجرد بداية.

بعد ساعة، عندما صعدت نحو المرتفعات في سيارتي المستأجرة، جعلتني المنعطفات الحادة، والمنحدرات الشديدة، والمرتفعات المروعة أتساءل كيف قد يستطيع أي شخص لا يملك سيارة حديثة بقدرة ستة سلندر أن يشق طريقه حول هذه المنطقة. كان السبب واضحًا وراء بقاء الكثافة السكانية في هذا الجزء من العالم منخفضة. توقفت عند نقاط مراقبة عديدة، محملقًا في المحيط أو ناظرًا للوراء نحو الجبال ذات اللون الأخضر الغامق. تجاوزت متحف الحيتان في بليزانت باي، ملمحًا في ذهني أنني ينبغي أن أرجع إلى هذا المكان مع آدم. توقفت لإلقاء نظرة على المنزل الصيفي الخاص بألكساندر جراهام بيل بالقرب من إنجونيش سينتر. جلست لفترة كبيرة على الشاطئ في ريك كوف، مشاهدًا الأمواج ترتطم بالشاطئ المغطى بالحصى. كنت في وقت متأخر بعد الظهيرة عندما دلفت إلى ممر سيارات ماري وأنجوس.

كان حفل العشاء الذي أقامته ماري ليلة استثنائية. كان هناك قدر وافر من سرطان البحر الطازج، وبعد تنظيف المائدة، امتلأ الجو بأصوات كمان وهارمونيكا. كان أصدقاء ماري وأنجوس مفعمين بالحيوية ومشاركين في النقاش ومرحين ومتحمسين. إنهم تحدثوا عن كل شيء من السياسة إلى الفن، من الشئون العالمية إلى الموسيقى. ولكن ربما كانت محادثتي المفضلة هي المحادثة الهادئة التي أقمتها مع والد أنجوس قبل وصول جميع الضيوف.

كنت قد عرضت على ماري وأنجوس المساعدة في المطبخ، ولكن ماري سحبتني للخارج إلى غرفة المعيشة. قالت: "تناول بيرة مع دون. أنا وأنجوس نعمل بشكل أسرع إذا لم يكن هناك سوانا".

لم يكن دون رجلًا طويلًا، ولكن كانت لديه قوة راسخة لشخص قضى حياته في العمل البدني. كانت يداه مجزّعتين وخشنتين، وكتفاه منحنيتين قليلًا، ولكن كان لا يزال هناك بريق في عينيه الخضراوين.

جلبت لكلينا زجاجة بيرة من المطبخ. (كانت الكلمة الوحيدة التي تفوه بها دون عندما سألته إذا كان يريد كوبًا هي "تش"). ثم أوى كلانا إلى كراسي غرفة المعيشة العميقة وحملقنا في الأشجار التي كانت أمامنا. كان أنجوس قد أخبرني أن والده كان عامل منجم، ولكن كان لديّ فضول لمعرفة كيف كانت تبدو تلك الحياة.

بدا دون سعيدًا للبوح بالتفاصيل.

إنه عمل في المناجم في الثالثة عشرة من عمره.

"والدي، أعمامي، هؤلاء الرجال عملوا بها عندما كان سن العمل عشر سنوات. وعندما ذهبت كانوا قد رفعوا السن إلى أربع عشرة سنة. ولكننا كنا بحاجة إلى المال، أتفهمني؟ لم أكن أهدف إلى الانتظار. كذبت بشأن عمري، وساندني والدي وأصدقاؤه".

لم يكن مسموحًا للفتيان التنقيب عن الفحم. وبدلًا من ذلك، جلس دون الصغير لمدة اثنتي عشرة ساعة في اليوم، في الظلام الدامس، منتظرًا طرقة



الفصل التاسع

بعد وقتي الذي قضيته مع ماري وأنجوس، سافرت جوًّا من سيدني إلى هاليفاكس، حيث قضيت الليلة في فندق. أردت أن أكون في المطار مبكرًا في الصباح للحاق بالرحلة الجوية إلى وجهتي التالية - شانجهاي. كان يبدو، من الملاحظة التي أرسلها لي جوليان، أنني سأقضي أقل من يوم كامل هناك. قبل هذه الرحلة، كنت سأظن أن هذا إسراف شديد في السفر جوًّا -حيث أسافر قاطعًا منتصف الطريق حول العالم فقط لكي أنعطف وأرجع- ولكنني أصبح تدريجيًا غير عابئ وبشكل إيجابي بمسألة السفر الدولي هذه. في طريقي من نيووارك إلى شانجهاي تمكنت من النوم لبعض الوقت. وصلت إلى شانجهاي في الثانية بعد الظهر (الثالثة صباحًا بتوقيت هاليفاكس)، وقابلني يو فينج، شاب جاد صرّح بأنه سيكون مرشدي ومترجمي الشفهي. أخذ حقائبي وأسرع

بي إلى خارج صالة الوصول، حيث كانت سيارة من نوع بينتلي ذات لون أسود لامع تنتظرنا. بعد رص متاعي، جلس يو فينج في المقعد الخلفي معي.

"السيد جاو يتقدم بخالص اعتذاره، ولكنه في اجتماع لم يستطع إعادة جدولته. إنه يتطلع إلى مقابلتك في مكتبه الساعة السادسة مساءً. إنه سيأخذك حينها إلى منزله لتناول العشاء. حتى هذا الحين، يمكنني أن أريك أي شيء تود رؤيته في شانجهاي".

نظرت إلى ساعتي. لقد استغرقت بعض الوقت في الحصول على متاعي واجتياز إجراءات الجمارك والجوازات. كان متاحًا لي عدد قليل من الساعات يمكنني استغلالها في رؤية المدينة، ولكن فكرة أخذ دش ساخن وقيلولة قصيرة كانت هي الأكثر إغراءً من بين الأشياء التي بإمكاني التفكير فيها. شكرت يو فينج على عرضه وسألته إذا كان بإمكاني فقط الدخول إلى فندقي.

تبادل يو فينج بضع كلمات مع سائقنا، وقبل أن أعرف هذه الكلمات، كنا نسرع داخل المشهد الحضري الكثيف في شانجهاي.

سألني يو فينج، وهو يسحب بابًا صغيرًا في ظهر المقعد الموجود أمامه، قائلًا: "هل تود تناول مشروب؟" تأرجح الباب ليكشف عن مقصورة مجهزة بحانة صغيرة. ثم سحب مائدة صغيرة للأسفل من المقعد الجلدي الموجود بيننا.

قلت: "ماء فقط. شكرًا". كان من المؤسف ألا أستفيد من هذا الترف، ولكنني لم أكن في حالة مزاجية مهيئة لتناول مشروب آخر.

اعتلينا جسرًا يمتد على مساحة واسعة من المياه الداكنة. قال يو فينج: "نهر هوانجبو". ثم قال: "يقع مكتب السيد جاو في وسط المدينة، ولكننا حجزنا لك في فندق يبعد مسافة بنايتين فقط عن رصيف الميناء".

نظرت إلى يو فينج في ذهول.

أوضح يو فينج أن رصيف الميناء هو شارع واسع يمتد بطول الضفة الغربية من نهر هوانجبو. كانت منطقة قد شيّد فيها المغتربون الأوروبيون العديد من المباني الضخمة في العشرينيات والثلاثينيات.

اختتم كلامه قائلًا: "تشتهر جدًا بالسياح الأمريكيين والأوروبيين. وكذلك تبدو شديدة الجمال ليلا".

أومأت برأسي ولكنني لم أقل شيئًا. كنت أفكر في ذلك الشلال من المياه الساخنة والشامبو ذي الرغوة.

عندما دخلت من باب غرفتي، توقفت فجأة وتساءلت إذا كان هناك خطأ ما. بمجرد أن أوقفنا السيارة عند الفندق، عرفت أن هذه ستكون أفخر إقامة أقمتها. يحتوي الرواق، الذي يرتفع سقفه بقدر ثلاثة أو أربعة طوابق، على أرضيات من الرخام الأسود ذات بريق مثل الزجاج، وأثاث أنيق وأشجار نخيل فارعة الطول. ولكن أروقة الفندق قد تكون خادعة بعض الشيء. لقد ذهبت إلى أماكن كان يبدو الرواق فيها مثل منتجع خمس نجوم، بينما تذكرني الغرف بتلك النزل المتواجدة على جانب الطريق التي اعتاد والداي على ركن سياراتهما فيها أثناء الرحلات العائلية بالسيارات. لذلك فإنني كنت أتوقع غرفة جميلة، ولكنني لم أكن متأكدًا في الحقيقة.

ولكن هذه! هذه كانت أفضل بكثير من "جميلة" لدرجة أنها جعلتني مبهورًا. التفت للنظر إلى يو فينج، الذي كان قد أصرّ على مرافقتي للأعلى. كان عابسًا ويتحدث بسرعة وغضب بلهجة صينية شمالية إلى عامل الفندق.

قال لي بعد أن أنهى حديثه مع الرجل سيئ الحظ: "أرجوك تقبّل اعتذاراتي المتواضعة. كنت فقط أخبره أنه كان من المفترض وجود فاكهة، وبوفيه صغير مُعد لك في الغرفة. لقد وعد بإرسال جميع ذلك على الفور".

وقفت في بهو غرفتي، محملقًا في مساحة كانت أكبر بشكل ملحوظ من شقتي. أمامي كانت توجد نوافذ بطول الحائط من الأرض إلى السقف ممتدة

بطول الغرفة. وعندما دخلت، كان باستطاعتي ملاحظة أنني لا أمتلك غرفة معيشة واسعة فقط، ولكن أيضًا غرفة طعام رسمية. تجولت في الصالة إلى غرفة نوم كانت كبيرة بحجم أي غرفة فندقية أقمت فيها من ذي قبل. كانت فيها مساحة جلوس خاصة بها، بالإضافة إلى قبو دراسة به مكتب. كان الحمام براقًا، مكانًا خياليًا ذا جدران رخامية. رجعت إلى غرفة المعيشة في حالة ذهول. نظر يو فينج إليّ بفضول.

قال بانحناءة قليلة من رأسه: "أنت تريد الراحة. سأتركك الآن. سأعود في الخامسة وثلاثين دقيقة لاصطحابك إلى السيد جاو".

بعد مغادرة يو فينج، بدأت تفحّص الجناح بصورة أكبر قليلًا. في الحمام، وجدت مرحاضًا على الجانب المقابل مباشرة لحوض الاستحمام. سحبت الباب المصنوع من خشب الماهوجني نحو الجانب، مما كشف عن شاشة تليفزيون ضخمة. اتجهت مباشرة نحو الحمام، وفتحت الصنابير، ثم رجعت إلى غرفة الطعام، التي كانت حينها قد تجهزت بالبوفيه. ملأت هناك طبقًا بشيكولاتة فنزويلية، وجبن أبيض طري، وبسكويت، وعنب. ثم نزعت سدادة زجاجة صغيرة من مشروب فاخر وصببت كوبًا لنفسي. أحضرت كل الأشياء إلى الحمام على صينية ووضعت جميع الأشياء على الحافة الرخامية التي تحيط بحوض الاستحمام الضخم. وضعت جهاز التحكم عن بعد في درج صغير أسفل مقصورة التليفزيون. تنقلت بين تشكيلة الأفلام وعثرت على أحد أفلام الحركة المثيرة المفضلة لديّ.

مع خفقان نافورات مياه الجاكوزي على جسدي، والمشروب الجيد، والطعام الرائع الذي ملأني بالحرارة، سريعًا ما فقدت الاهتمام بالفيلم. استخدمت جهاز التحكم عن بعد لإيقاف تشغيل التليفزيون وتشغيل النظام الصوتي. وبعد ساعة، خرجت من حوض الاستحمام مسترخيًا، ومنتعشًا، ومندهشًا

من حظي الجيد. أسدلت على جسدي رداءً قطنيًا فخمًا. عندما غمرت الموسيقى الجناح، استعددت دفتر يومياتي وتوجهت نحو غرفة المعيشة. تمددت على الأريكة العميقة الناعمة المقسمة إلى أجزاء، وفتحت دفتر اليوميات على صفحة جديدة. كتبت: *يا لها من طريقة عظيمة للحياة! قد أعتاد على ذلك!* ثم *أغلقت الدفتر بنقرة.*

أقلني يو فينج والسائق في السيارة البينتلي، هذه المرة يسرعون بي إلى برج السيد جاو المكتبي اللامع. وبعد أن أنزلنا السائق، وجّهني يو فينج عبر رواق زجاجي مليء بالنافورات إلى الأعلى نحو مكتب بالطابق العلوي.

اندفع يو فينج عبر الأبواب الزجاجية، ووقفت على الفوز سيدة شابة جميلة كانت جالسة في مكتب الاستقبال.

قالت: "السيد يو، السيد لاندري. أنا في غاية الأسف. كان السيد جاو متأكدًا من أن الاجتماع سينتهي عند السادسة، ولكنهم ما زالوا هنا. لقد أعلمت السيد جاو بوصولكم".

حينها فقط انفتح باب يفضي إلى المدخل على مصراعيه وبدأ رجال في الخروج. سادت بينهم أصوات عالية وضحكات مثل صوت الأمواج. وعندما بدءوا ينسابون إلى منطقة الرواق، لاحظت وجهًا مألوفًا. اعتقدت أنني أتخيل أشياء. ثم الصوت.

"يا سيد جاو، أنا سعيد لأنك تتفق معنا. أعني أن هذا في الحقيقة هو أحد أفضل السيناريوهات التي أُرسلت إليّ على الإطلاق". كان ممثلًا - نجمًا سينمائيًا. لقد رأيته في العشرات من أفلام الرعب، والكوميديا الرومانسية العارضة. وكان يمشي نحوي. كان هناك رجل آخر بجانبه اعتقدت أنني تعرفت عليه. لم أستطع التوصل إلى الاسم، ولكنني قد رأيته في حوار ما، أو يتسلم جائزة أو شيئًا ما. ربما مخرج؛ أو ربما منتج مشهور. وبجانبهم، يوجد

رجل أسيوي طويل كان يحدق مباشرة فيّ. إنه وضع يده على كتف الممثل، وقال شيئًا له بصوت خافت. ثم انفصل عن المجموعة واتجه نحوي.

قال الرجل، باسطًا يده بحرارة: "جوناثان لاندري. جاو مينج". كان يطلق عليه السيد جاو اقتداءً بالتقليد الصيني الذي يقضي باستخدام اسم العائلة أولًا. "آسف جدًا لجعلك تنتظر. دعني أقدمك لبعض شركائي التجاريين الجدد".

تبيّن أن جاو مينج كان ممول مشاريع. تمثل أحد أحدث استثماراته في شركة إنتاج تابعة لهوليوود جديدة بدأت بمجموعة اشتملت على الممثل والرجل الآخر - علمت أنه مخرج. إنهم كانوا يوقعون الأوراق النهائية في اجتماع ذلك اليوم.

قال الممثل لي: "أعدك بقضاء وقت ممتع"، إنه كان يبتسم ويلكم السيد جاو على ظهره.

يقول الناس إنه عندما تقابل أشخاصًا مشهورين، فإنهم يكونون أصغر مما تتوقع. ولكن هذا الرجل كان بنفس الطول والعضلات التي بدا بها على شاشة السينما تمامًا. كانت ملابسه غير رسمية، ولكنها لم تبدُ مثل أي شيء امتلكته. تساءلت فيما إذا كان ذلك ما تبدو عليه ملابس الماركات الشهيرة، إذا كانت القمصان والجينز باهظة الثمن حقًا لها بريق خاص. اعتلت جبهته نظارة شمس. كانت تبدو كما لو كانت موجودة هناك طوال اليوم، متشبثة بصدغيه، ومستعدة للانزلاق على عينيه في حالة إذا احتاج أن ينتقل إلى وضع التخفي في عجلة من أمره.

كان الممثل يقول لي: "اجعل السيد جاو يأخذك إلى اليخت الخاص به". أشار نحو جاو مينج. "يا لها من حفلة أقمناها هناك في الليلة الماضية! شديدة الحماسة. جديًا، يا سيد جاو، إنه قارب جميل. وأنت تقيم حفلة رائعة جدًا. شكرًا على كل شيء". عندما تصافح جاو مينج والممثل، مال شاب ذو مظهر وقور على السيد جاو متحدثًا بصوت خافت.

ثم قال جاو مينج: "أيها السادة، الطائرة الهليكوبتر موجودة. هلا أخذنا وجهتنا؟" ثم التفت إليّ.

"يا جوناثان، هل تود الانضمام إليّ لتوديع أصدقائي؟".

لم أذهب مطلقًا إلى مهبط طائرات هليكوبتر. توجهنا عبر باب موجود على الجانب الآخر من شقة في الطابق العلوي، واستقللنا مصعدًا نحو طابق واحد فقط صعودًا. انفتحت الأبواب على مصراعيها، سقف مسطح. كانت هناك طائرة هليكوبتر، على بُعد مسافة ما، تلف ريش مروحيتها. إنه كان شعورًا خياليًا - أن تقف على قمة مبنى، على ارتفاع مائة طابق عن الأرض، يندفع الهواء فوق رءوسنا، وتمتد سماء مفتوحة بشكل غريب في الأفق. كانت أسطح ناطحات السحاب الأخرى تبدو مثل منصات عائمة تفصل الوديان الخرسانية المحيطة بنا.

انحنى الممثل، والمخرج، وزوج آخر من الرجال وشرعوا في جري بطيء نحو الطائرة الهليكوبتر. بدوا وكأنهم يفعلون هذا النوع من الأشياء كل يوم. وحالما صعدوا على متن الطائرة الهليكوبتر واستقروا، بدأت الطائرة الهليكوبتر في الارتفاع ببطء بعيدًا عن المبنى. لوحت أنا وجاو مينج. كان بإمكاني رؤية الممثل يلوح عند النافذة. ثم توجهت أنا والسيد جاو نزولًا إلى المكتب.

"أنا متأسف لعدم استطاعتي إرسال الطائرة الهليكوبتر لإحضارك من المطار، ولكنني أخشى أننا كنا نحتاج إجراء فحص سلامة لهذه الرحلة الجوية اليوم، لذلك لم يعمل التوقيت".

لم أعلم ما عليّ قوله. لم أحظَ بفرصة الاستفادة من هذا النوع من وسائل المواصلات من قبل.

عندما ركبنا المصعد وشققنا طريقنا نحو مكتب السيد جاو، تسارعت أفكاري. كانت حياة جاو مينج تعيد صياغة جميع معايير الترف الخاصة بي. إنني لم أستقل سيارة من نوع بينتلي من قبل، ولكنه أصبح الآن شيئًا قد أشتاق إليه. وسائق. ثم كان هناك الجناح في الفندق، هذا المكتب الفاخر، الطائرة الهليكوبتر. والممثل. يا لمدى جاذبية هذا! ذكرني ذلك بالخطة الكبرى التي وضعتها بعد المدرسة الثانوية.

مثل العديد من الأطفال، وجدت أن المدرسة الثانوية وسنوات المراهقة هي نوع ما من الابتلاءات. لم يكن ذلك بسبب أنني لم أكن محبوبًا، أو ناضلت في المدرسة، أو عانيت من شعور عميق بعدم الأمان. بل بدلًا من ذلك، عاشت ذاتي المراهقة في حالة قاسية من عدم الرضا. بينما علمت أنه كان هناك الكثير من الأطفال الذين لديهم أشياء أسوأ مما كن لديّ، كان جميع ما يمكنني رؤيته في الحقيقة هؤلاء الذين بدا أن لديهم أشياء أفضل. عند عطلة الربيع أو عندما أتت عطلات الصيف، أعددت قائمة ذهنية بالأطفال الذين كانوا يقضون عطلات رائعة – منطقة البحر الكاريبي أو رحلات التزلج في شهر مارس، كوخ أو أوروبا في شهر يوليو. لاحظت من يمتلك أفضل دراجة هوائية، أحدث زلاجات جليد، أكثرهم إنفاقًا للمال. لاحظت المنازل التي عاشوا فيها والسيارات التي قادها آباؤهم. والأطفال الذين كانت لديهم سياراتهم الخاصة كان حظهم الجيد مثل لافتة نيون لامعة أعلى متجر لا يمكنني دخوله. قررت أثناء تلك السنوات الطامعة أنني لن أقبل حياة والدي التي نقطع فيها الكوبونات، ونقود سيارات مستعملة، ونقضي عطلات منخفضة الإيجار. كنت أخطط لجني أموال طائلة عند إتمام دراستي بالكلية. وكنت أخطط للعيش في ترف.

بالطبع، ليس هناك شيء يضاهي حقيقة صغيرة لجعلك تعيد تقييم توقعاتك. ولكن بينما لم أنجح في شراء سيارة من نوع بينتلي، امتلكت منزلًا أكبر بكثير من المنزل الذي ترعرعت فيه، وكنت أشق طريقي صعودًا على السلم الوظيفي نحو حياة أكثر ترفًا. وخلال هذه الرحلة التي أقوم بها من أجل جوليان، مع ذلك، بدأت أخفف تمسّكي بهذا الهدف. كنت أبدأ في استيضاح بعض أولوياتي والنظر إلى "الحياة الجيدة" تحت أضواء جديدة تمامًا. كانت هذه الزيارة تذكرني بالسبب وراء وضع تلك الأهداف لنفسي في المقام الأول. بدت حياة جاو مينج عظيمة جدًا. لا شك في ذلك. وعلى عكس جوليان، لم يكن لديّ سيارة فيراري لبيعها. ولكن هل كنت على استعداد لبيع حلمي الخاص بالسيارة الفيراري؟

قادني جاو مينج إلى مكتبه. كان، بالطبع، جناح زاوية ضخمًا ذا نوافذ دائرية. ملأ أثاث مطلي أثري أرجاء الغرفة. في أحد الأركان كان يوجد ما بدا على أنه أريكة وكراسي حرير مطرزة؛ وفي ركن آخر، كان يوجد مكتب باهظ الثمن مصنوع من خشب الأبنوس. كانت هناك زجاجة شمبانيا موضوعة في دلو ثلج موجود على طاولة القهوة أمامنا.

قال جاو مينج، ناظرًا إليها: "بقايا الاجتماع. هل ترغب في كوب أم نتوجه إلى منزلي لتناول مشروب قبل العشاء؟".

بقدر ما وددت أن أطيل مكوثي في هذا المكان الأنيق مرتشفًا المشروب ومحملقًا في أفق سماء شانجهاي، كنت أكثر فضولًا بكثير لرؤية أين -وكيف- يعيش جاو مينج.

قلت: "سأكون سعيدًا للخروج".

رد جاو مينج قائلًا: "جيد جدًا... أنا متلهف قليلًا للذهاب إلى المنزل في حد ذاتي. لقد ظللت مشغولًا طوال الأيام القليلة الأخيرة باستضافة الأشخاص التابعين لشركة الإنتاج، وأنا أفتقد منزلي وزوجتي وابنتي".

قلت: "آه نعم، لقد سمعت عن اليخت".

قال جاو مينج: "نعم، أنا آمل ألا تمانع أن آخذك في جولة خلال هذه الرحلة. يخبرني جوليان بأن وقتك محدود، والطاقم ما زال يقوم بالتنظيف من الليلة السابقة".

قلت، ربما بكثير من الإصرار: "لا تقلق". كنت محبطًا قليلًا لعدم رؤية تذكار قد أعجب أحد عمالقة هوليوود الذي بلا شك كان لديه حصته من اليخوت ذات الحجم الجيد.

سار جاو مينج نحو مكتبه وضغط زرًا على هاتفه.

تحدث في مكبر الصوت قائلًا: "يانج جينج وين، هل يمكنك جعل سونج هونج يجلب سيارتي إلى هنا؟ أنا وجوناثان على استعداد للمغادرة". ثم التفت نحوي.

"أحضرت سيارتي الخاصة هذا الصباح حيث إنني أردت إبقاء سيارة الشركة وسائقها غير مشغولين ليقلوك اليوم".

عندما نزلنا في المصعد نحو الرواق، وجدت نفسي أتساءل عن نوع السيارة التي سيختارها رجل مثل جاو مينج. هل سيختار سيارة صالون مثل مرسيدس، أو هل سيمتلك سيارة رياضية؟ ربما مازيراتي أو بورش؟ ربما لامبورجيني. أو حتى فيراري.

عندما دفعنا أبواب الرواق الزجاجية، تفحصت السيارات المصفوفة على طول الرصيف. كانت هناك سيارة ليكزس، وألفا روميو، وبي إم دابليو، وأستون مارتين. كنت أراهن على السيارة أستون مارتين. بدأت تقريبًا السير في هذا الاتجاه عندما سمعت جاو مينج يقول: "من هنا، يا جوناثان". كان يسير في الاتجاه المقابل، نحو رجل يرتدي زيًا رسميًا موحدًا كان يحمل مجموعة من المفاتيح. كان الرجل واقفًا بجوار سيارة صالون عائلية من نوع فولفو.

قال جاو مينج، آخذًا المفاتيح ومتجهًا نحو جانب سائق السيارة فولفو: "شكرًا لك، يا سونج هونج".

أدركت أنني كنت أقف على الرصيف، مراقبًا جاو مينج، وفمي مفتوح قليلًا، وقدماي متجمدتان في مكانهما. أغلقت فمي بعنف واتجهت بسرعة نحو جانب الركاب. فتحت الباب وكنت على وشك الجلوس، ولكن كانت هناك مجلة على المقعد.

قال جاو مينج، ملتقطًا المجلة وقاذفًا إياها على المقعد الخلفي: "آسف حيال ذلك. إنها مجلة ابنتي".

كنت مندهشًا جدًا من السيارة لدرجة أنني لم أقل أي شيء أثناء خروج جاو مينج نحو حركة المرور. كانت هذه السيارة، على أي حال، من النوع الذي كان يقوده جيراني، النوع الذي اصطف في ساحة الركن في مباريات كرة القدم الخاصة بآدم. لا بأس في ذلك، ولكنها لم تكن من نوع السيارات التي اعتقدت أن رجلًا يمتلك موارد ضخمة، مثل جاو مينج قد يقودها.

كنا ندخل طرقًا رئيسية ونخرج منها، عبر الكثير من المباني الإدارية والسكنية شاهقة الارتفاع. وعند كل منعطف، توقعت وجود فاصل، أو الانتقال إلى ضواحٍ منخفضة الارتفاع، أو حتى رقعة من المساحات الخضراء، ولكن صف المباني الكثيفة امتد طويلًا. تحدثت أنا وجاو مينج بشكل ودي. أخبرني عن بعض من مشاريعه الكبيرة، بما فيها شركة الإنتاج ومشروع جديد كان يموله في البرازيل. أخبرته عن عملي في مجال صناعة السيارات. وفي النهاية سألته عن كيفية تعرفه على جوليان.

قال جاو مينج مطلقًا ضحكة خافتة: "تقابلنا في محكمة. عندما كان يقاضيني". تابع السيد جاو، قائلًا: "في الواقع، كان موكله يقاضيني. أود أن أضيف: بدون نجاح".

قلت: "اعتقدت أن جوليان لم يخسر مطلقًا". لقد سمعت القصص.

"لم تكن لدى موكله دعوى، ولكن بالنسبة لجوليان لم يكن ذلك مهمًا في العادة. لقد كنت محظوظًا فقط لإقامة الدعوى في نهاية حياة جوليان الوظيفية القانونية - عندما لم يكن في ذروة مستواه بالضبط".

قلت: "دعني أخمن. تواصل معك مرة أخرى بعد عودته من جبال الهيمالايا".

قال جاو مينج، الذي كان يبطئ سرعته قبل الدخول إلى ساحة ركن قليلة الكثافة بطول جانب الشارع: "أنت لم تخطئ".

قال جاو مينج: "أرجو المعذرة. أنا أريد فقط التوقف عند المقهى هنا تمامًا. سأعود خلال دقيقة".

انتظرت عندما خرج جاو مينج من السيارة، وجرى على الرصيف، واختفى داخل مقهى صغير ذي إضاءة ساطعة. كانت الساعة في ذلك الحين الثامنة مساءً على الأقل، وبدا المكان مكتظًا. بإمكاني رؤية العشرات من الناس مجتمعين بالقرب من بعضهم البعض حول طاولات صغيرة، ممتدة للخلف داخل المحل الضيق.

وكما وعد، خرج جاو مينج بعد دقيقة فقط. وعندما دخل السيارة، بدا مسرورًا.

قال: واحدة أخرى من استثماراتي. تشانج وي من مسقط رأسي. بدأ هنا في شانجهاي بعربة صغيرة في رواق مركز التسوق. دفعت ثمن نصف العربة. والآن يعتبر مقهاه من أشهر المناطق في هذا الجزء من المدينة. إننا نتناقش حول افتتاح موقع ثانٍ".

قلت: "يبدو أنه يبلى بلاءً حسنًا جدًا".

"حسنًا، بالتأكيد في أوقات المساء يكون كذلك. وذلك عندما يخرج الناس لتناول القهوة هنا - في أوقات ما بعد الظهيرة وأوقات المساء. القهوة لم تصبح شيئًا صباحيًا في الصين بعد. ولكن تشانج وي يعمل على ذلك. إن لديه القليل من الزبائن الدائمين الصباحيين. وإنه يحاول الوصول إلى الفئة الأكبر سنًا. في الوقت الحالي، معظم زبائنه من صغار السن. ما زال بعض رجال الأعمال، باستثناء معظم الناس في سني، يعتبرون القهوة على أنها تقليعة غربية".

وجّه جاو مينج انتباهه إلى الطريق، بينما شاهدت المحل الصغير يختفي خلفنا في مرآة الرؤية الخلفية. إنه بدا مثل مشروع صغير جدًا بالنسبة لرجل كان يلعب على مستوى جاو مينج.

مضت عشرون دقيقة أخرى قبل أن نتعطف خروجًا من الشارع المزدحم إلى جراج ركن تحت الأرض. كان تغيير الاتجاه قد أزعجني. إننا كنا محاطين بمبانٍ سكنية شاهقة تفوق الوصف. لم أرَ من قبل أي شيء بدا مثل شقق فاخرة أو حي معزول حضري ثري.

دخل جاو مينج في ساحة ركن سيارات. كانت السيارات الموجودة على كلا جانبيه متواضعة. خرج جاو مينج وفتح الباب الخلفي لاستعادة المجلة ومخفظة أوراقه. اتبعته عندما توجه إلى مجموعة من المصاعد.

كانت شقة السيد جاو، مثلها مثل سيارته، على النقيض تمامًا من جميع الأشياء التي قد رأيتها في وقت سابق من اليوم. كانت أكبر بكثير من شقتي بالتأكيد، وكان الأثاث بالتأكيد فاخرًا وأنيقًا. كانت في الطابق الخمسين، لذلك

كان منظر أفق سماء شانجهاي ليلًا مثيرًا. ولكن كل شيء آخر متعلق بالمكان كان بسيطًا. كانت زوجته، لينج، وهي سيدة جميلة في منتصف عمرها، ترتدي بنطلون جينز ذا لون داكن وقميصًا أبيض -وهو أحد الأشياء التي قد ترتديها أنيشا- مع مجوهرات فيروزية براقة. لم تكن هناك أي ماسات تُثقل أصابعها أو تتدلى من أذنيها.

كانت ابنتهما، مي، بالخارج مع أصدقائها، لهذا لم يكن هناك سوانا نحن الثلاثة فقط لتناول العشاء. تناولت أنا والسيد جاو كأسًا من المشروب، بينما أحضرت السيدة جاو أشياء مختلفة إلى المنضدة.

سألتها، منتقلًا إلى غرفة الطعام: "هل يمكنني المساعدة؟".

قالت لينج: "لا، لا. شكرًا لك".

كانت المنضدة ممتلئة بأطباق مغطاة. كانت الرائحة رائعة.

سألت في دهشة: "هل طهيت كل ذلك بنفسك؟".

بدأ السيد جاو في التحدث بلهجة صينية شمالية إلى زوجته. كان مضيفي طليق اللسان جدًا في اللغة الإنجليزية لدرجة أنه لم يخطر لي أن لينج قد لا تكون كذلك أيضًا.

قال جاو مينج: "تحب زوجتي الطهي. إذا كانت لدينا حفلة كبيرة، فإننا نوظّف متعهدي حفلات، ولكن عندما لا يكون هناك سوى نحن الثلاثة، أو القليل من الأصدقاء لتناول وجبة عشاء، فإنها تفضل تحضير كل شيء. في بعض الأحيان تدعني أقدم مساعدة". ضحك السيد جاو، ورمقته السيدة جاو بنظرة استفهامية. أعاد تعليقه بلهجة صينية شمالية، وابتسمت.

أكلت أكثر بكثير مما كان ينبغي أن آكل. وعندما انتهت الوجبة، ساعدت أنا وجاو مينج في تنظيف المنضدة، ثم اقترح علينا أن نتناول الشاي في مكتبه.

قال، موجهًا لي في الطريق: "لديّ شيء أعطيك إياه".

انتقلنا إلى غرفة صغيرة بها أرفف كتب. كان هناك مكتب قائم قبالة

النافذة، والمقعد يواجه المدينة ذات الإضاءة الساطعة. ملأ كرسيان عميقان منجدان وطاولة قهوة مستديرة باقي المساحة.

جلست على أحد الكراسي بينما ذهب جاو مينج نحو المكتب. فتح درجًا جرارًا وسحب شيئًا ما. عندما استدار نحوي كان يحمل صندوقًا صغيرًا أحمر اللون مغطى بالحرير.

قال بفخر، واضعًا الصندوق بعناية في يدي: "تميمة جوليان".

رفعت الغطاء وأمعنت النظر بالداخل. كان الصندوق بداخله صدفة اسطوانية صغيرة - يبلغ طولها حوالي بوصتين وعرضها نصف بوصة. قلبتها خارج الصندوق في يدي. صدفة عادية بسيطة. إنها لم تبدُ كتميمة أو أي نوع من الثروات الخاصة في الحقيقة. كانت هناك قطعة ورق صغيرة محشورة في قاع الصندوق. أخرجتها وبسطتها.

كانت الملاحظة تنص على:

أبسط متع الحياة هي أعظم ابتهاجات الحياة

لا يكتشف معظم الناس أهم شيء في الحياة حتى يصلوا إلى سن متقدمة جدًا لفعل أي شيء حيال ذلك. إنهم يقضون العديد من أفضل سنواتهم سعيًا وراء أشياء ذات أهمية قليلة في النهاية. بينما يدعونا المجتمع لملء حياتنا بأشياء مادية، يعرف أفضل جزء منا أن المتع الجوهرية هي تلك التي تثرينا وتعززنا. مهما كانت سهولة أو صعوبة أحوالنا الحالية، فإننا جميعًا نمتلك ثروة من النعم البسيطة حولنا، في انتظار أن نحصيها. وبفعلنا ذلك، تنمو سعادتنا، ويتسع امتناننا، ويصبح كل يوم هبة أخّاذة.

رفعت نظري نحو جاو مينج. جميع مظاهر الثراء التي قد رأيتها هذه الظهيرة، ثم الشقة البسيطة، والسيارة المتواضعة.

قلت، رافعًا الصدفة: "أتخيل أن لديك المزيد لتقوله حيال ذلك".

"نعم، لديّ بعض الأفكار حيال هذه التميمة وملاحظة جوليان. ولكن أولًا، أعتقد أن لديك بعض الأسئلة تسألها لي".

رفعت رأسي. لم أكن متأكدًا مما كان يهدف إليه جاو مينج.

"لاحظت تعبيرك عندما رأيت سيارتي والشقة. وأعتقد أنك ربما تكون تتساءل عن ذلك المقهى أيضًا. إنك كنت فقط مهذبًا جدًا مما منعك عن السؤال. ولكن لا تلقِ بالًا لإزعاجي. اطرح أسئلتك".

إنني لم أكن بالتأكيد أخدع السيد جاو - إنه عرف بالفعل ما حيرني. ولكنه أرادني أن أعبر عنه بكلمات، لذلك كان عليّ المحاولة.

"إنه فقط اليخت، السيارة البينتلي، الطائرة الهليكوبتر. أقصد أنه يبدو أن نشاطك يبلي بلاءً حسنًا للغاية، ولكن..." كنت حينها في مأزق. لم أستطع التفكير في أي طريقة جيدة لصياغة ذلك. "إنني لا أحاول أن أكون وقحًا، ولكن سيارتك، شقتك. أعني أنهما جميلتان، جميلتان تمامًا، ولكن...".

قال جاو مينج مبتسمًا: "ولكنهما ليسا نوعَ السيارة والمنزل الخاص برجل ثري حقًا. أنت تتساءل فيما إذا كنت أحاول أن أخلق وهمًا بنجاح نشاطي. أنت تتساءل إن كنت أناضل ماليًا".

لم أقل أي شيء. كان هذا محرجًا.

"لا يا جوناثان. أنا لا أناضل. إن علامات الثراء التي رأيتها اليوم حقيقية جدًا. أنا رجل شديد الثراء. ولكن سيارتي، منزلي، يعود كل ذلك إلى قطعة الورق الصغيرة تلك التي تحملها". نظرت إلى الأسفل نحو ملاحظة جوليان.

سألته: "السيارة الفولفو هي متعة بسيطة؟".

ضحك جاو مينج. قال السيد جاو: "ربما لشخص آخر، ولكنني لا أهتم جدًا بالسيارات". تابع قائلًا: "لا، أنا أخمن أن الصلة تتطلب قليلًا من التوضيح. هل تعرف يا جوناثان أنني لم أولد غنيًا. لم تكن أسرتي حتى من

الطبقة المتوسطة. ليس وفقًا لمعايير أمريكا الشمالية، في حالتي. عمل كلٌ من والدي ووالدتي في مصنع ملابس في شينتانج. كانت الشقة الصغيرة التي عشنا فيها تجعل هذه الشقة تبدو كما لو كانت قصرًا".

يمكنني الشعور بتزايد احمرار وجهي. بدأت أدرك أنني قد طبقت على جاو مينج جميع أنواع الافتراضات واستخلصت استنتاجات استُنبطت خلال حياة الطبقة المتوسطة التي عشتها.

"أنا لا أحاول جعلك تشعر بالإحراج، يا جوناثان. أنا أحاول توضيح جميع التناقضات التي رأيتها اليوم بلطف".

أومأت برأسي.

"إن إخبارك بقصة طريقة رجوعي من مصانع شينتانج إلى هنا ستستغرق الليل بأكمله، لذلك فإنني سأقول لك فقط إنني نجحت في الخروج من هناك وبدأت عملًا تجاريًا صغيرًا هنا في شانجهاي. عملت بجد، وكنت محظوظًا، وفي النهاية بعت ذلك العمل التجاري مقابل ما كان يبدو قدرًا كبيرًا من المال بالنسبة لي. بهذا المال، بدأت الاستثمار في شركات أخرى، كبيرة وصغيرة. لم يكن هناك نقص في الفرص في هذه الدولة على مر العقود القليلة الماضية".

أوضح جاو مينج أنه عندما بدأ هذا العمل التجاري يحظى بشهرة، فعل ما افترضت أن أي رجل حديث العهد بالثراء قد يفعله. اشترى ملابس باهظة الثمن، وسيارات فاخرة، ويختًا. إنه أنفق ببذخ على تناول الطعام خارج المنزل، والعطلات، والهدايا.

"الشيء الوحيد الذي لم أفعله كان شراء شقة رائعة في الطابق العلوي أو منزل ضخم. لن تقبل زوجتي بذلك. حصلنا على هذا المكان قبل مولد ابنتنا. بالنسبة للينج، كان منزلًا. إنها لم ترغب مطلقًا في الانتقال".

تابع السيد جاو قائلًا إنه في يوم ما طلبت منه زوجته أن يأخذها هي وابنتهما في نزهة بعد الظهيرة في الحديقة. أخبرها أنه لم يكن لديه وقت؛ إنه كان ذاهبًا إلى وكالة بيع سيارات للتحقق من وجود سيارة رياضية كان

مهتمًا بشرائها. نظرت إليه لينج بخيبة أمل وسألته: "أنت تفضل التسوق على الحياة؟".

"لم تكن غاضبة، كانت حزينة فقط. كان بإمكاني سماع تردد كلماتها طوال فترة ما بعد الظهيرة. وظللت أسمعه لأيام، وأسابيع".

لم يشترِ جاو مينج السيارة الجديدة. فقد أدرك أنه لم يهتم مطلقًا بالسيارات. وأنه لم يهتم بامتلاك مكان عصري للعيش فيه. في الحقيقة، إنه لم يتمتع بمعظم الأشياء التي كان يقضي كمًا كبيرًا من وقته في الحصول عليها.

"كنت أشتريها فقط لأن هذا كان ما اعتقدت أنه ينبغي عليّ فعله. لذلك، توقفت عن التسوق. ولم تفُتني أشياء قيد أنملة. إن ما ندمت عليه كان تضييعي تلك النزهة".

قال جاو مينج إنه أبقى على السيارة البينتلي والطائرة الهليكوبتر لأغراض تجارية. حيث وفرت له الطائرة الهليكوبتر الكثير من الوقت - وقتًا يمكنه قضاءه مع أسرته. واليخت كان مكانًا جيدًا للاستضافة، حيث إن منزله كان صغيرًا جدًا على ذلك.

قال جاو مينج: "هذا هو منبع حكمة التميمة. أدركت أنه بالعيش بطريقة معينة، فإنني كنت أفوّت متعًا بسيطة، وهي أعظم متع الحياة".

قلت: "لا يمكن شراء السعادة بالمال، أليس كذلك؟" كانت تلك هي إحدى مقولات والدتي القديمة المبتذلة المفضلة لديها.

قال جاو مينج الآن، منحنيًا للأمام بإخلاص: "لا تسئ فهمي. لقد كنت فقيرًا، لذلك لا يمكنني أبدًا قول إن المال ليس مهمًا. أنت كنت تستمتع برفاهية شانجهاي اليوم. ولكن ما لم تتح لك الفرصة لرؤيته هو الفقر المقدّر الذي يوجد في هذه الدولة. الفقراء هنا -الفقراء في كل مكان- يمتلكون خيارات أقل. إنهم لا يستطيعون دومًا التمتع بالأشياء البسيطة بسبب أنهم يعملون باجتهاد كبير لتفادي الجوع والمعاناة. إنهم منهكون من العمل الصعب المتمثل

في إطعام أنفسهم وأسرهم وكسوتهم وإيوائهم. امتلك والداي كمًا قليلًا جدًا من الوقت للتلذذ - البسيط أو غير ذلك.

جلس جاو مينج ثانيةً. ثم انحنى للأمام لكي يعيد ملء كوب الشاي الخاص به. عرض عليّ أن أملأ كوبي، ولكنني هززت رأسي رافضًا.

قال جاو مينج ببطء: "أنت تعلم يا جوناثان، يبدو لي أن معظم المحظوظين منا الذين هم محظوظون بدرجة كافية للهروب من الفقر ينسون ماذا يعني امتلاك القليل من المال. إنه يحررنا لاتخاذ اختيارات تتعلق بحيواتنا المهنية، مكان معيشتنا، أشياء مثل ذلك. إنه يحررنا لقضاء وقت مع الأصدقاء والأسرة. إنه يتيح لنا الاستمتاع بالأشياء البسيطة. ولكن الناس يعتقدون أن المال يتعلق فقط بما يمكن شراؤه، وما يتم استهلاكه. لذلك فإنهم يلتهون باللعبة اللامعة التالية، مثلما فعلت تمامًا. وإذا بدءوا في شراء الكثير من الأشياء، إنفاق الكثير، فإنهم قد يقعون في الفخ. تقريبًا يقعون في الفخ أكثر من الفقراء حقًا. إنهم يصبحون مدانين للرهون العقارية وديون بطاقات الائتمان وقروضها. أو يقعون فقط في فخ ضرورة جني الكم الكبير من المال الذي يعتمد عليه نمط حياتهم. على أي حال، كما يقول جوليان على الدوام، كلما كنت مدمنًا بصورة أكبر على ضرورة ما تفعله، أصبحت مخلصًا بصورة أقل لما تريد أن تصبح عليه. ويتمثل ما اكتشفته في أن السعادة الحقيقية لا تنبع من تجميع أشياء. بل تنبع السعادة الأبدية من تعلم كيفية تذوق المتع المشتركة مثل نسيم بارد في يوم حار، أو سماء مليئة بالنجوم بعد يوم من العمل الشاق. أو الضحك مع الأحبة على وجبة مطبوخة في المنزل مدتها ثلاث ساعات".

قلت: "الصدفة" رافعًا إياها للخلف خارج الصندوق. "تجميع الصدفات على الشاطئ؟".

قال: "بالتأكيد. من أفضل الأوقات التي امتلكتها على الإطلاق بناء قلاع رملية مع زوجتي وابنتي على الشاطئ في مدينة تشينجداو. عملت الصدفة التي أعطاها جوليان لي على نحو حسن على تذكيري باللحظات المثالية في هذا اليوم المثالي. وتلك الذكريات هي نوع من أنواع الثروة".

ظلّ كل منا هادئًا لبرهة. كنت أفكر في شاطئ آخر، امرأة أخرى، طفل آخر. ولكن كان هناك شيء ما لا يزال يزعجني.

وأخيرًا، قلت: "ولكن يا سيد جاو، إذا كنت رجلًا ثريًا في الوقت الحالي، فلماذا لا تستقيل فقط؟ تقضي جميع وقتك على المتع البسيطة".

ضحك. وقال: "سؤال جيد. تطلب مني زوجتي ذلك طوال الوقت".

أخذ رشفة من الشاي ثم وضع كوبه ثانية على المنضدة أمامنا.

"العمل هو متعة أيضًا بالنسبة لي يا جوناثان. ولكنه أكثر من ذلك. هل تتذكر المقهى الذي توقفنا عنده؟".

أومأت برأسي.

"هذا ليس العمل التجاري الصغير الوحيد الذي استثمرت فيه. فلكل مشروع كبير أشرع فيه، أحاول إيجاد على الأقل عملين تجاريين صغيرين لدعمه. أبحث عن أناس يعتقدون أن بإمكانهم تغيير حيواتهم الخاصة بالإضافة إلى حيوات الآخرين. أعمال تجارية صغيرة في قرى الدولة ومدنها المزدحمة؛ مشاريع أسرية وطلاب الجامعات الفرديون؛ رواد أعمال لديهم أفكار وإقدام. وأتابع هذه الأعمال التجارية الصغيرة مثل التجار الذين يتابعون تقلبات السوق. الرجال والنساء الذين أعطيهم مالًا لتحويل دولاراتي إلى حيوات جديدة - يوسعون نطاق مساعدتي إلى حد أبعد مما سأستطيع فعله بنفسي. كما أنهم يساعدونني في بناء عالم أفضل في هذا الصدد. لقد أصبح إحداث فرق أكثر أهمية بالنسبة لي الآن من جني مال. جعل هذا الإدراك حياتي شديدة البهجة يا جوناثان".

قلت: "هذا مذهل". جعلتني قصة السيد جاو أشعر بالتواضع.

هز جاو رأسه. ثم نظر عبر النافذة، نحو أضواء شانجهاي البراقة المنبسطة أمامنا. لم أنبس ببنت شفة. كان يبدو أنه يفكر في شيء ما.

وفي النهاية بدأ جاو مينج مرة أخرى.

قال: "بعد مرور عدد قليل من الشهور على إصابة جوليان بالأزمة القلبية، كتب لي خطابًا. يجب أن أخبرك أنني لم أكن متأكدًا أنني أرغب في فتحه. كنت أخشى أن تكون دعوى قضائية أخرى. ولكنها لم تكن كذلك. إنها كانت ملاحظة مكتوبة بخط اليد. قال جوليان إنه استقال من ممارسة مهنته، وباع كل ممتلكاته. إنه سافر. إنه تعلم أشياء. وقال إنه كان سعيدًا جدًا لخسارته الدعوى المقامة ضدي. إنه قال إنني كنت رجلاً يود التعرف عليه بشكل أفضل".

كان جاو مينج يبتسم عند تذكر هذه الذكرى. تابع قائلًا: "لن أنسى أبدًا أسطر الخاتمة في ذلك الخطاب". كتب جوليان: "السعادة الأبدية تنبع من حجم تأثيرنا، وليس قدر دخلنا. الإنجاز الحقيقي هو نتاج القيمة التي نوجدها والإسهام الذي نتركه، وليست السيارة التي نقودها أو المنزل الذي نشتريه. وقد تعلمت أن قيمة الذات أهم من صافي قيمة الأصول. ولكنني أعتقد أنك تعرف ذلك بالفعل".

وافقته قائلًا: "وأنت كنت تعرفه".

قال السيد جاو: "وأنا كنت أعرفه".

في وقت لاحق من تلك الليلة، بعد عودتي إلى الفندق الذي كنت أقيم فيه، وقفت عند نوافذ غرفة المعيشة وحملقت في الأفق الممتد بعرض النهر. كان المشهد رائعًا خلال الصباح، ولكن بعد غروب الشمس أخذ الأفق مظهر إحدى مدن الملاهي المستقبلية الوهمية أو عرضًا تفصيليًا لنحت تجريدي - أجسام كروية، أعمدة، أبراج، اسطوانات ملونة بشكل مذهل تلمع وتتلألأ مثل الكريستال الموصل بالكهرباء. وحتى القيادة رجوعًا إلى الفندق الذي كنت أقيم فيه من مكان تواجد جاو مينج كانت مذهلة. كان أفق المدينة مكتظًا بضوء بلون الجواهر. لم أرَ مطلقًا أي شيء مثل ذلك.

ولكنني فكرت فيما قد قاله السيد جاو لي في ذلك المساء. جميع هذا البريق مضلل. كنت أود لو قضيت كمًا أكبر من الوقت هنا لاستكشاف المدينة، ولكن المشاعر التي قد أثارها مكتب جاو مينج، وسيارته البينتلي، وطائرته الهليكوبتر، والممثل، وحتى الجناح في هذا الفندق كانت تتعلق بالمتعة أكثر من تعلقها بالسعادة الحقيقية. ربما كان هذا هو الفرق الرئيسي الذي كان جاو مينج يحاول إيجاده. كيف يمكنني توقع أن تجعلني أنواع الثراء هذه سعيدًا في حين ما كنت أجد أنه من المستحيل التمتع حتى بالأفراح البسيطة في حياتي؟ كان يبدو لي أن كلًا من جوليان وجاو مينج قد اكتشفا شيئًا ما لن يمتلكه معظم الناس شديدي الثراء: شعور بأن لديهم ما فيه الكفاية.

كانت الحقيقة، في هذا الحين، وهنا وحيدًا في غرفتي بالفندق، على بعد آلاف الأميال من المنزل، هي أنه إذا كان باستطاعتي الحصول على أي شيء واحد، فإنه لن يكون يختًا أو سيارة فاخرة أو قصرًا مترامي الأطراف. إنه سيكون إجابة.

حلمت في تلك الليلة بطرق كيب بريتون المنحنية التي قد قدت فيها في وقت سابق من هذا الأسبوع. إنها جعلتني أفكر في جوان، جعلتني أفكر في لحظاته الأخيرة. إنه عاش خارج المدينة، كان يقود إلى المنزل في المساء، طوال ساعة الذروة. إنها كانت ليلة ربيعية، كانت الطرق جافة. إنه كان في رقعة من الطريق السريع امتدت بين مناطق غابات بالقرب من منزله. إنه كان طريقًا يقود فيه كل يوم، ومع ذلك فإنه اصطدم بحاجز صلب وسقط بصورة عمودية في وادٍ. قال المحقق الطبي إنه قد عانى من إصابات خطيرة متعددة، ولكن سبب الوفاة كان أزمة قلبية حادة. قالت إميلي، زوجته، إن ضغط العمل قد أفضى إلى وفاته. ليس عندي شك في هذا. عندما اعتلى سيارته في تلك الليلة، كان جوان يبدو كشبح رمادي للرجل الذي كنت

أعرفه. السنوات القليلة الأخيرة في العمل -الضغط، العزلة، هجر الأصدقاء والزملاء له- هي ما دمره. ولكن كان هناك سؤال واحد لم يكن أحد يطرحه. سؤال واحد تردد على ذهني. سؤال واحد أردت بشدة أن يُجاب عنه. ولكنه كان لغزًا قد لا أجد أبدًا حلًا له.



الفصل العاشر

لا شيء يمكن أن يكون أكثر تناقضًا مع أفق مدينة شانجهاي الفاتن والمفعم بالنشاط من المساحات الهادئة الترابية التي امتدت حولي أثناء سفري على الطريق السريع الذي يربط بين فينكس وسيدونا، بولاية أريزونا. بعد قضائي الجزء الأكبر من اليوم طائرًا في الهواء، وصلت إلى فينكس في أوائل فترة ما بعد الظهيرة، واستقللت سيارة مستأجرة وأخذت وجهتي. بغض النظر عن حقيقة أنني كنت أنتقل جيئة وذهابًا بين مناطق زمنية مثل طيار جوي، فإنني شعرت بشعور جيد جدًا. لم أعتقد أن اختلاف التوقيت كان شيئًا من المفترض أن تعتاد عليه، ولكنني الآن أبدو قادرًا على أن أغفو عندما أحتاج ذلك وأستيقظ مع شروق الشمس أينما كنت.

في إحدى الضواحي الموجودة في الناحية الشمالية من فينكس، ركنت السيارة في مطعم كان جزءًا من تلك السلاسل الموجودة في كل مكان التي تقدم

الكم على حساب الجودة. كنت جائعًا، وسيكون ذلك سريعًا وسهلًا. عندما دخلت، لاحظت وجود عرض لمنشورات سياحية على حائط المدخل. سحبت القليل منها من الرف قبل التوجه نحو مكتب المضيفة.

وجهتني المضيفة نحو طاولة، وظهر شاب، لا يزيد عمره على سبع عشرة سنة على ما أعتقد، إلى جانبي. طلبت سندوتش حفلات (سندوتش يحتوي على لحوم وطماطم وخس) وبعض العصير، ثم اختفى النادل مرة أخرى. ألقيت نظرة على الكومة الصغيرة من المنشورات التي ألقيتها على الطاولة. جذب أحدها على وجه الخصوص نظري. كانت تدور حول "جولات الدوامة" التي يمكنك القيام بها في سيدونا وحولها. وفقًا للمنشور، يُعتقد أن منطقة سيدونا هي مكان وجود أربع دوامات طاقة على الأقل - وهي أماكن في الريف تتقاطع فيها خطوط طاقة الأرض غير المرئية لإحداث تمركز للقوة من شأنه أن يحوز على خصائص علاجية استثنائية. كان يبدو أن الصناعات المنزلية الصغيرة ترتبط تمامًا بهذه الدوامات؛ حيث سرد أحد المنشورات العشرات من متخصصي التدليك، وقارئي تارون، ومعيدي توازن المجال المغناطيسي الشخصي، وحتى معالجي انتكاسات الحياة الماضية. قلت في نفسي يا إلهي. كانت لدي تحديات بما فيه الكفاية في *هذه الحياة* دون الدخول في حياة أخرى.

تساءلت عن السبب الذي جعل جوليان يرسل لي التميمة بهذه الطريقة. هل للتميمة علاقة من نوع ما بالبلورات أو الهالات أو حقول الطاقة؟

بمجرد إنهاء السندوتش، قدم لي النادل الشاب القائم على خدمتي بجانبي قهوة وحلوى. رفضت ذلك، ولكن لا يمكنني التوقف عن التفكير في مدى تذكير هذا الشاب لي بلويس. إنه قد لا يقضي بقية أيامه في تقديم الخدمة على الطاولات، ولكنني كان لديّ شعور بأنه أيًا كانت وظيفته في النهاية، فإنه سيقوم بها بحماس ونجاح.

دفعت فاتورتي، وغادرت المطعم، وعبرت ساحة ركن السيارات متجهًا نحو السيارة المستأجرة. كان الوقت قد حان للتوجه لمقابلة روني بيجاي.

وفقًا لتعليمات جوليان، فإنها تقطن على بعد مائة ميل تقريبًا شمال فينكس.

بعد مرور دقائق قليلة في الطريق السريع، أنزلت زجاج النوافذ. كان هواء الصحراء الجاف على بشرتي يعطيني شعورًا جيدًا - كان تغييرًا مرحبًا به من رطوبة شانجهاي. سمعت صوت جرس هاتفي ولكنني لم أرد عليه. كان عليّ الانتباه للطريق.

تضاءل عدد الرسائل القادمة من المكتب بصورة مطردة. لم أتوقع حقًا أن تصلني أي أخبار عن تيسا، ولكن ناوانج كانت صامتة، أيضًا. بالأمس، أقرت بهذا الغياب باعتذار: *متأسفة لعدم إبقائك على اطلاع بالمستجدات في جميع الأشياء، ولكن الأمور كانت جنونية هنا. على مدار الأيام القليلة الماضية، توارى لوك، وكاثرين، وسفين في غرفة الاجتماعات مع مجموعة من الرجال والنساء الذين لا أعرفهم. تتردد إشاعة بأنه سيكون هناك إعلان بنهاية اليوم، وربما غدًا. لا شك أن هناك عملية دمج في طور التنفيذ، ولكن الجميع يحاولون اكتشاف ما إذا كانوا يشتروننا أم نحن نشتريهم. ديفيد مذعور. يبدو مقتنعًا إلى حد ما بأنه سيتسلم أوراق صرفه من الخدمة في كلتا الحالتين.*

حاولت ألا أشعر بالسعادة حيال ذلك. لن تُعجب أيامي برد فعلي الخبيث.

كتبت ناوانج: *لا أعلم ما أفكر فيه حيال وظيفتي أو وظيفتك.*

أدركت أن عدم اليقين لم يقلقني إطلاقًا.

إن إعادة التنظيم الحتمية في العمل لن تمثل تهديدًا لي. إنها ستمثل فرصة. إذا حصلت على تسريح من العمل، فإنني سأستغل الحرية للتواصل مع شركات قد تكون قادرة على تقديم منصب يلائمني بشكل أفضل. وإذا أرادت الشركة المعاد تشكيلها الإبقاء عليّ، فإنني سأبحث إن كانت هناك أماكن أخرى في الشركة لي. منذ وفاة جوان، كانت هناك وظيفة شاغرة في قسم التصميم. ربما سأبحث في ذلك الأمر. في كلتا الحالتين، يمكنني

استغلال العمل التجاري المتغير لصالحي. شعرت بالحماس تجاه احتمالية التغيير.

كان هذا شيئًا جديدًا: النظر إلى التغيير دون خوف؛ أو ربما ليس دون خوف تمامًا، ولكن بتقبل للخوف الذي لطالما كان يأتي مع اضطراب هائل في حياتي. ربما كنت أصبح أكثر شبهًا بأختي، كيرا.

بينما أنني كنت دومًا أختار الدرب الآمن والواضح، كانت كيرا تشرع بحماس في طريقها الخاص مرة تلو الأخرى. بعد المدرسة الثانوية، عملت لمدة نصف عام، ثم التحقت ببرنامج تبادل شباب، حيث كانت تقوم بعمل تطوعي في عدد من دور الأيتام. وبعد الكلية، سافرت حول العالم، حيث زارت وجهات رائعة -من ماليزيا، وبالي، ونيوزيلندا حتى السويد، وإستونيا، وروسيا- عاملة هنا وهناك لدعم نفسها. أثناء إحدى رحلاتها، زارت جمعية تعاونية للسيدات في جواتيمالا. كانت معجبة بالأشياء التي صنعتها السيدات -وسائد ومفارش مطرزة ومزينة بشكل متقن- وبمثابرة السيدات أنفسهن وأملهن وشجاعتهن. عندما رجعت إلى المنزل، أعلنت كيرا أنها كانت تخطط لإيجاد سوق لمنتجات السيدات ومساعدتهن على بيع سلعهن. وبعد القليل فقط من السنوات، كانت تدير نشاط استيراد في إطار التجارة العادلة كان يحقق نجاحًا هائلًا، وكان لديها واجهات محلات في نصف دستة من مدن أمريكا الشمالية الكبرى. وعندما أنجبت توأمها، قررت كيرا بيع نشاطها التجاري لأحد شركائها. إنها ستقضي القليل من السنوات في منزلها وتخطط لمشروعها المهني التالي. عندما أعربت عن دهشتي من أنها استطاعت التخلي عن المشروع الذي قد عملت باجتهاد كبير من أجله، ضحكت فقط. وقالت: "أنا لن أعيش نفس اليوم مرارًا وتكرارًا، وأطلق على هذا حياة".

كانت تعليمات القيادة الخاصة بجوليان بسيطة بما فيه الكفاية. خرجت عن الطريق السريع، متوجهًا إلى طريق صغير بعد ما يقرب من ساعة ونصف من انطلاقي. التف الطريق حتى وصلت إلى القليل من المنازل المتناثرة على كلا الجانبين. معظمها كانت منازل متنقلة مزينة بشرفات ومظلات وإضافات أخرى ليست من سمات المنازل المتنقلة. وكان يتخللها القليل من المنازل ذات الطابق الواحد الصغيرة ومنخفضة الارتفاع. وكان عدد منها منفصلًا عن الباقي بشباك سلكية. وأحاطت رقاع صغيرة من الحشائش ذات اللون البني بالمنازل ولكن الصحراء طالت حافة طبقة العشب التي تنمو بصعوبة وامتدت للخلف مسافة أميال. وفي النهاية، وقع نظري على رقم الشارع مكتوبًا على صندوق بريد موجود أمام منزل أنيق ذي لون بني. ركنت السيارة في ممر السيارات الخاص المرصوف بالحصى، بجانب شاحنة نصف نقل رمادية اللون مركونة أمام جراج صغير. عندما ترجلت عن السيارة متوجهًا نحو حر الظهيرة، لاحظت أن الفناء الأمامي مزين بمختلف القطع الصغيرة من البلاستيك المشكل ذي الألوان الزاهية – لعب أطفال. لا شك أن صوت الحصى المدهوس أيقظ روني، التي كانت قد دفعت الباب الأمامي في الوقت الذي كنت أخطو فيه نحوه.

قالت: "جوناثان!" كما لو كنا أصدقاء لم نلتقِ منذ فترة طويلة.

كانت روني على الأرجح في الستين من عمرها تقريبًا – كان شعرها، الذي كان به بعض الخصلات الغامقة، معظمه ذا لون رمادي فضي. وكان وجهها ذو اللون البرونزي مجعدًا، ولكنه ليس منهكًا على الإطلاق. وعندما ضحكت، بدا تقريبًا وكأن التجاعيد المحيطة بعينيها وفمها تتراقص.

قادتني نحو غرفة المعيشة، محذرة إياي بأن أنتبه إلى خطواتي بين اللعب والألعاب التي كانت مبعثرة في كل مكان على الأرض.

ضحكت، قائلة: "هل يمكنك تصديق أنني نظفت هذه مرة بالفعل في هذا الصباح؟".

قلت: "لدي طفل في السادسة من عمره. أنا أعرف كيف تسير الأمور".

انتقلت روني إلى المطبخ وأطلت من النافذة. تعقبت نظرتها. في الفناء الخلفي، كان هناك نصف دستة من الأطفال ذوي أحجام مختلفة يلعبون إحدى الألعاب بكرة مطاطية كبيرة. أخبرتني روني أنهم أحفادها وأحفاد إخوتها.

كان الأحفاد يزورونها في فترة ما بعد الظهيرة، فيما كان أحفاد إخوتها مقيمين دائمين.

قالت روني بصورة مباشرة: "لطالما دخلت ابنة أخي في محن وخرجت منها منذ أمد بعيد. والدها ليس في الصورة؛ ووالدتها ليست على ما يرام ولم تكن مطلقًا قادرة على مد يد المساعدة. وقبل ذلك ببضع سنوات، تأزمت الأمور. بدا الأمر وكأن أطفالها سيُسلبون منها".

كانت روني حينها تفتح نافذة المطبخ، منادية.

"يا روز، تأكدي من أن سامي أخذ دورًا، حسنًا؟".

ثم استدارت نحوي ثانية.

"كنت أنا وجوزي الوحيدين في الأسرة اللذين لديهما الغرفة والموارد اللازمة لاستيعاب الأطفال". وضعت روني يدها على صدرها، كما لو كانت تعيد قلبها في مكانه.

قالت بابتسامة: "أفضل قرار أخذته في حياتي".

ذهبت روني إلى الثلاجة وأخرجت إبريقًا كبيرًا.

سألتني: "شاي مثلج؟" وعندما أومأت، ملأت كوبين كانا موضوعين على المنضدة وأعطت كوبًا لي. تركت الكوب الآخر على المنضدة وتحركت في اتجاه الباب الخلفي.

قالت: "أنا متأسفة، ولكنني وعدت الأطفال بتناول وجبة خفيفة، ومن الأفضل أن أقدمها قبل أن أفسد شهيتهم للعشاء". خرجت روني من الباب. راقبتها من خلال الشاشة عندما توجهت داخل الجراج. رجعت بعد دقائق قليلة ومعها بطيخة ضخمة. عندما شاهدها الأطفال، اتبعوها نحو المطبخ، مطلقين هتافات وصيحات. هتفوا قائلين: "بطيخ، بطيخ، بطيخ"، كما لو كانوا يطلبون إعادة أغنية في حفلة موسيقى روك.

قالت روني لي: "بداية الموسم. أنا أعلم أن بإمكانك الحصول عليها في الوقت الحالي من محل البقالة في أي وقت من السنة، ولكنني لا أشتريها أبدًا حتى يسود الطقس الحار بالفعل. إن مذاقها يكون أفضل بكثير في الحرارة".

إنها أخبرت الأطفال أن يذهبوا للخارج إلى استراحة الحديقة، وأنها ستحضر لهم وجبتهم الخفيفة عندما تنتهي من تحضيرها. خرج الأطفال من الباب.

وضعت روني البطيخة على لوح تقطيع خشبي كبير موجود على منضدة المطبخ، وأخذت سكينًا ضخمًا من أحد الأدراج وغرسته بعمق في منتصف البطيخة. أسفرت عن ضربة مباشرة. سحبت روني السكين للأسفل داخل الثمرة الرطبة، وقطعتها إلى نصفين ثم إلى نصفين آخرين. وبعد ذلك بدأت تقطع كل ربع إلى شرائح كما لو كانت تقطع رغيف خبز كثيف اللباب إلى قطع. وعندما انتهت من تقطيع الربع الأول، التقطت شريحة من المنتصف وقدمتها لي.

لا يمكنني تذكر آخر مرة تناولت فيها بطيخًا، ولكن عندما غرست أسناني في لب البطيخة البارد والحلو شعرت بفيض من الذاكرة يجتاحني. فناء خلفي آخر، منذ عدد كبير جدًا من العقود. والدتي، وشعرها مربوط للخلف في وشاح زاهي الألوان، وصينية مقدمة بين ذراعيها الممدودين.

كان هذا هو نوع الأشياء الذي كان جاو مينج يتحدث عنه. هنا، في منزل روني، كانت أول بطيخة في الموسم لا تزال حدثًا، سببًا يدعو للاحتفال.

بعد أن أخذت روني طبقًا ضخمًا للخارج، ثم ذهبت مرة ثانية لتجميع القشور ومسح القليل من الأوجه، رجعت وأخذت رشفة طويلة من الشاي المثلج الخاص بها.

قالت: "آمل ألا تمانع، ولكن ينبغي عليّ الآن البدء في تحضير العشاء".

جلست في مطبخ روني مكيف الهواء أثناء شروعها في تحضير وجبة الأسرة. وقالت إنه ربما ستبقي ابنتها روز مع الأطفال. سيرجع زوج روني،

جوزي، إلى المنزل قريبًا. قالت إنه قد يجلب أخته معه. فقد كانا يعملان سويًا.

قالت روني: "لا يخلو منزلي أبدًا. قد يكون ذلك مرهقًا، ولكنني أحبه على هذا النحو".

ذهبت إلى الثلاجة وسحبت كيسًا كبيرًا من الفلفل الأحمر. وعندما غسلته، نظرت إلى الوراء عبر كتفيها نحوي.

"ولكن لديَّ شيء ما أعطيه لك، وسيكون من اللطيف أن نجد مكانًا هادئًا للتحدث. اعتقدت أنه بعد العشاء يمكننا القيادة متوجهين نحو الصخور الحمراء لكي نتمكن من رؤية غروب الشمس. لا يمكنك قطع كل هذا الطريق قدومًا إلى هنا دون رؤيته".

بعد عدة ساعات، كنت أنا وروني جالسين على حافة جلمود ضخم، محدقين في أعمدة الحجارة الرملية الحمراء التي ترتفع بشموخ على الصحراء. وعندما انخفضت الشمس، بدأت الصخور تتخذ مظهر شعلتها المتلاشية: إنها كانت تتوهج بلون برتقالي زاهٍ مثل الجمر. ذكرني المشهد قليلًا بمعبد الساحر في شمس الصباح.

قلت: "أشعر بأنني رأيت هذا من قبل".

قالت روني: "الأفلام. الغرب".

نعم، اعتقدت أن الأمر كان كذلك. ولكني كنت أشعر بشيء خاص هنا نوعًا ما. كما لو كان لي ارتباط شخصي أكبر بالمكان. تساءلت إذا كان هذا له أي علاقة بما قد رأيته في المنشورات.

قلت لروني: "لقد كنت أقرأ قليلًا عن تلك الدوامات". نكصت فزعًا.

قالت: "إننا نطلق عليها 'زوبعات' هنا".

سألتها: "زوبعات. حسنًا. هل نحن بالقرب منها؟ هل هناك أي منها في الجوار؟".

"هناك واحدة على بعد ميلين من هذا الطريق" لوحت روني بيدها ناحية اليمين، ولكنها لم تمدني بأي تفاصيل أخرى.

قلت لها: "يبدو أنكِ لا تهتمين كثيرًا بتلك الأمور".

ابتسمت روني وحفرت في الأرض المدكوكة بإصبع حذائها.

قالت ببطء: "حسنًا، لم يعتبر السكان الأصليون في هذه الأجزاء تلك البقاع مطلقًا على أنها مقدسة على وجه الخصوص - أو على الأقل أنهم لا يعتقدون أنها أكثر قدسية من باقي الأرض".

انحنت روني لكي تمسح التراب من على حذائها. "ولكن هذا لا يعني أن هذا المكان ليس ذا خصوصية. لطالما كان لأبناء شعبي علاقة بالأرض، وأنا أؤمن بالقوة الشفائية للأرض. لكونك كيانًا واحدًا مع الطبيعة".

قلت: "ولكن...". كان هناك بشكل واضح "استثناء" في طريقها.

قالت روني: "ولكن". كانت تحدق للخلف في الصخور الآن. كان الضوء يخفت قليلًا. كانت الصخور تتوهج بهدوء. "أنا أؤمن في الحقيقة بأن معظم القدرة الشفائية القوية تكمن في أي مكان يتواجد فيه الناس. إنها لا تنحصر في مكان أو وقت أو ظرف من الظروف".

مرت سحلية رمادية صغيرة مسرعة على الأرض أمامنا. راقبتها تختفي خلف بعض الأجمة.

سألت روني، قائلة: "هل قال جوليان لك من قبل كيف تقابلنا؟".

قلت: "لا، ولكني أراهن على أن هناك قصة".

وكان هناك فعلًا. أخبرتني روني أنها قد قابلت جوليان منذ العديد من السنوات، عندما كان محاميًا متألقًا. اعترفت قائلة: "حسنًا، إنني لم أعرف ماذا فعل حينها. إنه أخبرني لاحقًا".

كان جوليان يقود على الطريق السريع في وقت متأخر بعد الظهيرة، في طريقه لرؤية تلك الصخور التي كنت أنا وروني نحدق فيها حينها. كان

في رحلة جولف في فينكس، وكان قد استأجر سيارة رياضية أنيقة لإقامته. كان هو وصديقة جميلة من أصدقائه قد انطلقا ومعهما رغيف خبز وبعض الجبن وترمس ضخم من المارتيني. إنهما كانا يخططان للقيام بنزهة بجانب الصخور عند غروب الشمس. ولكن قبل أن يصلا حتى إلى مدينة سيدونا، تعطلت سيارتهما. رأت روني السيارة الرياضية الصفراء اللامعة مركونة على جانب الطريق، ويتصاعد البخار من أسفل غطاء محركها. ركنت سيارتها على جانب الطريق وعرضت على جوليان ورفيقته توصيلهما. قادت روني سيارتها مقلّة إياهما في طريقها رجوعًا إلى مكانهما، حيث اتصلا بشركة التأجير. إنها كانت سترسل ونش سيارات وتحاول إيصال سيارة أخرى إلى منزلها.

قالت روني: "لا أمانع أن أخبرك أن هذه كانت فترة ما بعد ظهيرة طويلة".

"كان منزلي ممتلئًا كالعادة - أطفالي المراهقون، وأبناء إخوتي، وبنات إخوتي. كان المنزل يعج بالضجيج. كان جوزي يعزف على جيتاره؛ وكان الأطفال يضحكون ويصيحون - يقفزون على منصة البهلوان التي كانت لدينا في الخلف".

تحدث جوليان وصديقته قليلًا مع روني وزوجها، ولكنهما كانا منزعجين بشكل واضح بسبب أن خططهما قد تحولت تمامًا. وبإمكان روني التصريح بأن ازدحام المنزل كان يزيد من عصبيتهما.

"لم تستطع السيدة الشابة، التي لا أستطيع تذكر اسمها، التوقف عن الضرب بقدمها. وظل جوليان يختلس جرعات من الترمس بينما كان ينظر من النافذة الأمامية كل ثانيتين. وحيث إن كليهما لم يريدا التحدث في الحقيقة، تابعت أنا وجوزي والأطفال يومنا فقط".

عندما ظهرت السيارة المستأجرة الجديدة بعد عدة ساعات، اضطرت روني أن تصر على أن تقودها صديقة جوليان رجوعًا إلى المدينة حيث إن جوليان لم يكن في حالة جيدة.

قالت روني: "وكان هذا آخر ما دار بيني وبين كليهما لفترة طويلة جدًا".

ثم، بعد عدة سنوات، تلقت اتصالاً من جوليان. إنه اضطر إلى تذكيرها بنفسه. إنه فاجأها بسؤاله إياها إذا كان باستطاعته القدوم لزيارتها. قال إنه أراد رؤية الصخور الحمراء في النهاية. وفي المقام الأول، مع ذلك، أراد التحدث مع روني.

قالت روني: "عندما جاء إلى هنا، حسنًا، سأخبرك، لم أكن سأتعرف عليه. لقد بدا أصغر سنًا، بطريقة أو بأخرى. بل وأكثر طولاً، كذلك، إذا كان ذلك ممكنًا. كما بدا هادئًا. شديد الهدوء والسعادة. هذا لم يكن الرجل الذي تذكرته".

أخبر جوليان روني بأنه قد رجع لتوه من جبال الهيمالايا، حيث كان قد قضى وقتًا مع مجموعة من الرهبان. غيّرت الدروس التي تشاركوها مسار حياته للأفضل. ولكن ما تعلمه جعله أيضًا ينظر للناس برؤية مختلفة. وتوصّل إلى إدراك أن العديد من الناس الذين قطع سبلًا معهم على مدار السنوات كان لديهم الكثير ليعلموه إياه، الكثير ليشاركوه إياه.

كان جوليان وروني قد ذهبا لرؤية الصخور الحمراء في وقت غروب الشمس، مثلما قد فعلت أنا وهي. يمشى كلاهما لفترة من الزمن، حيث كانت الصخور تتوهج في الأفق. بدا الهدوء والسكينة في تناقض تام مع ضوضاء أسرة منزل روني وحيويتهم. بالنسبة لها، جعل هذا التناقض كلا المكانين يبدو أكثر تميزًا فقط.

عندما ألقيا نظرة أخيرة على الصخور وانحدرت الشمس عن السماء، التفت جوليان نحو روني.

قال: "أنتِ، أنا أعتقد أنكِ تعرفين سر الحياة. إذا سألتكِ، فما الغرض منها إجمالاً، ماذا ستقولين؟".

توقفت روني عن سرد قصتها لبرهة. نظرت إليها نظرة تفحصية.

سألت في دهشة: "هل تعرفين سر الحياة؟".

قالت روني، وهي تهز رأسها: "كان من الغريب جدًا أن يسألني جوليان هذا السؤال. هل تعرف أن والدتي كانت تنتمي إلى قبيلة هوبي، وكان والدي أحد أفراد النافاجو. يتشارك أبناء شعبهما في العديد من المعتقدات، ولكن هناك اختلافات. لقد تربيت على تلك المعتقدات الأصلية التقليدية. ولكن زوجي كاثوليكي. لدينا أصدقاء من ديانات مختلفة. لقد حاولت تعلم القليل عن جميع الديانات. في فترة شبابي، قضيت الكثير من الوقت في الدراسة، والتحدث إلى أناس".

كانت السماء تظلم حينها؛ أظلمت الصخور التي لاحت في الأفق وأصبح لونها أحمر غامقًا. نظرت روني للخارج في الأفق، ولكنها بدت مستغرقة في التفكير. انتظرتها لكي تبدأ الحديث ثانية.

"قضيت الكثير من الوقت بحثًا عن أجوبة. ولكنني في النهاية قررت أنه بينما كان هناك العديد من الحقائق، فإن جميعها ينحصر في شيء واحد بسيط".

نظرت إلى روني بترقب. أدركت أنني كنت أحبس أنفاسي.

"الغرض من الحياة، يا جوناثان، هو الحب. إنه بهذه البساطة".

بقيت هادئًا لبرهة، مفسحًا المجال لإدراك ذلك.

سألتها: "إذا لم تكوني محبوبة، فلن يضير أي شيء آخر؟".

قالت روني: "ليس تمامًا. الغرض من الحياة هو أن تحب. الحب فعل. ويجب أن يكون في قلب كونك. إنه ينبغي أن يكون الدافع وراء كل شيء تفعله. أنا لا أعتقد أن بإمكانك أن تحيا حقًا إذا لم تحب".

هذا ما قد أخبرته روني لجوليان. أجاب جوليان بأن الرهبان اتفقوا معها.

أخبرها جوليان، قائلًا: "في الحقيقة، إنهم قالوا لي كلامًا يشبه ذلك كثيرًا، ولكنني قطعت كل هذا الطريق إلى جبال الهيمالايا لكي أسمع تلك الرسالة، في حين أنه كان بإمكاني سماعها منكِ منذ جميع تلك السنوات".

أخبرت روني جوليان، قائلة: "أنت لم تكن على استعداد للسماع. كان

بإمكاني أن أقول ذلك بألف طريقة، وأنت لم تكن ستسمع ذلك".

انتهت روني من سرد قصتها. إنها كانت تبحث في جيبها في ذلك الحين، ساحبة كيسًا منسوجًا صغيرًا.

قالت، مسلمة إياه لي: "التميمة".

فتحت الربطة المضفرة الصغيرة وقمت بإمالة محتويات الكيس في يدي. كانت التميمة عبارة عن قلب فضي صغير. إنه بدا يدوي الصنع، حيث كانت حوافه المصقولة دائرية وناعمة. قلبت القلب بين أصابعي. لقد كنت أحمل الكيس الصغير مقلوبًا رأسًا على عقب، والآن سقطت قصاصة ورقية صغيرة لم أكن أراها من الكيس. انحنت روني والتقطتها.

سلمتها لي.

غاية الحياة هي أن تحب

ينحصر مدى جودة حياتك على كم الحب الذي تحبه. القلب أكثر حكمة من الرأس. احترمه. ثق به. اتبعه.

تمشيت أنا وروني عائدين إلى المكان الذي كنا قد ركنا السيارة فيه. كان الهواء منعشًا الآن، وهبت رياح صحراوية ذكية بنعومة. اعتلينا شاحنة روني دون التفوه بكلمة وبدأنا التحرك على الطريق، كان صوت الإطارات يتردد حولنا.

كنت أنا وروني صامتين طوال طريقنا عائدين إلى منزلها. بدا أنها أدركت أنني احتجت بعض الوقت للتفكير. كنت أدرك أنني ركزت معظم أفكاري حول "حياتي الأصيلة" على وظيفتي. إنني كنت في الوظيفة الخاطئة. كان ذلك واضحًا تقريبًا منذ بداية الرحلة. ولكن أيامي، وماري، والآن روني قد ساعدوني على ملاحظة أنني قد خنت نفسي في حياتي الشخصية أيضًا. إنني لم أكن صادقًا مع نفسي في صداقاتي، أو مع أسرتي، أو في حياة الحب الخاصة بي. إذا كنت نوع الأصدقاء الذين أضعهم موضع تقدير، لكنت لم أدر ظهري

لجوان. إذا كنت ركزت على أن أكون الأب الذي أردت أن أكونه، لكنت لم أبخل في قضاء وقت مع آدم. وإذا كنت صادقًا مع قلبي، لكنتَ لم أفكر في تيسا لبرهة. أنا لم أحب تيسا. ولكنني أحببت أنيشا. بشدة.

مكثت في منزل روني تلك الليلة. وقبل أن أدخل في السرير، أرسلت ثلاث رسائل. واحدة إلى أنيشا وآدم. وواحدة إلى أنيشا بمفردها. وواحدة أخيرة إلى تيسا، كان نصها: آسف.

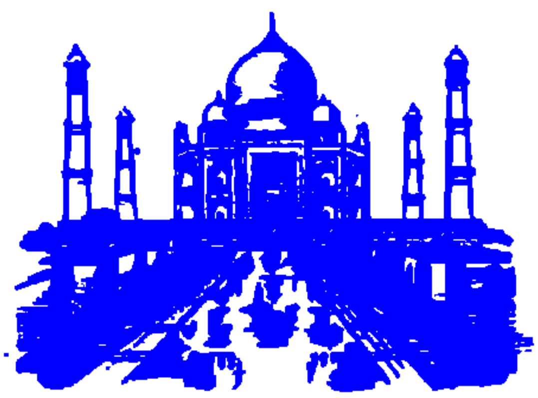
استيقظت في صباح اليوم التالي، فور مرور أشعة الشمس عبر ستائر غرفة النوم. كان المنزل هادئًا، لذلك ارتديت ملابسي، وسحبت دفتر يومياتي، ومشيت على أطراف أصابعي في الصالة، خروجًا من الباب نحو الفناء الخلفي. مثلهما مثل جيرانهما، زرعت روني وزوجها حدًا خارجيًا من الحشيش حول الفناء. ولكنه ذبل في الحرارة، وكان ملمس الأوراق العريضة الجافة خشنًا تحت قدمي الحافيتين. جلست على طاولة الحديقة وحدقت في الصحراء التي امتدت لأميال أمامي. يمكنني رؤية نبات الميرمية والجلاميد منتشرة على الأرض الجافة الوعرة؛ وهنا وهناك كانت توجد شجرة عرعر أو أجمة عشب مكسوة بالغبار.

كانت هناك رحلة طويلة أخيرة لأقوم بها. أرسل لي جوليان رسالة يقول فيها إنني سأغادر مطار فينكس في وقت لاحق من هذا الصباح وأتوجه إلى دلهي، بالهند. الهند. تساءلت إذا ما كان سيرسلني لزيارة رهبان سيفانا بنفسي، ولكنه رد عليّ: لا، يا جوناثان، أنت قضيت وقتًا طويلًا بما فيه الكفاية في الطريق. يومان إضافيان فقط وبعدها ستكون في المنزل.

فتحت دفتر ملاحظاتي وبدأت في الكتابة. كانت هذه الرحلة لجمع بعض القطع الأثرية ذات المغزى الروحي من أجل ابن عمي. لم ينتهِ ذلك الجزء منها، كنت أعلم ذلك. لديّ واحدة إضافية لجمعها. ولكن بالنسبة لي، كانت

الرحلة الشخصية التي أدركت أنني شرعت فيها قد انتهت. عرفت ما عليّ فعله. لكي أكون صادقًا مع نفسي، عليّ أن أواجه مخاوفي وأن أطلب نقلي ثانيةً إلى المعمل أو إيجاد وظيفة أخرى. سيتعين عليّ أن أعود إلى المكان الذي أستطيع بذل أقصى ما لديّ فيه، عمل "مستوى العبقرية" الخاص بي. ولكن هذا كان جانبًا صغيرًا واحدًا فقط من التغيير الذي احتجت إلى إحداثه. كان عليّ إعادة بناء عالمي مع أنيشا، وإيجاد طريقة للتعويض عن إهمالي السابق، وتجديد علاقتنا. كان عليّ تكريس نفسي لأن أصبح أفضل أب يمكنني أن أكونه بالنسبة لآدم، وكان عليّ التوقف عن سلب متع قضاء وقت مع ابني من نفسي. في الحقيقة، كان عليّ التوقف عن سلب السعادة والتأثيرات الإيجابية لجميع الأشخاص الأعزاء بالنسبة لي -والدتي، أختي، أصدقائي القدامى، أصدقائي الجدد- من نفسي. كان خطاب التميمة الخاص بأيامي على صواب جدًا - الطريقة التي كنت أعامل بها الآخرين كانت هي الطريقة التي كنت أعامل بها نفسي. بتجاهلهم، أدرت ظهري لسعادتي الخاصة. إنني لم أكن لطيفًا مع أي شخص. سيتعين عليّ اختيار تأثيراتي بصورة أفضل في المستقبل. سيتعين عليّ الاحتفال بجميع المتع البسيطة المتاحة لي. لن يحدث أي من ذلك بين عشية وضحاها. ولكنني سأعمل على ذلك كل يوم، سأعيش كل يوم كما لو كان هو حياتي بأكملها في صورة مصغرة. تحسنات يومية ضئيلة. لا أعذار.

شعرت كما لو كانت لديّ جميع الأدوات التي احتجتها للانتقال إلى المستقبل. وفرت خطابات التميمة تلك الأدوات لي. تساءلت: ما الذي قد يكون باقيًا؟ ما الحكمة الأخرى التي قد تفصح عنها تلك التميمة الأخيرة؟



الفصل الحادي عشر

كنت أقف خارج أروع مبنى رأيته في حياتي: تاج محل. كنا في وقت غروب الشمس، وكان الزوار والسيّاح يخلون المكان. بدا ذلك وقتًا غريبًا لمقابلة شخص ما هنا، ولكن لم يكن أي شيء في هذه الرحلة متوقعًا.

قبل أن أغادر مطار فينكس، كان جوليان قد أرسل لي رسالة تحتوي على تعليمات مفصّلة. إنني سأمكث حتى صباح اليوم التالي في دلهي، وأسجّل دخولي لأحد الفنادق. في اليوم التالي، سوف أستقل طائرة متوجهًا إلى أجرا، حيث سأقابل الحارس الأخير خارج تاج محل الساعة السابعة والنصف مساءً.

كانت فكرة التجول حول دلهي وأجرا بمفردي، خلال هذه المهلة القصيرة، من شأنها أن تثير أعصابي منذ عدد قليل من الأسابيع فقط. ولكنني ذهبت إلى

عدد كبير جدًا من الأماكن، وواجهت عددًا كبيرًا جدًا من الأشياء المختلفة مؤخرًا، مما جعلني أشعر بثقة جديدة في مواجهة التحديات التي تواجهني. والآن، كانت جميع أفكار الماضي والمستقبل تتلاشى عند وقوفي على ساحة تاج محل ناظرًا للأعلى نحو الضريح.

كنت قد أتيت إلى هنا مبكرًا قليلًا، معتقدًا أن بإمكاني الدخول وإلقاء نظرة على المكان بمفردي قبل إغلاق تاج محل في هذا اليوم. ولكن بمجرد وصولي، أدركت مدى حماقتي لاعتقادي أن بإمكاني رؤية أي شيء مذهل على نحو لائق في هذه الفترة القصيرة من الوقت. لم يكن جوليان قد أخبرني بعد بوقت مغادرتي أجرا. كنت آمل أن يكون هناك وقت للرجوع لاستكشاف هذه التحفة المعمارية الفاتنة بصورة أكثر كمالًا. وفي هذه الأثناء، تجولت حول الجزء الخارجي من المعلم الأثري، رافعًا رأسي للخلف وفاغرًا فمي.

كنت ببساطة مبهورًا بحجم المكان. لم ينجح أي شيء في جميع الصور التي قد رأيتها في نقل ضخامة المبنى، القبة المتعرجة، التناسق الأنيق، المساحات الشاسعة. الآن يمكنني إدراك السبب وراء تحديد جوليان هذه المقابلة في المساء. جعلت الشمس التي تغرب لون هذه الجدران الرخامية والمبنية بالحجر الرملي المضيئة يتغير ويتراقص. عندما اقتربت، كان بإمكاني رؤية أن الأسطح الخارجية مغطاة بنقوش حجرية متداخلة وخطوط دقيقة امتدت بطول مائة قدم نحو السماء. زخرفت أحجار وجواهر كريمة الحجر المزكرش: كان بوسعي رؤية قطع صغيرة من الفيروز، واللازورد، والزمرد، والمرجان الأحمر. ظللت أمشي للأمام وللخلف أمام المبنى، فأقترب منه لكي أفحص التفاصيل الرائعة عن قرب، ثم أبتعد عنه لكي ألقي نظرة على عظمته الأخاذة.

ظللت أمشي جيئة وذهابًا أمام تاج محل، مستغرقًا في التفكير في هذا المكان، ناسيًا تمامًا السبب وراء وجودي هناك، عندما جذب وميض قرمزي نظري. استدرت حولي. كان موجودًا أمامي شخص طويل. على الرغم من أن

الشخص كان مبتعدًا بوجهه عني، فقد كان باستطاعتي القول بأنه كان رجلًا. كان يقف بلا حراك، وكان الرداء الذي زيّن قامته النحيفة يرفرف قليلًا في النسيم. ثم استدار. ورمقني بابتسامة. كان جوليان.

اندفعت قائلًا: "ماذا؟" لم يكن أي من هذا منطقيًا. ما الذي كان يفعله جوليان هنا؟ لماذا لم يخبرني أنه كان قادمًا للهند؟ وإذا كان هنا ليأخذ التمائم بنفسه، فلماذا جعلني أقطع كل هذه المسافة في رحلة طيران؟

قال جوليان وهو يطرف بعينه: "أنا هنا لكي آخذ تلك التمائم من يدك".

كان فكي يتحرك، محاولًا تكوين كلمات للرد على جميع الأسئلة التي كانت تدور في رأسي.

قال جوليان: "أنا أعلم. هذا الطريق طويل بالنسبة لك لتقطعه في حين أنني هنا بالفعل. ولكنني في طريقي إلى جبال الهيمالايا منذ فترة. كان هذا فعلًا أفضل مكان لنتقابل فيه".

أومأت برأسي، وما زلت في تشوش من الصدمة والحيرة.

قال جوليان، مشيرًا إلى الطرق الطويلة المصفوفة بالزهور والأشجار التي اصطفت على حمام السباحة المنعكس: "دعنا نتوجه إلى هناك". "اعثر على مكان للجلوس فيه، ربما... في هواء المساء".

تركنا مداخل تاج محل المقنطرة وتوجهنا نحو الدرجات الحجرية. الماء في حمام السباحة يصبح أغمق، والشمس تنخفض في الأفق، والسماء كظل خفيف للون الأزرق النيلي.

أثناء سيرنا، وضع جوليان يده في جيب ردائه.

سألني: "هل تود رؤية التميمة الأخيرة؟".

قلت: "هل تحملها معك؟".

أومأ جوليان برأسه، ثم أخرج كيسًا بنيًا صغيرًا. مددت يدي، وأفرغ محتويات الكيس في راحة يدي. كنت أحمل نسخة رخامية صغيرة من تاج محل. لم تكن هناك مخطوطة أو ملحوظة من أي نوع. حنيت رأسي.

قال جوليان: "دعني أوضح ما يعنيه هذا". قال: "تتعلق هذه التميمة الأخيرة بكاملها بالإرث". يقول الرهبان إن أفضل طريقة لتقييم عظمة شخص ما هي النظر إلى قوة تأثير هذا الشخص على الجيل التالي له. لذا فإننا إذا كنا مهتمين حقًا بالارتقاء إلى مصاف البشر المميزين، بدلًا من السؤال ما مصلحتي من ذلك؟ يجب علينا أن نسأل: 'ما النفع الذي سيعود على العالم من ذلك؟' ولهذا يعد تاج محل أفضل رمز للإرث".

نظرت إلى الخلف نحو المبنى الأثيري. كان يتلألأ باللون الوردي، يشع كما لو كان هو نفسه نجمة متلألئة.

قلت: "نعم، يمكنني أن أفهم ذلك. لقد ألهم المبنى وأثر في الكثير من الحالمين من العديد من الأماكن لمئات الأعوام. لا يمكنني أن أصدق تمامًا أنه عمل رجل واحد. وإنه قد بني خلال حياة واحدة".

"ما من شك في ذلك" قال جوليان. "هذا عمل فني أو عمل معماري رائع. قليل هم من يتركون وراءهم شيئًا ما بهذا الجمال والأهمية. ولكن عندما أفكر في إرث مشيد تاج محل، فليس الفن المعماري هو ما أفكر فيه حقًا".

نظرت إلى جوليان، غير متأكد مما يحاول قوله.

"دعني أخبرك بقصة تاج محل" قال جوليان.

شاه جهان كان إمبراطور إمبراطورية المغول في أوائل العقد ١٦٠٠، وضح جوليان. كانت زوجته امرأة يدعوها ممتاز محل، أو جوهرة القصر. لقد عشقها، وعشقته. بصورة مأساوية، توفت ممتاز محل بينما تلد طفلها الرابع عشر. وفقًا للأسطورة، آخر كلمات ممتاز لزوجها عبرت عن حبهما الأبدي.

كان شاه جهان محطمًا لموتها. بعد عام من الحداد في عزلة، ورفض المتع الدنيوية، قرر جهان أن يمضي حياته في تكريم محبوبته من خلال تشييد قبر لها يكون جنة على الأرض. وفي كل عام، ما بين اثنين إلى أربعة ملايين شخص يأتون ليروا ما شيده شاه جهان لحبه لزوجته.

"لن يترك العديد منا شيئًا للعالم على نفس مستوى تاج محل" قال جوليان. "ولكن حتى الإسهامات الأكثر تواضعًا لا تزال تعد إسهامات قيمة".

بدأ جوليان في البحث عن شيء ما في جيب ردائه. سحب قطعة صغيرة من ورق البارشمان وأعطاها لي. كانت تقول:

ادعم شيئًا أكبر من ذاتك

ليس هناك أشخاص زائدون عن الحاجة على قيد الحياة اليوم. فكل فرد منا موجود هنا لسبب، لغرض خاص؛ لتأدية رسالة. نعم، ابنِ حياة جميلة لك ولأولئك الذين تحبهم. نعم، كن سعيدًا واحظَ بالكثير من المرح. ونعم، فلتصبح ناجحًا، وفقًا لشروطك الخاصة بدلًا من تلك الشروط التي يقترحها المجتمع عليك. ولكن فوق كل ذلك، كن ذا مغزى. اجعل حياتك ذات أهمية، كن نافعًا. وكن في خدمة أكبر عدد ممكن من الناس. فهذه هي الطريقة التي يمكن لكل واحد منا من خلالها أن ينتقل من عالم المألوف إلى أعلى درجات غير المألوف. ويسير بين أفضل من عاشوا على الإطلاق.

"لقد شكل فارقًا عظيمًا أن ممتاز محل قد عاشت" قال جوليان بهدوء. "حتى إن أثرها كان أكبر من زوجها. فلقد كان حبها هو ما أدى إلى كل ذلك". امتدت يدا جوليان أمامه.

أكمل جوليان: "في بعض الأحيان، جوناثان... إسهاماتنا تكون مرئية بوضوح للعالم؛ مثل تقدم في العلوم، عمل فني، صنع شركة ناجحة، بناء منزل أو مدينة. ولكن في بعض الأحيان تكون إسهاماتنا ملموسة بشكل أقل، خاضعة للقياس بقدر أقل. ما يهم هو أننا نساهم بالفعل. أن نشكل فارقًا. أن نترك وراءنا إرثًا".

يمكنني أن أرى الآن أنني كنت مخطئًا في سيدونا. لقد كان هناك جزء من الحكمة المفقودة في هذه المجموعة من التمائم. *الإرث*. لم يكن الأمر حول صنع أموال أو تلقي استحسان. لقد كان، كما بدا، عن الأثر والتأثير، عن جعل العالم مكانًا أفضل. لقد فهم السيد جاو ذلك. وفهمت أختي، كيرا، ذلك. فهم أبي وأمي ذلك. وبجلوسي هنا أمام النصب التذكاري الملهم للحب؛ علمت أنه أمر سأفكر فيه لأيام وسنوات آتية. ماذا سيكون إرثي؟ ما الفارق الذي سأصنعه؟

"الآن" قال جوليان بعد بضع لحظات من الصمت. "هل التمائم بحوزتك؟".

قلت: "أوه... لقد كدت أنسى".

لم يكن ذلك صحيحًا تمامًا. الحقيقة كانت أنني وجدت نفسي كارهًا لمفارقتهم على غير المتوقع.

أثناء رفعي لقميصي وحلي للجراب الجلدي ببطء من حلقة حزامي، ابتسم جوليان.

"لقد أصبحت متعلقًا بهم قليلا" قال جوليان بلطف. "لقد اكتشفت قوتها".

"حسنًا، لا أعرف" قلت.

"أعتقد أنه لا بد أنك قد فعلت. كيف تشعر؟" سأل جوليان.

"جيد" قلت. "جيد بشكل مثير للدهشة".

"لا تعانِ من اضطراب الرحلات الجوية الطويلة؟ إعياء؟ تشعر بالكثير من الطاقة؟".

"نعم" قلت ببطء. "هل تعتقد...؟".

"حكمة تلك التمائم، إذا تقبلتها، إذا ألزمت نفسك بها، في إمكانها تغيير حياتك. كما قلت لك مسبقًا، يمكنها أن تكون وسيلة لإنقاذ حياة".

"بخصوص ذلك" قلت، متذكرًا صوت أمي الباكي منذ عدة أسابيع. "من في خطر؟ حياة من تلك التي تحاول إنقاذها بهذه الأشياء؟".

نظر جوليان إلي بحاجبين مرفوعين ولكنه لم يقل شيئًا. كانت هناك لحظة من الصمت عندما اجتاحتني الحقيقة.

"أوه، لا أصدقك!" قلت ووجهي يزداد سخونة. "أنا لست في خطر. حياتي لا تحتاج إلى إنقاذ".

لم يقل جوليان شيئًا. ولكنه واصل النظر إليّ كما لو كان في انتظار شيء ما. كانت التمائم لا تزال في يدي.

"إنني رجل ذو صحة جيدة، ولدي طفل رائع، وحسنًا، ربما زواج يحتاج إلى القليل من العمل ولكن...".

"جوناثان، أنت تعلم كما أعلم تمامًا أن حياتك كانت تواجه صعوبات. كان بإمكان والدتك رؤية ذلك، ولقد كانت مريضة بالقلق. لقد فقدت والدك، وكانت تشعر أنها تفقدك أيضًا. كان في إمكانها أن ترى أنك لن تتمكن أبدًا من إيجاد السعادة والرضا التي كانت لديها هي ووالدك إذا واصلت بالطريقة التي كنت تسير عليها. لقد كنت تعمل في وظيفة تكرهها، لقد أهدرت زواجك، وكنت تفوت مرحلة الطفولة في حياة ابنك".

"إذًا، كل ذلك الحديث عن التمائم كان هراء؟ وليس هناك علاج سحري؟".

"السحر الحقيقي كان يكمن في تلك الرسائل، جوناثان، في تلك الرسائل وفي دفتر يومياتك. وفرت التمائم وسيلة لجعلك تولي اهتمامًا. الرحلة كانت وسيلة لمنحك وقتًا لتستوعب الدروس التي شاركتها الرسائل، وأصدقائي، معك.

"جوناثان، لقد كنت مستعدًا للعمل بجد، لمواجهة مخاوفك، للإقدام على المخاطر، لإنقاذ حياة شخص آخر. ولكن عندما بدأت ذلك، لم تكن مستعدًا للقيام بتلك الأشياء لإنقاذ حياتك. أعتقد، على الرغم من ذلك، أنك الآن أصبحت مستعدًا لذلك".

"ولكن، ماذا عن كل أولئك الحراس؟" سألت. "هل يعلمون أنه ليس هناك سحر كامن في تلك الأشياء؛ حتى إذا كانوا لديك جميعًا في مكان واحد؟".

ابتسم جوليان. "لقد كان ذلك هو الأمر الوحيد الذي كنت غير صادق معك بشأنه، يا جوناثان".

لقد جمعت تلك التمائم بعد أن تحدثت مع والدتك منذ بضعة أشهر ماضية، ثم أرسلتها بالبريد إلى أصدقائي. لقد فهموا ما كان يجري، وكانوا سعداء لتقديم المساعدة. كل شخص من أولئك الأشخاص حكيم بطريقته الخاصة؛ بالنسبة لي، هم يجسدون المعرفة التي كانت في كلٍّ من تلك الرسائل. لقد تعلمت الكثير من كل واحد منهم، ورغبت أن تقابلهم وتتعلم منهم أيضًا. وتلك كانت الطريقة الوحيدة التي أمكنني التفكير فيها للقيام بذلك. وإلا لم تكن لتذهب مطلقًا".

لقد استمتعت بمقابلة أولئك الأصدقاء لجوليان، وعلي أن أعترف أنني كنت أحب أن أمضي المزيد من الوقت مع كل واحد منهم. جعلني هذا أفكر في الأشخاص الذين لم أستطع تمضية المزيد من الوقت معهم؛ أبي وجون.

أشار جوليان إلى مقعد حجري صغير أمامنا. وعندما جلسنا، وضع يديه برفق حول كتفي.

"أعتقد أن العديد من الأشياء أصبحت واضحة لك الآن، ولكن لا يزال هناك شيء يزعجك"، قال برفق.

لقد كنت أفكر مليًا في كل هذا متأملًا لوقت طويل، ولم أكن أعرف من أين أبدأ القصة. لذا بدأت من البداية. أخبرت جوليان كل شيء عن العمل مع جوان في العمل، وعن قراري للمغادرة. شرحت كيف كان سفين وديفيد يحاولان إرغام جوان على الاستقالة، وكيف أنني لم أدافع عنه، بل ولم أمده حتى بالصداقة والتعاطف. ثم أخبرته عن تحطم سيارة جوان.

"حادثة" قالها كأنما يقرر ذلك، ولكن كان هناك تلميح لسؤال في صوته.

عندما لم أقل أي شيء، أكمل: "ولكنك متشكك".

"نعم" قلت أخيرًا. "أصيب جوان بأزمة قلبية. هذا مؤكد. ولكن متى أصيب بها؟ قبل أم بعد أن اصطدم بحاجز الأمان".

نظر إليّ جوليان بحزن، كما لو أنه علم أن قصتي لم تصل إلى نهايتها.

حولت بصري إلى الأحجار أمامي؛ القبة الكبيرة الموجودة على بعد.

أكملت: "قبل يومين من وفاته، سرت أمام مكتب جوان. كان خارجًا من الباب. كان ينظر إلى قدميه، من الواضح أنه كان شاردًا بأفكاره. كاد أن يصطدم بي. عندما رآني، لم يتغير تعبيره. تحدث وكأنما لم يكن يخاطبني حقًا، كان فقط يكمل أفكاره الخاصة بصوت عالٍ.

"ليس هناك أي جدوى من الاستمرار"، كان ما قاله جوان.

اعتقدت وقتها أنه يتحدث عن الاستقالة. وبقدر ما هو مخزٍ الاعتراف بذلك، فلقد شعرت بالارتياح. فعلى الأقل لن أرى وجهه المكروب كل يوم. على الأقل كان بإمكاني أن أدعي أن كل شيء سينتهي جيدًا. لم أقل أي شيء لجون، وأكمل طريقه أمامي، خلال الردهة، ورأسه منخفض وخطواته متثاقلة. ولكن بعد ذلك كان تأثير كلمات جوان علي كالحمض الذي يتآكلني. هل تنبأت تلك الكلمات بالاصطدام المميت؟ هل كان جوان يقرر إنهاء حياته، لا وظيفته؟ وإذا كنت منعته، تحدثت معه، قدمت مساعدتي أو تعاطفي، فهل كان من الممكن أن يكون على قيد الحياة اليوم؟".

صمتنا أنا وجوليان لفترة. كان هناك بضعة أشخاص فقط على مرأى منا. خواء المكان بدا سرياليًا بعد الشوارع المفعمة بالضجيج والمزدحمة بدلهي وأجرا.

شبك جوليان يديه، ومدد ساقيه أمامه. ظهر جزء من حذائه الخفيف البني الجلدي من تحت ردائه القرمزي.

"جوناثان" بدأ حديثه. "أحب قول أن ما نحتاج جميعًا للقيام به هو أن ننظر إلى حياتنا بعد خمس سنوات، ونتنبأ ما هي الأشياء الموجودة في حياتنا الحالية التي ستكون أكثر ما نندم عليه. ثم علينا أن نقوم اليوم بما يمنع تلك الأشياء التي سنندم عليها من التحقق".

اقترب جوليان ووضع يديه على يدي.

"أعتقد أنك خلال تلك الرحلة، قد بدأت على الأرجح في القيام بذلك. أعتقد أن مستقبلك سيبدو مختلفًا للغاية عما كان سيئول إليه إذا لم تمر بتلك الرحلة. ولكن هذا هو ما يخص المستقبل. ما تتحدث عنه الآن هو ماض. تعلم جيدًا كما أعلم أنه لن يكون هناك أحد قادر على إجابة تلك الأسئلة التي تطرحها، ويجب عليك أن تكون شجاعًا بالقدر الكافي لتتقبل ذلك.

تنهدت بعمق. كنت آمل أن تكون إجابة جوليان مختلفة، لكنني علمت أنها لن تكون كذلك.

"لا يمكنك المضي قدمًا بينما أنت تنظر إلى الخلف، يا جوناثان"، قال جوليان بحزم. "وليس هناك ما يمكنك فعله لتغيير الماضي".

"ولكنني أشعر كما لو أنه يجب علي أن أقوم بشيء للتعويض عن ذلك، لأظهر كم أنا آسف" قلت.

"هناك أمران يمكنك القيام بهما" قال جوليان. رفعت بصري إليه شاعرًا لأول مرة بالأمل تجاه ذلك.

"أمران يتعين عليك القيام بهما" أكمل جوليان. "الأول، هو أن تحرص على ألا تهمل صديقًا أبدًا بهذا الشكل ثانية؛ ألا تكون شاهدًا صامتًا لقسوة وسوء سلوك الآخرين".

أومأت. لقد كنت قد اتخذت هذا القرار مع نفسي بالفعل منذ عدة أشهر مضت.

"والثاني" أكمل جوليان، "يجب عليك أن تسامح نفسك". كان جوليان ينظر إليّ بتركيز.

"هل تتذكر تميمة طائر الكركي، يا جوناثان؟".

"نعم" قلت وأنا أفكر بولع في أيامي.

"هل تتذكر ما قالته هذه الرسالة عن أهمية معاملة الآخرين بلطف، ومعاملة نفسك بالطريقة نفسها؟ من المهم أن تسامح الآخرين. ولكنه أمر جوهري أن تسامح نفسك".

مررت يدي على ساقي. علمت أن جوليان كان على صواب. ربما يكون أصعب شيء على الإطلاق يجب علي أن أقوم به، ولكن علي أن أتوقف عن الانغماس في الندم. كان عليّ أن أكف عن التفكير في ذلك. وأمضي قدمًا.

"وبمناسبة الحديث عن الغفران" قال جوليان. كان يقف منتصبًا. "هناك شخص آخر يود رؤيتك".

كانت الشمس الآن قد اختفت تمامًا، تاركة وراءها وهجًا باهتًا عبر الأفق. كان القمر ساطعًا في السماء، معلقًا كعملة ذهبية على كتلة داكنة من السحب المخملية. نظرت حولي. كان الضوء يلمع على المياه في البركة العاكسة، ولكن الحديقة كانت مظلمة وخاوية. ثم لاحظت هيئة صغيرة عند حافة الطريق الحجري، تتجه نحوي. نظرت نحو جوليان، ولكنه كان قد ذهب. عندما التفت، كشف ضوء القمر غن بنية امرأة؛ دقيقة، وضئيلة، لها شعر طويل داكن يختفي وراء كتفيها. كانت قريبة بدرجة كافية الآن مكنتني من رؤية الابتسامة تملأ وجهها. أنيشا! قفز قلبي ووقفت بسرعة.

ثم، عندما اقتربت منها، رأيت شيئًا آخر. البنية الصغيرة لابني ظهرت مباشرة خلف أمه. وضع آدم رأسه للأسفل وكان يرفع ذراعيه لأعلى وأسفل بينما يسرع أمام أنيشا. انخفضت على ركبتي وذراعاي مفتوحتان لأتلقاه. كل ما أمكنني قوله هو اسمه قبل أن يختنق صوتي بالدموع.

مكثت أنا وأنيشا وآدم لثلاثة أيام في أجرا قبل أن نتوجه عائدين إلى المنزل. كان شعوري تجاه الوقت الذي أمضيناه معًا في الهند وكأنه أهم شيء قمت به على الإطلاق.

أخبرني جوليان أن أحتفظ بالتمائم، والرسائل. قال: "ربما يومًا ما. قد ترغب في إعطاء التمائم لآدم، وتعلمه كل شيء تعلمته منها". جعلتني الفكرة أبتسم.

عندما عدت إلى العمل بعد غيابي الطويل، كانت عودة إلى بحر من الوجوه الجديدة، ولمكتب بدون ديفيد أو سفين أيضًا. أمضيت وقتًا طويلًا أتحدث إلى مدراء مختلفين وللمدير التنفيذي الجديد. العديد من الناس، فيما بينهم عملائي، حاولوا إقناعي بالبقاء في قسم المبيعات. ولكنني علمت أين سأقوم بأفضل عمل لي. في النهاية وافقوا، وبعد عدة شهور من العمل كمدير تقني مؤقت، أعطوني الوظيفة بصفة دائمة.

بالطبع قبل أن يتجلى كل ذلك، تخلصت من الشقة وعدت إلى العيش مع أنيشا وآدم. بدأ آدم على الفور في حملة لجعلي مدربًا مساعدًا لفريق لكرة القدم. بدا مندهشًا إزاء مدى سرعة موافقتي. وبدأت أنا وأنيشا في العمل المتمهل، الحريص لإعادة بناء زواجنا.

أحد الأشياء الأولى التي قمنا بها هو تدشين تقليد جديد؛ مرة في الشهر في يوم الأحد نتناول العشاء مع أمي، وأختي وعائلتها، ووالدي أنيشا. وبدأنا في التخطيط لإجازتنا القادمة.

"إلى أين سنذهب؟" سألت أنيشا، بينما جلست تنظر إلى بعض كتب السفر التي أعارتها لنا والدتي. "من الذي يجب علينا أن نراه؟".

"دعينا نبدأ من البداية" اقترحت، وأنا أفكر بولع في حياتي الجديدة وأصدقائي الجدد. "دعينا نبدأ باسطنبول".

رسائل التمائم

قوة الأصالة

أهم هدية يمكن أن نمنحها لأنفسنا هي التزامنا بأن نحيا حياة أصيلة. وعلى الرغم من ذلك، فأن نكون صادقين تجاه أنفسنا ليست بالمهمة السهلة. يجب علينا أن نتحرر من إغواءات المجتمع، ونحيا الحياة بشروطنا، وفقًا لقيمنا الخاصة، التي تتماشى مع أحلامنا الأصلية. ينبغي علينا أن نستفيد من أنفسنا الخفية؛ من خلال استكشافنا لآمالنا، ورغباتنا، ونقاط قوتنا وضعفنا المتأصلة وغير المرئية والتي تجعلنا ما نحن عليه. يجب علينا أن نفهم أين كنا وأن نعرف إلى أين نحن ذاهبين. كل قرار نتخذه، كل خطوة نخطوها، يجب أن تكون مبنية على تعهدنا بأن نحيا حياة حقيقية وصادقة، وأصيلة تجاه أنفسنا، وأنفسنا فقط. وبينما نقوم بذلك، علينا أن نكون متأكدين من أننا سنختبر حظًا جيدًا يفوق تخيلاتنا.

احتضن مخاوفك

ما يعوقنا في الحياة هو البنية غير المرئية للخوف. إنها تبقينا في مناطق الراحة الخاصة بنا، والتي هي، في الحقيقة، أقل الأماكن التي نحيا بها أمنًا. فحقًا، أعظم مخاطر الحياة هي ألا نقدم على أي مجازفات. ولكن في كل مرة نقوم فيها بما نخاف منه، فإننا نستعيد القوة التي سلبها منا الخوف؛ حيث إنه على الجانب الآخر من مخاوفنا تحيا مواطن قوتنا. في كل مرة نخوض فيها في مشقة من النمو والتقدم، نصبح أكثر تحررًا. كلما خضنا مخاوف أكثر، استعدنا قوة أكبر. بهذه الطريقة، نصبح جسورين وذوي قوة، وهكذا فإننا نتمكن من عيش حياة أحلامنا.

عش بلطف ولين

من المهم أن نتذكر أنه فقط مثلما كلماتنا هي أفكارنا المصاغة في كلمات، فكذلك أفعالنا هي معتقداتنا تترجم إلى واقع. ليس هناك فعل غير مهم، مهما كان صغيرًا؛ كيف نعامل شخصًا ما يحدد كيف نعامل الجميع، بما في ذلك أنفسنا. إذا كنا نسيء الظن في الآخرين، فإننا قليلو الثقة بأنفسنا. إذا كنا قساة تجاه شخص آخر، فإننا سنصبح قساة تجاه أنفسنا. إذا لم يكن بإمكاننا أن نقدر أولئك الذين من حولنا، فإننا لن نقدر أنفسنا. مع كل شخص نتعامل معه، في كل شيء نقوم به، يجب علينا أن نكون ألطف مما هو متوقع، أكثر كرمًا مما هو مرتقب، إيجابيين أكثر مما اعتقدنا أنه ممكن. كل لحظة أمام إنسان آخر هي فرصة للتعبير عن أسمى قيمنا ولكي نؤثر في شخص آخر بإنسانيتنا. يمكننا أن نجعل العالم أفضل، من خلال تأثيرنا في شخص واحد كل مرة.

اصنع تقدمًا يوميًا بسيطًا

الطريقة التي نؤدي بها الأشياء الصغيرة تحدد الطريقة التي نؤدي بها كل شيء. إذا نفذنا مهامنا الصغيرة بطريقة جيدة، فإننا سنبرع أيضًا في جهودنا الأكبر. الإتقان إذن يصبح طريقتنا في الوجود. ولكن هناك ما هو أكثر من ذلك؛ فكل مجهود صغير يضيف لما بعده، وهكذا من خلال وضع طوبة وراء طوبة؛ أشياء رائعة يمكن أن توجد، وثقة كبيرة يمكن أن تنمو، وأحلام استثنائية يمكن أن تتحقق. الحكيم حقًا هو من يدرك أن التقدم اليومي الصغير دائمًا ما يقود إلى نتائج استثنائية بمرور الوقت.

لكي تحظى بأفضل حياة لك، ابذل قصارى ما لديك في العمل

ليس هناك عمل تافه أبدًا. فجميع الأعمال تُعد فرصة لإظهار مهارة شخصية، وإنشاء فننا، وإدراك العبقرية التي خُلقنا لنمتلكها. يجب علينا العمل مثلما

كان يرسم بيكاسو: بتفانٍ وحماس وطاقة وتميز. وبهذه الطريقة، لن تصبح قدرتنا الإنتاجية مصدر إلهام للآخرين فقط، ولكنها ستترك أثرًا وتحدث فرقًا في حياة الأشخاص المحيطين بنا. ومن أعظم الأسرار لامتلاك حياة تعيشها بجمال أن تقوم بعمل له أهمية. والارتقاء إلى مثل هذه الحالة من البراعة فيها لدرجة أن الناس لا يستطيعون رفع أنظارهم عنك.

تخيَّر تأثيراتك جيدًا

نحن لا نمضي أيامنا بمفردنا أو منعزلين عن العالم المحيط بنا. ولهذا يجب علينا دومًا أن نكون على دراية بالأشياء والأشخاص الذين نسمح لهم بالدخول في حياتنا. إنه لمن الحكمة أن تختار قضاء وقت في تلك الأماكن التي تُلهمك وتمنحك نشاطًا وفي مرافقة أولئك الأشخاص الذين يرتقون بك ويرفعون من معنوياتك. سواء في عملنا أو داخل حياتنا الشخصية، سيلهمنا هؤلاء الأصدقاء والأقران الأكثر إيجابية لكي نصبح أنفسنا العظيمة ولكي نعيش حياتنا الأكبر.

أبسط متع الحياة هي أعظم ابتهاجات الحياة

لا يكتشف معظم الناس أهم شيء في الحياة حتى يصلوا إلى سن متقدمة جدًا لفعل أي شيء حيال ذلك. إنهم يقضون العديد من أفضل سنواتهم سعيًا وراء أشياء ذات أهمية قليلة في النهاية. بينما يدعونا المجتمع لملء حياتنا بأشياء مادية، يعرف أفضل جزء منا أن المتع الجوهرية هي تلك التي تثرينا وتعززنا. مهما كانت سهولة أو صعوبة أحوالنا الحالية، فإننا جميعًا نمتلك ثروة من النعم البسيطة حولنا، في انتظار أن نحصيها. وبفعلنا ذلك، تنمو سعادتنا، ويتسع امتناننا. ويصبح كل يوم هبة أخّاذة.

غاية الحياة هي أن تحب

ينحصر مدى جودة حياتك على كم الحب الذي تحبه. القلب أكثر حكمة من الرأس. احترمه. ثق به. اتبعه.

ادعم شيئًا أكبر من ذاتك

ليس هناك أشخاص زائدون عن الحاجة على قيد الحياة اليوم. فكل فرد منا موجود هنا لسبب، لغرض خاص؛ لتأدية رسالة. نعم، ابنِ حياة جميلة لك ولأولئك الذين تحبهم. نعم، كن سعيدًا واحظَ بالكثير من المرح. ونعم، فلتصبح ناجحًا، وفقًا لشروطك الخاصة بدلًا من تلك الشروط التي يقترحها المجتمع عليك. ولكن فوق كل ذلك، كن ذا مغزى. اجعل حياتك ذات أهمية، كن نافعًا. وكن في خدمة أكبر عدد ممكن من الناس. فهذه هي الطريقة التي يمكن لكل واحد منا من خلالها أن ينتقل من عالم المألوف إلى أعلى درجات غير المألوف. ويسير بين أفضل من عاشوا على الإطلاق.

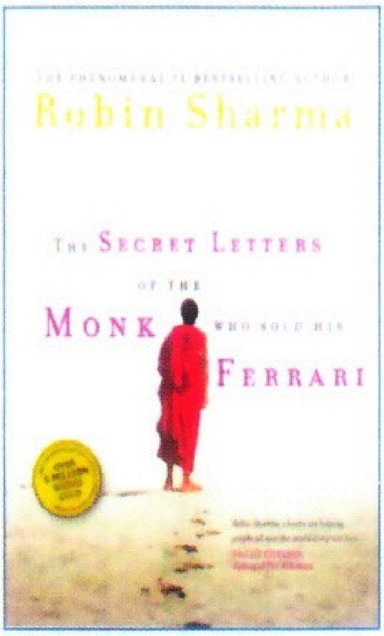
نبذة عن المؤلف

روبن شارما هو واحد من أكثر المؤلفين قراءة على أوسع نطاق في العالم. أعماله الأحد عشر المصنفة كأفضل مبيعات عالميًا تتضمن عمله الكلاسيكي الملهم "الراهب الذي باع سيارته الفيراري"، و"من سيبكي حين تموت؟"، و"دليل العظمة"، و"القائد الذي لم يكن له منصب". مبيعات كتب روبن وصلت إلى أكثر من خمسة ملايين نسخة فيما يزيد على أربعين دولة، وتمت ترجمتها إلى ست وأربعين لغة. رابطة معجبيه -والذين يحب التواصل معهم على موقعي فيسبوك وتويتر- تتضمن نجوم أفلام، وأصحاب شركات عملاقة، ونبلاء، وأشخاص من شتى مناحي الحياة. روبن هو خطيب مطلوب بكثرة، يجوب العالم ويعمل مع عملاء مثل نايكي، وجنرال إليكتريك، وفيديكس، وأي إم بي، وكوكاكولا، وجامعة يال، مؤسسة الرؤساء الشباب. من أجل تفاصيل حجز روبن شارما للتحدث في مؤسستك، زر موقع robinsharma.com وتواصل مع شارما على تويتر، وفيسبوك.

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل، وسيطرة العادة، والتبجيل المفرط
لمفكري الماضي
أن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

روجر باكون

التعليم ليس استعدادا للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي



من أحد أشهر المؤلفين انتشارًا في العالم تأتيكم قصة ذات قوة أخاذة وتشويق مبهر حول معنى أن تعيش الحياة لأقصاها

جوناثان لاندري هو رجل غارق في المشاكل.

بعد مقابلة غريبة مع قريبه المفقود جوليان مانتل - محامي المرافعات السابق ذي النفوذ والذي اختفى فجأة في جبال الهيمالايا - اضطر جوناثان إلى السفر الى جميع أنحاء الأرض ليجمع الخطابات المنقذة للحياة والتي تحمل الأسرار الاستثنائية التي اكتشفها جوليان.

وفي تلك الرحلة التي لا تُنسى والتي تضمنت زيارة قاعات التانجو المثيرة في بوينس آيريس، والمقابر المخيفة في باريس، والأبراج اللامعة في شنجهاي والصحراء الغامضة في سيدونا، يكشف كتاب "الخطابات السرية للراهب الذي باع سيارته الفيراري" النقاب عن أفكار ثاقبة مدهشة حول استعادة قوتك الشخصية، وحول كيف تصبح صادقًا مع نفسك، وتعيش أحلامك بلا خوف.

ISBN 628-1072-07-692-4
6 281072 076924
282205500

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore
ليست مجرد مكتبة ...


Exclusive
For
www.ibtesama.com